حزيران - تموز (يونيو - يوليو) ١٩٨٠
شعبان - رمضان ١٤٠٠

المختار

خاص

مشروع اللورد كارادون

لتعديل القرار ٢٤٢

الوطن الفلسطيني والحُدود الآمنة

AL MUKHTAR min Readers Digest June-July 1980 Nº 19-20

حزيران - تموز (يونيو - يوليو) ١٩٨٠
شعبان - رمضان ١٤٠٠

المختار

من ريدرز دايجست



اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون ريدرز دايجست في ١٨٠ بلداً بـ ١٥ لغة

لبنان ٤٥٠ق - سورية ٦٠٠ق - الاردن ٥٠٠ف - الكويت ٥٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٦د - قطر ٦ر - البحرين ٦٠٠ف - السعودية ٦ر - مصر ٥٠٠م - السودان ٥٠٠م - ليبيا ٦٥٠د - اليمن الجنوبية ٦ر - مسقط ٦ر - العراق ٦٠٠ف - تونس ٧٠٠م - المغرب ٣د - الجزائر ٧د - فرنسا ٧ف - انكلترا ٧٥ب - اليونان ١٠٠د - كندا وامريكا الشمالية ٢د

النجوم المتألقة

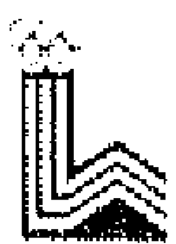
هنا ترى كل ما أنتجته شركة "جي، في، سي"، ونحن نعتقد ان كلا من هذه الاجهزة نجم متألق في ذاته.

فليس في امكان كل شركة سمعية – تلفزيونية انتاج مضخم الصوت "سوبر – أ"، وشريط الكاسيت المعدني الاول في العالم الذي يعمل على جميع أجهزة التلفزيون الملوّنة وغير الملوّنة، ونظام V H S لأجهزة الفيديو، ونظام VHD Video Disc الذي أحدث ثورة في الاداء التلفزيوني وسواها من أجهزتنا المتطورة الظاهرة هنا.

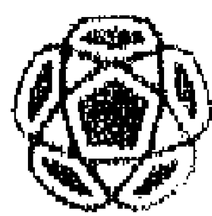
هذه الاجهزة خير برهان على خبرة "جي، في، سي" طوال ٥٣ سنة من البحث الدقيق والتطور المستمر ورفض الانصياع للعوائق، وهذا هو السبب الذي جعل لجنة الالعاب الاولمبية تعتمدنا لدورتها الجديدة عام ١٩٨٠.

ان لدى شركتنا عشرة آلاف موظف حول العالم يعملون بنشاط واخلاص تامين ليكون كل ما يصدر عن "جي، في، سي" نجماً متألقاً، جديراً بزبائننا الكرام.

JVC جي في سي



THE OFFICIAL HOME VIDEO SYSTEMS OF THE 1980 OLYMPIC WINTER GAMES



Official Audio & Video Systems of the European Football Championship 1980.



Official Audio & Video Systems of the UEFA Cup Finals.



Official Audio & Video Systems of the FIFA World Cup 1982.



أكتُب وَاربح

هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

☐ **صور من الحياة: ٥٠ دولارا**

القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة وتتحدث عن تجربة شخصية وعن موضوع جدي.

☐ **الضحك خير دواء**

ينطبق على هذا الباب ما ينطبق على الباب السابق. ويدفع ٥٠ دولارا عن النكتة الاصلية و٢٥ دولارا عن النكتة المنشورة.

☐ **تأملات معاصرة: ٥٠ دولارا**

مقاطع ذات مغاز حكمية حول موضوع معين.

☐ **حديقة افكار**

اقوال مأثورة للاعلام العرب.

تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

☐ **السدات**

هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

☐ **المقالات**

يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل.

يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط

- ○ كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- ○ كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك - حديقة أفكار...).
- ○ في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد.
- ○ ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة أفكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن.
- ○ تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر أجنبية.
- ○ لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي:

AL MUKHTAR
min Reader's Digest
S.E.P.I.
37, Avenue George V
75008 Paris, France

We're establishing friendly Thais with America.

At Thai there's a lot of excitement in the air.

No sooner do we announce the arrival of our magnificent new 747's, than we follow it up with some even bigger news.

The opening in April of our gateway to North America.

A route that takes us from Bangkok to Tokyo then direct to Seattle and Los Angeles.

Why Seattle?

To begin with it's actually 424 miles closer to Tokyo than San Francisco, so flying time is cut by over an hour.

From Seattle you're that much closer to more southern and east coast cities.

And the airport is generally less congested than others on the west coast, so there's every chance you'll be quicker off the plane, quicker through immigration and quicker with your onward connections.

Choosing this route is another example, we think, of the pioneer spirit that's helped us become one of the most respected airlines in the world today.

Whether you're reclining on a slumber seat in First Class, savouring the quiet of our Business Class or enjoying our famous Royal Orchid service in Economy, your ties with America are best made with Thai.



MN&C/THA/2115



المختـار
من ريـدرز دايـجست

مجلة شهرية

المستشار الثقافي : مؤنس طه حسين ·
رئيس التحرير : ادمون صعب ·
رئيس التحرير المعاون : اديب صعب ·
مدير التحرير : فؤاد غطاس كرم ·
امانة التحرير : رينا نداف ·
الاخراج : اروى سيف الدين ·

الامتياز :
شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس ·

الناشر :
شركة رأس الخيمة للمنشورات الدولية ·
المؤسسون: غسان تويني، توفيق ابو خاطر، عثمان عائدي، لوسيان دحداح ·

الخدمات الصحافية:
شركة الدراسات والمنشورات الدولية S.E.P.I.

الادارة والتحرير (العنوان الموقت) :
AL-MUKHTAR *min* Reader's Digest
c/o AN-NAHAR
B.P. 11—226, Beyrouth, Liban
Tél.: 340047 — Telex 22322 LE

توجه المراسلات والاشتراكات الى العنوان الآتي:
AL-MUKHTAR *min* Reader's Digest
19, Av.Franklin Roosevelt 75008 Paris, France

الاعلانات شركة تمام TAMAM
19, Av. Franklin D. Roosevelt — 75008, PARIS

التوزيع:
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات ·

الصف والتنفيذ:
شركة المطبوعات العربية - باريس ·

الخط: محمد ماجد ·

الطبعات الدولية لـ"ريدرز دايجست"
المدير العام: جون أ. اوهارا ·
مدير التحرير: آلان دوليرو ·

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانماركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية اضافة الى العربية ·

MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.
N° DE LA COMMISSION PARITAIRE 3398RL

الغلاف اسماك بحرية (نيل وليفر)

AL MUKHTAR *min* Reader's Digest
June-July 1980 N° 19-20 *(New Series)*. Vol. 2



POLIGRAFICI EDITORIALE SPA
PRINTED IN ITALY

"المختار" في بيروت

عندما اختارت هذه المجلة باريس مقراً لها في ايار (مايو) ١٩٧٨، كان واضحاً لدى الجهازين التحريري والاداري فيها ان العاصمة الفرنسية لا يمكن ان تكون الا مقراً موقتاً لـ"المختار" وان المجلة التي تصدر للعالم العربي يستحيل عليها البقاء بعيدة عن قرائها.

من هذا المنطلق يتخذ انتقال المجلة، تحريرا وادارة، الى بيروت طابعاً واقعياً. وقد تحقق هذا الانتقال في شهر نيسان (ابريل) الماضي.

... ولكن، لماذا بيروت. وفي هذه الظروف بالذات؟

ان بيروت، على رغم الظروف التي تعصف بلبنان منذ خمس سنوات، كانت امراً سلمنا به أكثر مما كانت قراراً اتخذناه.

ذلك ان العاصمة اللبنانية لا تزال الملتقى الامثل للمشرق العربي ومغربه، وللشرق والغرب في آن. كما انها لا تزال المركز الامثل للعمل النشط وللتبادل التجاري والتفاعل الثقافي. وقد أثبتت التجربة صحة هذا الامر. اذ ان "المختار" كانت منذ ايار (مايو) ١٩٧٨ تحرر وتتضدد وتخرج في باريس وتطبع في ايطاليا ثم تشحن بحراً الى بيروت لتوزع من هناك الى أنحاء العالم العربي. وكان انجاز هذه العملية يستغرق فترة تراوح بين شهرين ونصف شهر وثلاثة أشهر، مما يعني ان تحضير العدد يجب ان يسبق انزاله الى السوق بأربعة أشهر وان صاحب العلاقة الذي يرغب في ادراج اعلان في "المختار" عليه ان يحجز مكانا لهذا الاعلان ٧٥ يوما قبل صدور المجلة وان المادة التي تصل متأخرة لا أمل لها في النشر مهما تكن اهميتها، كما ان بُعدَ المطبعة (بولونيا - ايطاليا) عن مركز تحرير المجلة (باريس) يتطلب مزيدا من الوقت للتدقيق والتصحيح واعطاء الاذن بالطبع.

وبانتقالنا الى بيروت وجمعنا التحرير والادارة والطباعة والتوزيع في مكان جغرافي واحد نكون اقتربنا نحن من عالمنا وقرائنا وقرّبنا بالتالي بين المسافات واختصرنا المواعيد الى حدودها الدنيا، فضلا عن كوننا أدينا فعل ايمان بلبنان مركزا حيا للاتصال والتفاعل في ما بين الاقطار العربية، من جهة، وبين العرب والعالم الخارجي، من جهة أخرى.

وعلى أمل انتظام الخدمات البريدية اللبنانية ستبقى الرسائل توجه الى باريس حيث يتولى مكتبنا توجيهها الى بيروت (العنوان البريدي ص ٣) وسيكون لنا عنوان موقت في بيروت في المرحلة الاولى (راجع ص ٣).

ولان انجاز هذه الخطوة يحتاج الى وقت اضافي فقد اضطررنا الى جعل هذا العدد مزدوجا (حزيران/ يونيو - تموز/ يوليو) على أمل ان يكون هذا الوقت زاداً لنا وديْناً لقرائنا علينا.

والله ولي التوفيق.

رئيس التحرير

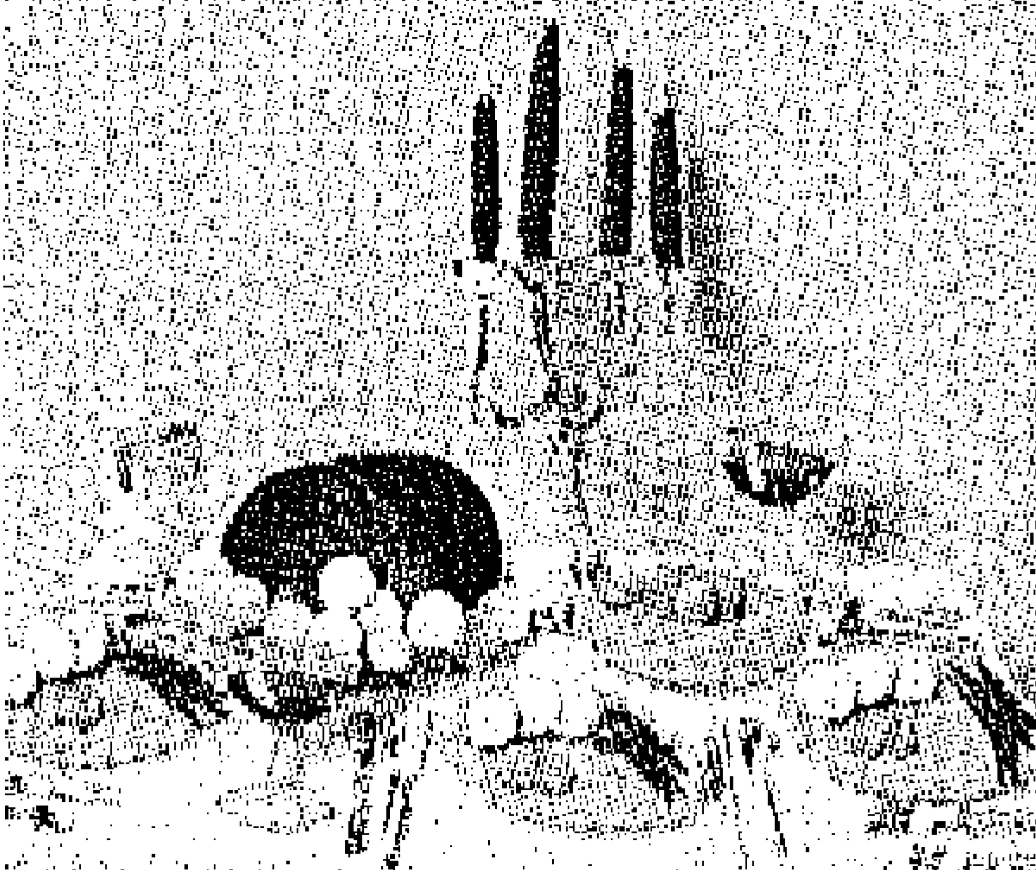
ماذا تشتهون لعشاء العام ٢٠٠١؟

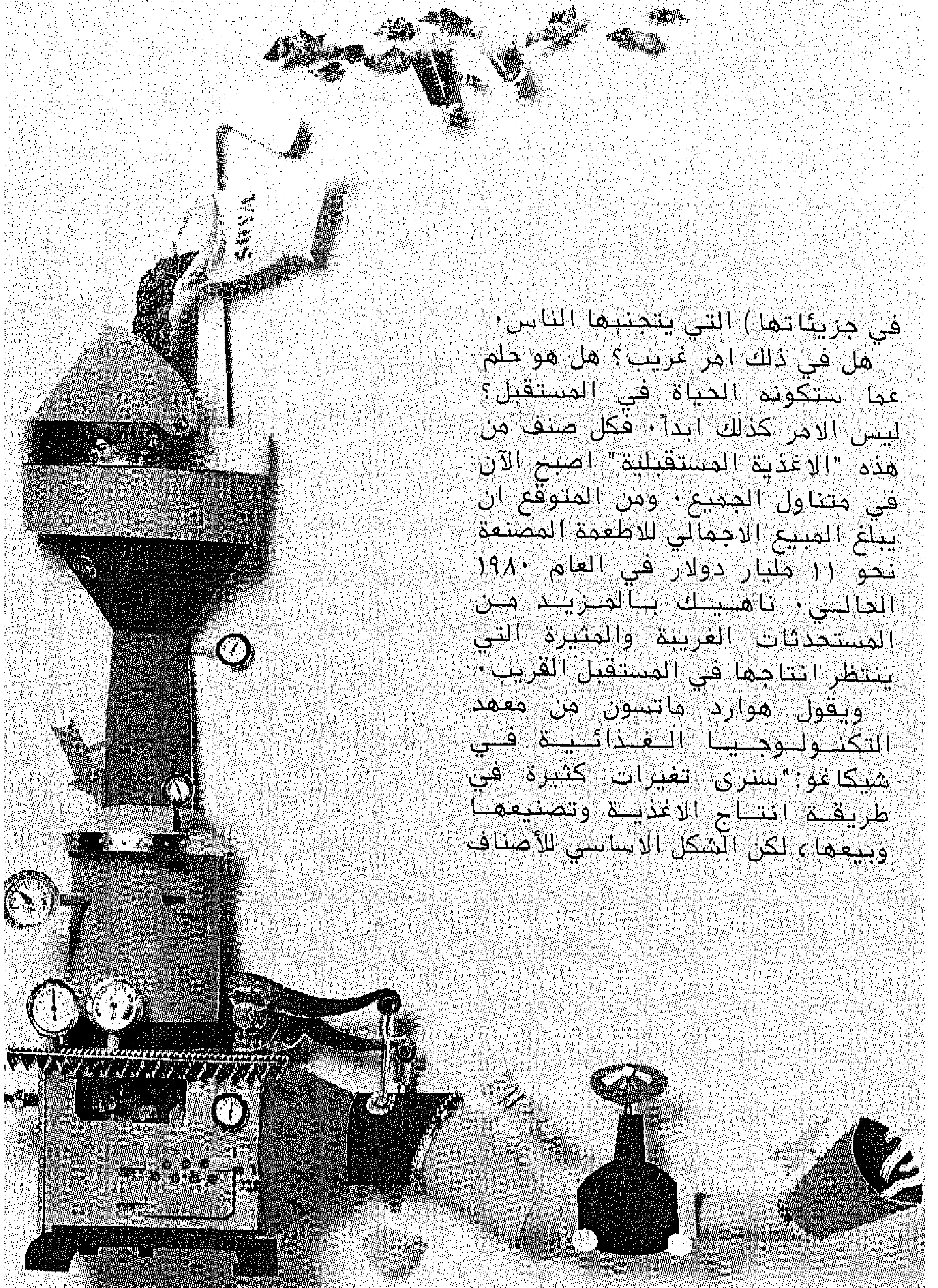
ترى هل يأتي يوم نبتلع اقراصاً صغيرة وردية ونسميها طعام العشاء؟

نحن في العام ٢٠٠١ وفي ساعة تناول العشاء في منزل آل لبوس. وتشتمل قائمة الطعام على لحم مطبوخ (روستو) وخضر مسلوقة وزجاجة شراب للسيد لبوس وزوجته، وعلى زجاجة حليب لابنهما.

ليس في هذه القائمة امر غير عادي سوى ان اللحم ليس لحم ماشية بل هو قطعة من فول الصويا الغني بالبروتيين والذي يصعب تمييز طعمه عن طعم اللحم الحقيقي. ومن ناحية اخرى، فعلى رغم اننا في منتصف الشتاء، وان الثلج يكسو الارض، فالخضر التي يتناولها آل لبوس هي خضر طازجة ومحلية وردت من "مصنع" زجاجي ضخم في الجوار يجري تشغيله اوتوماتيكياً. فهناك يخضع النور ودرجة الحرارة ومرشات الماء المشبع بالمواد العضوية لدماغ الكتروني ينظم انتاج الخضر على مدار السنة.

أما النبيذ "المعتق" فانه لا يمت الى حبة العنب بصلة، وهو مصنوع من مصل الحليب الذي يفصل عادة عند صنع الجبنة. أما الحليب فهو مستخرج من احدث المعجزات البيولوجية، وهي البقرة "غير المشبعة". فمع ان لهذا الحليب مذاقاً هو كمذاق الحليب التقليدي الا انه يشتمل على نسبة قليلة جداً من المواد الدهنية المشبعة (ذات روابط كيميائية احادية بين ذرات الكربون





في جزيئاتها) التي يتجنبها الناس.

هل في ذلك امر غريب؟ هل هو حلم عما ستكونه الحياة في المستقبل؟ ليس الامر كذلك ابداً. فكل صنف من هذه "الاغذية المستقبلية" اصبح الآن في متناول الجميع. ومن المتوقع ان يبلغ المبيع الاجمالي للاطعمة المصنعة نحو ١١ مليار دولار في العام ١٩٨٠ الحالي. ناهيك بالمزيد من المستحدثات الغريبة والمثيرة التي ينتظر انتاجها في المستقبل القريب.

ويقول هوارد ماتسون من معهد التكنولوجيا الغذائية في شيكاغو: "سنرى تغيرات كثيرة في طريقة انتاج الاغذية وتصنيعها وبيعها، لكن الشكل الاساسي للأصناف

التي اعتدناها لن يتغير. فنحن لن نبتلع اقراصاً صغيرة وردية اللون ونسميها طعام العشاء".

وما عدا ذلك فماذا يخبىء لنا المستقبل؟ انه يخبىء المزيد من "اللحم" الخالي من مادة اللحم. وقد نزلت الى الاسواق اصناف عدة من اللحوم المملحة او المقددة ومن النقانق والسجق وشرائح الـ"ستيك"، وكلها مصنوع من فول الصويا. ويقدر جان ماير، استاذ علوم التغذية سابقاً في جامعة هارفارد في مدينة كامبريدج (ولاية مساتشوستس الامريكية) والرئيس الحالي لجامعة تافتس في مدينة مدفورد (الولاية نفسها)، ان المواد البديلة من اللحم، والتي يمكن ان تضاف الى اللحم الحقيقي، كما هي الحال بالنسبة الى الهمبرغر، ستؤلف عشرة في المئة من مجموع اللحم المستهلك في الولايات المتحدة لدى حلول العام ١٩٨٥. وسوف ترتفع هذه النسبة كثيراً في مستهل القرن الحادي والعشرين.

لحم نباتي! — ولكن لم هذا الازدياد المثير؟ العامل الاول هو الاقتصاد. فمن الافضل، من الناحيتين الاقتصادية والبيئية، استعمال كيلو واحد من فول الصويا الغني بالبروتيين استعمالا مباشراً بدلا من اطعام البقرة نحو تسعة كيلوغرامات من العلف (الذي يشتمل على بروتيين الخضر) لانتاج كيلوغرام واحد من اللحم الطبيعي. وربما كان "لحم الصويا" صحياً اكثر من اللحم الطبيعي. فمنتجات الخضر، بتركيبها المناسب، تحتوي على جميع البروتيينات والكربوهيدرات (المواد السكرية والنشوية) والدهنيات والفيتامينات، وعلى العناصر التي يحتاج اليها الجسم بمقادير ضئيلة. وهي افضل من الدهنيات الحيوانية المشبعة، خصوصاً الكولسترول، التي تهدد سلامة الجسم.

ومن المستحضرات الغذائية اللذيذة البوظة (الجيلاتي) واللبن. وهناك اصناف شهية اخرى صنعت وفق احدث الطرق العلمية مثل "الجبنة المزيفة" المصنوعة من زيت الذرة والتي تباع في السوق منذ مدة، وكذلك القشدة المصنوعة من زيت فول الصويا غير المشبع (ذي روابط كيميائية ثنائية او ثلاثية بين ذرات الكربون في الجزيئات) بدلا من الحليب الطبيعي. وهناك السجق المصنوع من لحم الحبش او الدجاج، والفاكهة الاصطناعية المركبة من العشب البحري والهلام (الجيلاتين). وهناك ايضاً النبيذ الذي لا يمت الى الكرمة بصلة كما ذكرنا سابقاً.

والى ذلك فان بعض اصناف الطعام التقليدية والعريقة هي الآن في طور التغيير التكنولوجي على رغم احتفاظها بمظهرها الخارجي. فقد نجح العلماء في مركز البحوث الحيوانية التابع لوزارة الزراعة الامريكية في مدينة بلتسفيل (ولاية ميريلاند) في تربية قطيع من البقر يحتوي لحمه وحليبه على نسبة ضئيلة من الدهنيات المشبعة التي يشتبه بأنها سبب اساسي في امراض القلب.

عش تر — يكمن سر هذه "الحيلة" البيولوجية في تغذية الحيوانات بجرعات من زيت القرطم (العُصْفُر)

مغلفة بطبقة من البروتيين المعالج بغاز الفورمالديهايد الذي يحول دون تفكك هذا الزيت وتحوله الى دهنيات مشبعة في الاجهزة الهضمية لدى الحيوانات المجترة. وبذلك تصل هذه الزيوت النباتية كاملة الى انسجة الحيوانات وحليبها حيث تحل محل الدهنيات المشبعة. فتكون النتيجة ابقاراً خالية من الدهنيات المشبعة.

بل ان الدجاج نفسه لم يسلم من تحليل العلماء وتمحيصهم. ومع الاهتمام المتزايد بوزن الدجاجة (علماً بان كلفة انتاج عدد صغير من الدجاج الكبير الحجم هي دون كلفة انتاج عدد كبير من الدجاج الصغير الحجم). فلربما شهد القرن الحادي والعشرون دجاجاً في حجم الديك الرومي (الحبش). بل ربما اصبح الديك الرومي اذ ذاك في حجم النعامة!

وليست "مصانع الخضر" اقل نصيباً من سواها في التطورات التكنولوجية الثورية في عالم الاغذية. فهذه البيوت الزجاجية، بحكم قربها من الاسواق وبفضل برمجتها للانتاج على مدار السنة وتكييف درجة حرارتها بحسب ما تتطلب النبتات انطلاقاً من البرودة القطبية حتى السخونة الصحراوية، تؤمن انتاج اضعاف كميات الخضر التي تزرع حالياً في بيئتها الطبيعية.

ولا تزال هذه المصانع تعمل على الصعيد الاختباري. ويتولى مختبر البحوث البيئية التابع لجامعة اريزونا ادارة عدد من هذه "المصانع" التي تغطي اكثر من ١٣ الف متر مربع من الارض تحت سقف واحد. ولا يحتاج الباحثون في المختبر المذكور الى التراب الخصب في بحوثهم، بل يكتفون بالرمل الذي يعتبر من اكثر مواد الارض توافراً. أما درجة الحرارة والنور والماء الذي يشتمل على محلول الاغذية اللازمة فيتم ضبطها بواسطة دماغ الكتروني.

ونظراً الى خلو البيئة التي تقع فيها هذه المصانع من الجراثيم، والى تمتعها باكتفاء ذاتي، فانها لا تحتاج الا الى النزر اليسير من المبيدات. وقد فرضت تحت الرمل طبقة من البلاستيك تحول دون تسرب الماء الى باطن الارض، وبذلك تدنى استهلاك الماء بنسبة ٩٠ في المئة عما تتطلبه الزراعة في الحقول الطبيعية المكشوفة. ولو قورنت محاصيل البندورة (الطماطم) والخيار في البيوت الزجاجية في ابو ظبي بما تنتجه الحقول الطبيعية في الولايات المتحدة الامريكية، لتبين ان محصول الصحراء، التي تؤتي ثمارها على مدار السنة، يفوق الانتاج الطبيعي بعشرات الاضعاف.

وربما حملنا ارتفاع اسعار الوقود وكلفة النقل في المستقبل على طلب الاغذية الى بيوتنا، وذلك عن طريق محطات الادمغة الالكترونية المربوطة هاتفياً بشبكة من المخازن التي يتولى ادارتها رجال اليون. وما عليك اذ ذاك الا تلقيم الدماغ الالكتروني بما تشتهيه نفسك من المأكولات.

وريثما يتحقق لنا ذلك، فلندر بيننا قدر لحم فول الصويا، ولنخلط سلطة الخضر المصنعة، ولنسكب "نبيذ" مصل الحليب، ولنشرب نخب القرن الحادي والعشرين!

■ اميلي وبير دولير

أتحف مائدتك بأواني نوريتاكه

هذه الأواني الانيقة من الخزف الصيني الاصيل هي الاكثر مبيعا في العالم • وهي تتيح لك مجالا كبيرا للاختيار من مجموعتها الرائعة •



Noritake

NORITAKE CO., LIMITED

1-1, Noritake-shinmachi, Nishiku, Nagoya451, Japan

للمزيد من المعلومات عن "نوريتاكه"، يرجى الاتصال بـ:

الكويت:	محلات مجاهد	هاتف	٦١٠١٢٢
الكويت:	اشرف وشركاه	هاتف	٤٢٢١٨٠
البحرين:	اشرف واخوانه	هاتف	٥٣٤٥٧
البحرين:	متجر المحمود	هاتف	٥٤٧٥٤
ابو ظبي:	ستوديو ومحلات السلام	هاتف	٤٤١٤٣
ابو ظبي:	جنرال انتربرايزس كومباني	هاتف	٤٣٥٤٦
دبي:	اشرف واخوانه	هاتف	٢١٩٧٥
دبي:	شركة التجارية المتحدة المحدودة	هاتف	٢٣٣٢٥
الدوحة:	ستوديو ومحلات السلام	هاتف	٢٢٥٤٠
جدة:	عبد الحافظ باجنيد واولاده	هاتف	٢٤٨٤٤
الرياض:	محلات المطرف للتجارة	هاتف	٢٨٠٤٤
الخبر:	شمس الدين اشرف	هاتف	٤١١٠٤
مسقط:	كيمجي رامداس	هاتف	٧٤٥٣٠١
مسقط:	شاد باجرداس مكنجي	هاتف	٧٢٣٣٠١
بيروت:	آرسوز هاتوبيان	هاتف	٣٤١٨١٥
عمان:	حنا زاباسري واولاده	هاتف	٢٣٣٢٣
طرابلس:	شركة الصحاري للتنمية	هاتف	٣١٩٥٥
بنغازي:	محمد م. قوائي	هاتف	١٢٢٠٤
صنعاء:	معرض بلقيس للاواني المنزلية	هاتف	٥١٥٨٠
طهران:	بازرگاني علي كرجستاني	هاتف	٨١٦٣٠٨

على خُطى أمراء سرنديب!

عندما نعجز عن قهر المصاعب، وينتابنا شعور بالوقوع في شرك، يتراءى لنا بصيص غامض يهدينا الى الخلاص

السرنديبية لفظة يخيل الى السامع انها ضرب من العشب او الزهر النادر، وانما هي تعني، في الحقيقة، موهبة اكتشاف الاشياء القيمة مصادفة، وهي مشتقة من اسطورة امراء سرنديب (جزيرة سري لانكا او سيلان سابقاً) الثلاثة، ومثال ذلك ان نتصور كولومبس وقد عاد الى الملكة ايزابيلا التي مولت رحلته قائلا: "مولاتي، اننا لم نهتد الى الهند بالضبط، لكننا عثرنا على تلك القطعة من الارض الملأى بالوعود".

ان كولومبس لم يدرك أبداً أنه اكتشف قارة بأسرها، لكن النقطة المهمة في الامر كانت ـ ولا تزال ـ عدم العودة صفر اليدين، فالحياة رحلة مضطربة كثيراً ما نعجز فيها عن بلوغ الهدف المقصود وتحقيق الامل المنشود، ومع ذلك يجدر بنا ان نحذو حذو كولومبس فنظل منفتحين لتقبل كل جديد غير منتظر، وفي تأهب مستمر لاكتشاف امر ما، فنجعل حياتنا بأكملها رحلة استكشاف متواصل.

أعرف رجل أعمال يملك

مركبا شراعيا صغيرا سماه "السرنديبية"، وهو اسم ينطبق تماماً على المسمى. وكان يقول: "اني أقود مركبي هذا بعناية، وانما ليس هناك ما يضطرني الى الابحار في عكس اتجاه الريح، بل اني احب استباقها. وكثيراً ما أغير اتجاهي عفو الساعة. فان لم أصل الى حيث كنت أقصد، فلا بأس، اذ يروقني الرسو في المرافىء الغريبة".

نحن نرى في العلماء اشخاصاً نظاميين. لكن اختراعات كثيرة ربما لم تكن موجودة اليوم لو لم يتعرض العلماء للتعثر والاخفاق والارتباك في مواقف معينة. فقطرات الحامض (الاسيد) الشهيرة التي تناثرت على سروال الكسندر غراهام بل كانت الحافز الحاسم على اختراع الهاتف. وكانت اراقة المطاط السائل والكبريت على موقد مشتعل هي التي ارشدت تشارلز غوديير، بفضل السرنديبية، الى طريقة تقسية المطاط عن طريق معالجته بالكبريت بدرجة حرارة مرتفعة. وقال ونستون تشرشل، رئيس الوزراء البريطاني الراحل: "هناك اشخاص كثيرون يتعثرون، عرضا، باكتشاف ما. لكن معظمهم ينهضون من عثرتهم ويستأنفون سيرهم مبتعدين".

ربما كانت السرنديبية حقاً سر المعجزات العلمية. ولكن كيف يمكنني أنا ان أكتشف ما يعينني على اجتياز يوم ممل أقضيه حبيس البيت؟ كيف يمكنني أن انمي سرنديبيتي الخاصة؟

اليك في ما يأتي بعض القواعد التي وجدتها نافعة في هذا الصدد:

احرص على تنمية وعيك - ان الرسام ريكو لوبرون اعتاد أن يمشي كل يوم مسافة كيلومترين تفصل بيته عن محترفه في مدينة لوس انجيليس في ولاية كاليفورنيا الامريكية. وهو صمم على ان يصادف في كل من هذه التنقلات شيئاً جديداً. وذلك ليس بالامر اليسير. لكن لوبرون كان على بينة مما يدركه كل فنان حقيقي: ان الانسان اذا اراد ان يتقدم فهو يحتاج الى الجديد المدهش الذي يفاجئه ليربكه ويهزه.

أصلح شباكك - بما ان السرنديبية كثيراً ما تكون نتيجة جانبية لخيبة أو محنة ما، فاني محمول على التفكير في حاجتنا الى "شباك" - شباك الولاء والمحبة والاقتناع والايمان والصداقة. ولا بد من الاهتمام باصلاح هذه الشباك دائماً كي يتسنى لنا النهوض من كبوتنا التي سببها حظنا العاثر. فليس ثمة شخص يمكنه بمفرده الاستجابة لكل حاجات شخص آخر. ونحن في حاجة، كذلك، الى مغامرات تشد أزرنا في الليالي المظلمة أو الايام الكئيبة التي نضطر الى قضائها منفردين. ولكم يعوزنا الانصراف الى اهتمامات متعددة، من رياضة وهوايات اخرى، علنا نضمن لانفسنا شبكة تتلقفنا عندما تخذلنا شبكة أخرى.

وقد قالت لي احدى صديقاتي وهي تستعيد ذكرياتها: "بعد وفاة زوجي، كان الفضل للرقص في انتشالي من وهدة يأسي. اذ طالما رغبت في أن أصبح راقصة، ووجدت في تلك اللحظات المظلمة أني مازلت اهوى ذلك الفن". لقد تم حبك "الشبكة"

التي أنقذتها منذ سنوات، فبقيت في الانتظار حتى تلقفتها عندما فاجأتها ضربة أوقعتها خارج الطريق.

حول درهمك الى قنطار - "ان المعرفة الجزئية تثير فينا الرغبة في معرفة المزيد". هذا ما قاله الفيلسوف الامريكي وليم جيمس، الذي أطلق على هذه الصفة اسم "الادراك بالترابط". ومؤدى ذلك أن هناك أفكاراً كثيرة موجودة فعلا في العقل ويتم من خلالها استيعاب الخبرة الجديدة وتنظيمها.

والامر هنا يشبه الذهاب الى بئر لاستخراج الماء منها بدلاء مختلفة الاحجام. فبعض الناس لا يملكون من "الادراك بالترابط" سوى ملء كوب صغير. ذلك لان افتقارهم الى الفضول وحب الاستطلاع حال دون توسيع آفاق إدراكهم، فأصبحوا قاصرين عن استيعاب الجزء الاعظم من ثمار خبراتهم. أما الذين يتمتعون بمقدار وافر من "الادراك بالترابط" فان حب الاستطلاع وميزة التعجب والتساؤل يستحثانهم على الدوام، فلا يتوقفون عن اكتشاف القرائن والعلاقات السببية بين الافكار والخبرات.

وأحياناً، عندما نعجز عن مواجهة المصاعب وقهرها وينتابنا شعور بالوقوع في شرك، يتراءى لنا فجأة بصيص السرنديبية ليهدينا الى باب الخلاص. وهو باب لم نكن نبحث عنه، ذلك لاننا لم نكن ندري عم نبحث، وانما كنا في طريق البحث. فالسرنديبية لا تقبل على الشخص المغرور الذي ينقصه حب الاستطلاع، بل تستهدف من تستهويه المجازفة والتجربة. وقد يغامر الشخص مئة مرة من دون أن تتضح غاية اي منها أو تؤدي الى هدف. وربما تملكه مئة اهتمام لا تبرز لها اي قيمة محددة. تلك هي قناطير "الادراك بالترابط" حيث تزدهر السرنديبية.

ضع ثقتك في التيار - يقول شكسبير: "هناك تيار يتجاذب شؤون الناس ويحمل الذين يمتطون المد الى التوفيق". وتتميز السرنديبية بأنها تنطوي على عنصر تفاؤل، اذ يميل صاحبها الى ائتمان قوى الحياة والظروف الاجتماعية التي تتجاوز حدود كل منا.

في سنه الخامسة والستين زار أبي الاستاذ وليم لو بريان، الرئيس الفخري لجامعة انديانا في الولايات المتحدة. فأشرقت عينا الاستاذ الهرم ببريق رائع وهو يرحب بتلميذه السابق. وسأله أبي: "كيف تكون الحياة في السن الثانية والتسعين؟"

فرد عليه الرئيس بريان برقة: "اسمع يادون، ان الحياة تيار صاعد، فانطلق معه!"

وأنت لا تستطيع أبداً، بطبيعة الحال، أن تعرف بالضبط الى أين ستحملك موجة التقدم في السن. ولكن اذا حالفتك السرنديبية فقد تجد نفسك منتهياً الى شاطيء بديع خلاب. وقد لا يكون أكثر الاكتشافات توفيقاً هو العثور على قارات مجهولة، بل هو الوصول الى مرفأ للروح تجد لها فيه مستقراً جديداً.

هل هناك عنصر "تصوف" في سحر السرنديبية؟ لست ادري. لكني مررت في حياتي بمواقف بدا لي فيها تدخل السرنديبية بمثابة نعمة من السماء، ان لم يكن عناية الهية حقاً.



فاخرة،
أنيقــة ، مثيرة .
إليكم ساعات سيكو ٥ الجديدة
ذات القرص البرّاق.
ساعات سيكو ٥ الرائعة ، تعمل أوتوماتيكيا ،
تبين اليوم والتاريخ ،
دعها تتألق بجمالها حول معصمك . سيكو ٥ .
سَيكو
SEIKO

وكـان لقائـي الاخـيـر والاعظـم بالسرنديبية فـي ديسمبـر (كانـون الاول) ١٩٧٨. فقد جاء عيد الميلاد، ووجدت فيه مرة أخرى مناسبة للفرح والحـزن معاً:الفـرح بـعـودة أولادي الثلاثة الـى البيـت لقضـاء العيـد، والاسى لغياب رابعهم اريك الذي انقضت سبعة أعوام على وفاته في السن الثانية والعشرين. فأنا افتقده كل يوم، لكن هذا الاحساس يبلغ ذروته في عطلة الميلاد. وانتابني شعور رهيب بالتعاسة، لكني صممت على مواصلة تزيين البيت واعداد الـهـدايـا، وأبـيـت ان أهمـل أدق التفاصيل.

واحتجت الى علبة صغيرة لأضع فيها هديـةمـن الـحلـى،فلـم أجـد مطلبي. وكانت الحوانيت قد أغلقت ابوابها لتقدم الوقت، فمضيت أبحث في كل مكان من البيت ـ في الغرفة العليا، في القبو، وفي الادراج التي لم تفتح منذ اشهر. وأخيراً عثرت على علبة ملائمة في أحد أدراجي الخاصة. وكانت فارغة الا من قطعة قطن.

وانتزعت قطعـة القطـن فوجـدت السرنديبية أمامي: كلمة من أريك! ولم اكن قد رأيت الورقة من قبل، فقد دسها تحت السوار الذي كان آخر هدية ميلاد قدمها الي. فما اطيب ان تبقى هـذه الكلمـة محفوظـة حتـى أكتشفها في اللحظة التي اشتدت حاجتي اليها! وكادت الكلمات التي دونتها يده الحية الغالية ان تثب من قصاصة الورق لتملأ ناظري:

"أمي العزيزة، شكراً لك على كل ما فعلته من أجلي. ميلاداً سعيداً. أريك".

■ دوريس لاند



الوجه والقناع

في الامور الكبيرة يكشف الناس عن وجوههم التي يريدون ان يراها الآخرون. اما في الامور الصغيرة فيكشفون عن وجوههم الحقيقية.

غ.ب.

بين الذكاء والبلاهة... شعرة

كانت امرأتان تتكلمان عن الشعر الطويل على رؤوس الرجال. فقالت احداهن: "في رأيي انه يجعل الرجل يبدو ذكياً". اما الثانية فلم توافق، بل قالت: "لقد نزعت شعرة طويلة عن معطف زوجي، فاذا به يظهر في منتهى البلاهة".

ب.س.

الموظف الثابت

مدير مكتب التوظيف: ابرز لنا النقاط الحسنة في خبرتك السابقة.

طالب الوظيفة: لقد أنهيتُ خدماتي ١٥ مرة.

المدير: وما الحسن في ذلك؟

الطالب: اني لا اترك العمل بنفسي.

ج.م.

المختار

يونيو - يوليو ١٩٨٠ السنة الثانية (سلسلة جديدة)



مشروع اللورد كارادون لتعديل القرار ٢٤٢

الوطن الفلسطيني والحدود الآمنة

الحملة الديبلوماسية الفلسطينية الاخيرة ركزت الانتباه الدولي على جوهر مفاوضات السلام في الشرق الاوسط، خصوصاً على قرار مجلس الامن الرقم ٢٤٢. ومن خلال المصاعب التي يلقاها بعض القادة الغربيين في سعيهم الى ايجاد صيغة لسلام حقيقي ودائم في المنطقة، بدأوا يرون صواب ما ظل القادة العرب يرددونه منذ وقت طويل، وهو أن القرار الرقم ٢٤٢ قد عفا عليه الزمن.

وهذا القرار يؤكد حق كل دولة في المنطقة، بما في ذلك اسرائيل، في أن تعيش في سلام، ويطالب اسرائيل في الوقت نفسه بالانسحاب من "اراض " احتلتها في حرب ١٩٦٧. ونقطتا الضعف اللتان تشوبان هذا القرار في عالم ١٩٨٠ هما أنه لا يشير الى "الاراضي" التي احتلت في حرب الايام الستة كما لا يشير الى الفلسطينيين الا باعتبارهم لاجئين فحسب.

وكان وزير الخارجية البريطاني اللورد كارنغتون اعلن في الامم المتحدة في الخريف الماضي: "ان هناك الآن اتفاقاً عالمياً واسعاً على ان القرار ٢٤٢ ناقص، لأنه لا يضع في اعتباره اطلاقاً حقوق الفلسطينيين المشروعة التي تتجاوز الى مدى بعيد مجرد وضعهم كلاجئين، كما أنه لا يضع في الاعتبار ايمان الفلسطينيين بأنهم شعب متميز له حق في وطن قومي". وقد أعرب الرئيس الفرنسي فاليري جيسكار ديستان عن منطق مماثل خلال رحلة قام بها في الشرق الاوسط خلال شهر مارس (آذار) الماضي.

وفي هذا المقال يعرض اللورد كارادون ـ سفير بريطانيا السابق لدى الامم المتحدة وابو القرار ٢٤٢ ـ أصول القرار ومنابعه، ويبين الخطوط العريضة للصيغة التي يمكن بها تعديله من أجل التوصل الى حل مقبول لأخطر مشكلة تواجهنا.

ان أهم ما يلفت في القرار ٢٤٢ الذي صدر عن مجلس الامن التابع للأمم المتحدة في ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٧ هو أنه صدر بالاجماع. ولا شك في أن الاجماع الدولي في ما يتعلق بالسياسات الخاصة بالشرق الاوسط أمر نادر حقاً. ويمكن القول ان هذه الحيوية التي اكتسبها القرار المذكور تعود الى الاتفاق الدولي الذي ساهمت فيه كل الاطراف المعنية.

والقرار يؤكد المبدأ الاساسي الذي يقضي "بعدم جواز الاستيلاء على الاراضي بالقوة"، ويدعو الى "انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية من أراض احتلت في الصراع الاخير (...) الى حدود آمنة ومعترف بها". ويمضي القرار بعد ذلك موضحاً ضرورة ضمان "حرمة الاراضي والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة".

وأوضح القرار المبادىء المتفق عليها لاجراء تسوية سلمية، والتدابير اللازمة لتنفيذ هذه المبادىء، فذكر ان ممثلا خاصاً سيعين "كي يجري اتصالات بالدول المعنية من أجل ايجاد اتفاق ومساعدة الجهود الرامية الى تحقيق تسوية سلمية ومقبولة وفقاً لأحكام هذا القرار ومبادئه".

وبناء على ذلك تم تعيين السفير يارينغ الاسوجي، ممثلا خاصاً للامين العام للامم المتحدة، ومضى الى المنطقة وفقاً للتكليف الذي أسند اليه، حيث أجرى محادثات مع الاطراف المعنية.

وقد قوبلت المقترحات التي حملها بالرفض التام على الفور. وواصل السفير يارينغ جهوده لفترة ما، غير انه حين تحقق من أنه لا يستطيع احراز أي تقدم على الاطلاق تخلى عن مهمته. ومنذ ذلك الحين لم تتخذ أي تدابير لتنفيذ المبادىء التي قبلتها جميع الاطراف في قرار ١٩٦٧، على رغم أن الوثيقة الختامية لكامب ديفيد ذكرت الحاجة الى اقرار سلام على أساس القرار ٢٤٢ "بجميع أجزائه".

نقطتا الضعف - وهناك نقدان يوجهان الى القرار ٢٤٢. فيقال أولا انه عند المطالبة بانسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية من الاراضي التي احتلت في النزاع الاخير كان ينبغي علينا ان ننص على ان الانسحاب يجب ان يكون من جميع الاراضي المحتلة، غير أننا لم نفكر في ذلك لسببين: الاول ان القرار قد بدأ بتقرير "عدم جواز الاستيلاء على الاراضي بالقوة"، وهو ما يستبعد تماماً جواز الاحتفاظ باي أراض لمجرد أنها كانت محتلة عسكرياً. أما مسألة الحدود، فأننا لم نسع الى تقرير حدود ١٩٦٧ كحدود دائمة لسبب وجيه جداً هو أن حدود ١٩٦٧ هذه التي لم تكن في حقيقتها سوى خطوط وقف اطلاق النار في ليلة معينة قبل ٢٠ عاماً، كانت غير مناسبة لأن تغدو حدوداً دولية دائمة.

ومن هنا فان حذف كلمة "جميع ال" وحذف أداة التعريف من عبارة "الاراضي التي احتلت في النزاع الاخير" كان أمراً متعمداً والزعم بأن عبارة "جميع ال" كانت أدرجت في البداية في القرار البريطاني ثم حذفت بعد ذلك هو زعم غير صحيح بالمرة.

والنقد الثاني الذي يوجه الى القرار

٢٤٢ هو أنه في حين ان القرار يطالب بايجاد حل لمشكلة اللاجئين، الا أنه لم يذكر شيئاً عن حق تقرير المصير بالنسبة الى الفلسطينيين. غير ان من الضروري ان نتذكر أننا عندما وضعنا صيغة القرار ٢٤٢ في العام ١٩٦٧، كنا نفترض جميعاً كأمر بديهي أن الاراضي المحتلة ستعاد الى المملكة الاردنية الهاشمية. وقد كان الجميع - بمن فيهم العرب - يفترضون ذلك. ولم يتقدم الفلسطينيون بمطالبهم الا بعد ١٩٦٧. ولا شك في أن هذا كان تطوراً بالغ الاهمية، غير أنه كان لاحقاً للعام ١٩٦٧.

وبناء على ذلك، فانه من هذه الناحية البالغة الاهمية يكون قرار ١٩٦٧ قد أصبح الآن ناقصاً الى حد خطير. فالتطورات التي حدثت منذ صدور الموافقة على القرار جعلت من الضروري الاعتراف بحق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم في وطنهم القومي وضمان هذا الحق، ولا شك في ان هذا الاعتراف وهذا الضمان ينبغي ان يكونا موضوعاً لنص رئيسي في قرار جديد.

المطلوب اليوم - ان المطلوب الآن ليس نقض مبادىء القرار ٢٤٢ أو عكسها او التقليل من مداها، وانما اضافة تتخذ شكل قرار جديد يكفل مسايرة القرار الاصلي للزمن، ويكفل تنفيذه أيضاً. ويجب ان يعالج هذا القرار الجديد القضايا الخمس الرئيسية الآتية:

١ - وقف كل أعمال العنف وجميع عمليات الاستيطان الاسرائيلية في الاراضي المحتلة.

٢ - تشكيل لجنة حدود تستمع الى كلا الجانبين وتضع توصيات عن حدود دائمة "آمنة ومعترف بها".

٣ - فترة من الوصاية الدولية على شرق القدس والضفة الغربية وغزة (والجولان أيضاً)، على أن يتاح للفلسطينيين خلال تلك الفترة ممارسة حق تقرير المصير واختيار قادتهم واتخاذ قرار في شأن دستورهم الخاص وعلاقاتهم مع جيرانهم.

٤ - توفير ضمانات دولية (ومناطق منزوعة السلاح) للمحافظة على حق كل دولة في المنطقة في أن تعيش في سلام "متحررة من التهديدات وأعمال القهر".

٥ - عقد مؤتمر سلام نهائي يجتمع في جنيف في رئاسة الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي كما سبق الامر، ويمثل فيه الفلسطينيون بواسطة قادتهم المنتخبين حديثاً. ويتولى هذا المؤتمر اعداد معاهدات السلام والتوقيع عليها.

تلك أهداف طموحة ولا شك، ولكنها لا تتجاوز في طموحها ما استهدفه القرار ٢٤٢ نفسه. فاسرائيل يجب ان تكون آمنة، والفلسطينيون يجب ان يكونوا أحراراً. وكلا الهدفين يمكن تحقيقهما، ولكن لا يمكن تحقيق أحدهما من دون الآخر.

والسؤال الآن هو: ما مدى قوة المعارضة لإصدار قرار جديد من هذا النوع بغية تنفيذ القرار الاصلي الرقم ٢٤٢؟

في تقديري أن هذه المعارضة محدودة جداً من الجانب العربي، لأن جميع الحكومات العربية المعنية، ولاسيما المملكة العربية السعودية وسوريا والاردن، ومصر أيضاً، قد

النص الحرفي للقرار ٢٤٢

هنا النص الرسمي للقرار ٢٤٢ الذي صوت عليه بالاجماع مجلس الأمن الدولي التابع للأمم المتحدة في ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧.

"ان مجلس الأمن،

اذ يعرب عن قلقه المستمر في شأن الوضع الخطر في الشرق الأوسط،

واذ يؤكد عدم جواز الاستيلاء على الأراضي بالحرب، والحاجة الى العمل من اجل سلام دائم وعادل تستطيع كل دولة في المنطقة ان تعيش فيه بأمان،

واذ يؤكد ايضاً ان جميع الدول الأعضاء بقبولها ميثاق الأمم المتحدة، قد التزمت بالعمل وفقاً للمادة ٢ من الميثاق،

١ - يؤكد ان تطبيق مبادىء الميثاق يتطلب اقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط ويستوجب تطبيق كلا المبدأين الآتيين:

أ - انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية من اراض احتلتها في النزاع الاخير.

ب - انهاء جميع ادعاءات او حالات الحرب، واحترام واعتراف بسيادة ووحدة اراضي كل دولة في المنطقة، واستقلالها السياسي وحقها في العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها، حرة من التهديد بالقوة او استعمالها،

٢ - يؤكد ايضاً الحاجة الى:

أ - ضمان حرية الملاحة في الممرات المائية الدولية في المنطقة،

ب - تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين،

ج - ضمان حرمة الأراضي والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة عن طريق اجراءات من بينها اقامة مناطق مجردة من السلاح،

٣ - يطلب من الأمين العام تعيين ممثل خاص ليتوجه الى الشرق الأوسط كي يجري اتصالات بالدول المعنية ويستمر فيها بغية ايجاد اتفاق، ومساعدة الجهود الرامية الى تحقيق تسوية سلمية ومقبولة وفقاً لاحكام هذا القرار ومبادئه،

٤ - يطلب من الأمين العام ان يرفع تقريراً الى مجلس الأمن بشأن تقدم جهود الممثل الخاص في اقرب وقت ممكن،

تبنى المجلس هذا القرار، في
جلسته الرقم ١٣٨٢، باجماع الأصوات"

أعلنت تأييدها للمبادىء الاصلية ولحق الفلسطينيين في تقرير المصير.

كما ان منظمة التحرير الفلسطينية قد تخلت علانية عن رأيها القديم القائل بأن اسرائيل ينبغي ان تحل محلها دولة جديدة واحدة يعيش فيها العرب واليهود على قدم المساواة. وقد كان العرب منذ زمن طويل يدركون - كما كان غيرهم أيضاً يدرك - أن هذا الهدف لا يمكن تحقيقه.

واستناداً الى ما أجريته من أحاديث مع الزعماء الفلسطينيين في بيروت ودمشق ومع الفلسطينيين في القدس والضفة الغربية وغزة، ومع اللاجئين في معسكراتهم، أقرر ان العرب سيبتهجون ابتهاجاً لا مزيد عليه اذا أمكنهم ان يستعيدوا القدس العربية والضفة الغربية وغزة كي تصبح وطناً خاصاً بالفلسطينيين.

أما الجانب الاسرائيلي فان

الرافضين فيه أكثر قوة. وقد وضع رئيس الوزراء الاسرائيلي بيغن في كامب ديفيد توقيعه على وثيقة تؤيد القرار الرقم ٢٤٢ "بجميع أجزائه"، لكنه تباهى على رغم ذلك بأنه قد عارض المبدأ الاساسي القاضي "بعدم جواز الاستيلاء على الاراضي بالقوة" وادعى أحقية الجيش الاسرائيلي في البقاء لفترة غير محدودة في الضفة الغربية، كما ادعى أحقية اسرائيل في الاستيلاء على القدس العربية.

ولا شك في أن هذه الدعاوى والمزاعم تتناقض تناقضاً مباشراً مع أحكام القرار ٢٤٢. واذا استمر التمسك بها فلن يقوم سلام، وستظل اسرائيل وجيرانها أسرى مستقبل سداه العداء ولحمته سفك الدماء.

السلام الحقيقي – غير أن هناك أصواتاً أخرى وتأثيرات أخرى في اسرائيل. وحركة "السلام الآن" وحركة "النظرة الجديدة" تزدادان قوة باطراد. وهناك وعي متزايد في اسرائيل بأن الامن لا يمكن أن يقوم على قهر أكثر من ثلاثة ملايين فلسطيني وتشريدهم. وفي يقيني ان هناك وعياً متزايداً بأن السلام لا يمكن أن يأتي عن طريق السيطرة والعداء، بل يجب ان يكون ثمرة للمساواة في الحقوق وللاحترام المتبادل.

الامل ينعقد اذاً على أنه عندما يتم اتخاذ مبادرة دولية جديدة، عندما يطرح بديل من المجابهة المستمرة والصراع المتصل، فان من بقي من الرافضين سيصبحون هم أنفسهم مرفوضين.

وفي ١٥ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٧، عندما قدمت مشروع القرار البريطاني الى مجلس الامن، قلت: "ان الدول العربية تصر على أننا يجب ان نوجه اهتمامنا الخاص الى استرداد الاراضي. والاسرائيليون يقولون لنا ان الانسحاب لا يجوز ان يكون أبداً الى السلام القديم القلق وانما الى حدود آمنة. وكلا الجانبين على صواب، وليس هناك تعارض بين أهدافهما. وان تصور أمكان تمتع أحد الطرفين بالامن من دون الآخر هو من قبيل الوهم، لأن أمن كل منهما يتساوى مع أمن الآخر من حيث سلامة مطلبه وضرورته. ونحن لا نريد نصراً في نيويورك، بل نجاحاً في الشرق الاوسط".

وبمشيئة الله، فان فرصة النجاح التي طال العهد بها تأجيلا لن تهدر.

■ **اللورد كارادون**



القراءة من فوق

وضع احد استوديوهات التصوير اعلاناً فوق سطح المبنى الذي يحتله، بلغ طول حروفه ثلاثة امتار، وكتب عليه: "هدوءاً من فضلكم".

وبدلا من ان يردع هذا الرجاء الطائرات، بدأت تقترب من الاستوديو على ارتفاع يمكن الطيارين من قراءته.

ف.ف.و.

يقدم الازواج الاوفياء اسباباً ـ بعضها مدهش حقاً ـ لعدم انحرافهم. ومعرفة هذه الاسباب قد تساعد الزوجة على الاخلاص في زواجها، اياً تكن طبيعة المجتمع الذي يعيش فيه الزوجان

الأزواج الأوفياء ذخيرةٌ وقدْوة

ما الذي يدفع الرجل الى البقاء وفياً لزوجته؟

هذا السؤال طرحته أخيراً على عدد من الازواج الذين يدعون الاخلاص. وجاءت اجاباتهم، من نواح عدة، مطابقة للمستويات الخلقية العامة التي قررتها دراسة العالم النفسي لورنس كولبرغ قبل بضع سنوات. ففي المستوى الادنى، يقول كولبرغ، نحن نفعل "الامر الصحيح" لتجنب الالم فقط. ولا نلبث ان نسير في تيار المجتمع والمبادىء الخلقية السائدة في عصرنا. ونحن لا نختار أفعالنا لأجل ذاتها الا بعد تحويل القيم الخلقية الخارجية الى الداخل، لتنبع من ذواتنا. وفي ما يأتي اهم اسباب الوفاء التي أجمع عليها الازواج، مرتّبة من المستوى الادنى الى الاعلى:

١. الخوف من افتضاح الامر.

لقد صرح رجال كثيرون بأن خوفهم من افتضاح امرهم أضعف احتمال اقامة علاقة خارج الرباط الزوجي. ومن هؤلاء محاسب عزا اخلاصه الى هذا النوع من الخوف: "في مناسبتين كان ممكناً ان اقيم علاقة جنسية. وأعترف بأني كدت ان أفعل لو لم أسأل نفسي: "ما قيمة ذلك بالنسبة الى ما قد يترتب عليه؟" فهو ربما أدى الى فقد زوجتي واولادي واصدقائي وبيتنا، أي كل ما عملت له حتى الآن. لذلك قررت انه من

الجنون ان انساق هكذا وراء التجربة".

٢. العجز عن مواجهة عقدة الذنب والخداع.

قال رجل اعمال شاب: "اذا أنشأت علاقة جانبية من غير معرفة زوجتي، فالاذى سيكون من نصيبي انا، لأنه علي اذ ذاك ان أغالب شعوري بخيانة تعهدي. ولا أظن انه في امكاني تحمل الشعور بالذنب".

والواقع ان اقلية من الناس يمكنها تحمل هذا الشعور. وتقول عالمة النفس الارشادي ماريسا لاسويل: "الحقيقة ان مشاعر الذنب هي من بين اثقل الاعباء النفسية على الانسان. ومن شأنها، عاجلا او آجلا، تفتيت اي علاقة".

٣. عدم توافر الفرصة.

بعض الازواج لم تكن امامه اي فرصة للخيانة. ويقول احد الازواج: "انا تاجر في بلدة صغيرة، وزوجتي تعمل معي طوال الوقت خلال ستة أيام في الاسبوع. ولا اسافر الا وهي معي. لذلك، اقول ان فضيلتي لم توضع قط موضع الاختبار. ولكم أود ان اواجه هذه التجربة وأتغلب عليها!"

٤. القول بأن الازواج يجب ان يكونوا مخلصين.

بالنسبة الى مراتب الاختيار الخلقي التي تكلم عنها كولبرغ، هناك عدد كبير من الازواج يكتفون بالرضوخ للضغط الاجتماعي. وهم يبررون رضوخهم بأفكار من النوع الآتي: "الزنى ليس تصرفاً معتاداً لدى الفئة التي أنتمي اليها"، او: "انني مخلص لاني ربيت على النظر الى النقيض كأنه خطأ"، او: "ان ديني يضع قواعد صارمة بالنسبة الى قدسية الزواج".

٥. الرغبة الشخصية في الاخلاص.

في المستوى الاعلى من الاخلاص الزوجي، يكون الازواج أوفياء بمحض ارادتهم، لأن مفهوم الاخلاص التام، في هذه الحال، ينبع من نظرتهم الى الحياة.

والرجال الذين يلتزمون هذا الخط يصفون انفسهم عادة بعبارات سلبية تنتقص من قدرهم، كما في قول أحدهم: "أعرف اني رجعي". وبعضهم يعزو الفضل الى زوجته: "يمكن ان تخلص لامرأة واحدة طوال حياتك اذا حالفك الحظ في اختيار المرأة الفاضلة". وأحياناً قليلة نسمع آراء أكثر واقعية في أهمية التزام الاخلاص العميق، كالقول الآتي: "اني أستمد من زوجتي العون والعناية والعطف والحب، وهي تستمد مني القيم نفسها. واذا لم تكن لدي هذه المشاعر كلها تجاه امرأة ولم تكن لديها هذه المشاعر تجاهي، فكيف يمكن ان تكون هناك علاقة جسدية؟"

ان الرجال والنساء في ايامنا هذه يعلقون آمالا اكبر على قيمة الزواج النفسية والجنسية. واذا قصر الزواج عن تحقيق هذه الآمال، فغالباً ما يكون أبسط حل اللجوء الى الجنس خارج الرباط الزوجي. الا ان في امكان كل زوجين اقامة جو من الاهتمام والحب المتبادلين يقف سداً منيعاً في وجه الخيانة.

ماذا يمكن ان تفعل الزوجة للمساعدة على اقامة جو كهذا؟

ان سر الاجابة عن هذا السؤال يكمن في معرفة الاسباب التي تدفع

الرجال الى الخيانة. وهناك اسباب معروفة، مثل الثأر من اذى حقيقي أو وهمي، أو محاولة التغلب على الخوف من العجز الجنسي، أو طرد الشكوك التي تلازم أزمة "منتصف العمر". لكن ثمة أسباباً غير معروفة جيداً. والمرأة التي تعرف هذه الاسباب يمكنها تجنب نتائجها. وهنا بعضها:

ـ الرجولة، في نظر بعض الرجال، هي النجاح في العمل. بالنسبة الى هؤلاء، اذا حدث ان خسروا وظيفة او تقدماً في الرتبة أو الراتب، فهذا يعد انتكاساً لرجولتهم. وهم يحاولون التعويض باللجوء الى علاقة جنسية خارج الزواج. واذا ادركت الزوجة حاجة زوجها الى العون النفسي في أوقات الضيق، أمكنتها مساعدته على استعادة ثقته بنفسه. وقد قال أحدهم: "ان زوجتي لا تنفك تؤمن بأني شخص رائع، حتى عندما اخفق في تحقيق أمر ما. وهذا يقوي الذات اكثر من علاقة جنسية غير شرعية".

ـ هناك رجال كثيرون لديهم حاجات خاصة ـ الى الصداقة أو الاثارة العقلية او الى شخص آخر يصغي اليهم. وغالباً ما يخفق هؤلاء في التعبير لزوجاتهم عن حاجاتهم او حملهن على بذل جهد لسد هذه الحاجات. ويروي عالم النفس روبرت سايدنبرغ قصة رجل متزوج انقلبت فضيحة في بيئته لأنها قامت على علاقة غير مستورة مع امرأة اخرى. ولم يصدق أحد أنه قضى وقته مع تلك المرأة في قراءة الشعر والكلام عنه. ويقول سايدنبرغ: "ان خيانة ذلك الرجل كانت كلامية. فهو اختار أن يتكلم ـ فقط ـ مع امرأة اخرى".

ـ الالحاح في طلب الاخلاص يؤدي احياناً الى نقيض المطلوب. هناك زوجة بائع متجول كانت مقتنعة بأن لزوجها فتاة في كل مدينة. الحقيقة ان الزوج كان مخلصاً. لكنه قرر سلوك خط معاكس بما ان زوجته تلومه لايمانها بانه يفعل. وتقول عالمة النفس الارشادي مارسيا لاسويل: "الثقة عنصر اساسي لبناء الاخلاص الزوجي والمحافظة عليه".

ـ بعض الرجال ينشيء علاقة جنسية خارج الزواج انطلاقاً من توقعات خاطئة حول الجنس. ان احد أساليب معالجة هذا الامر على نحو صريح هو الكلام حوله. وقد أسر أحد الازواج بالآتي: "ظننت ان شيئاً ما كان خطأ لأن حياتنا الجنسية لم تعد مثيرة كما كانت. غير اني بحثت المسألة مع زوجتي، فوجدنا ان واحدنا لا يزال يحب الآخر، وانه ليس مطلوباً من الجنس ان يجترح العجائب دائماً. كذلك وجدنا أن في الرقة واللطف اشباعاً كافياً حين يتذوقهما المرء".

وعلى رغم ان بعض الاختصاصيين في الموضوع يقول ان الجنس خارج الرابطة الزوجية يمكن ان يلهب احياناً جذوة زواج خمدت، الا ان معظم علماء النفس الارشادي يعتقدون انه لا يؤدي اي خدمة للزواج، وان كل ما يسفر عنه هو الخيبة والمرارة والالم. ومن حسن الحظ ان الازواج اليوم يدركون ان المثل العليا للزواج هي الصدق والمودة والثبات والحماية التي تميز حب المرء لشريك حياته.

■ نورمان لوبسينز

أقوى من الموت

في أعالي قمة جبل رينيير، أودى النهر الثلجي بحياة المتسلق الشهير ويلي انسولد، وحمله ٢٢ من طلابه [illegible] وسط عاصفة ثلجية هوجاء... أو هكذا بدا الموقف للوهلة الأولى



بدأ المتسلقون يشقون طريق عودتهم ببطء شديد وسأم مرير، وسط العاصفة المولولة، في اليوم الرابع من مارس (آذار) عام ١٩٧٩. وفي الساعة الاولى بعد الظهر راح ويلي أنسولد، متسلق الجبال المعروف واستاذ الفلسفة في كلية "ايفرغرين" (واشنطن) يحاول ان يرشد عشرين متسلقاً من طلابه الى مكان امين بعدما وصلوا في اليوم السابق الى نقطة لا تبعد اكثر من ٤٣٠ متراً ارتفاعاً عن قمة جبل رينيير الذي يرتفع ٤٣٩٢ متراً. لكن العاصفة هبت عليهم من قلب سماء شتوية مكفهرة على حين غرة، فتراجعوا وألقوا رحالهم عند نقطة ثانية على ارتفاع ٣٦٠٠ متر لقضاء ساعات الليل هناك أملا في مواصلة الانحدار صباح اليوم التالي الى قاعدتهم الحصينة في مخيم "ميور" على بعد ٥٥٠ متراً.

تدنت الحرارة الى ١٨ درجة مئوية تحت الصفر، ودفعت الريح الهوجاء، العاصفة بسرعة ٩٥ كيلومتراً في الساعة، سيلا من الثلوج بلغ عمقه حتى خواصر الرجال وراح كل منهم يكافح لمجرد الصمود باستقامة تحت حمل بلغ وزنه ٣٠ كيلوغراماً. غير ان ويلي أنصت الى ما وراء ولولة العاصفة، وحدد سمعه ترقباً لانبثاق الصوت الذي يخشاه المتسلقون أكثر من سواه، ألا وهو هدير اندفاع التيهور او النهر الثلجي، وهذا موسمه.

وكان ويلي نفسه اختار سلوك هذا الطريق عبر ممر كادافر، لأنه أقصر سبيل الى المخيم على رغم انه عرضة لانزلاق الثلوج. وهو لم يتخذ قراره حول هذا الامر الا بعد تفكير طويل ومناقشته مع تلامذته الذين اجمعوا على اهمية الخروج من محور العاصفة في اسرع وقت ممكن، قبل ان يستبد بهم الارهاق وتهبط حرارة أجسامهم، وكانت خيامهم تمزقت في الليلة السابقة من جراء العاصفة الثلجية، ولم يبق أمامهم سوى سلوك ذلك المنحدر المتجمد، لأن قضاء ليلة أخرى فوق نهر جليدي تتكسر عليه العواصف أمر لا يمكن التفكير فيه مطلقاً.

نسيج الجبال – لقد نسجت الجبال سيرة ويلي انسولد وعمت شهرته العالم كأحد أبرز المتسلقين. وهو الذي اشترك في قيادة فريق لتسلق المرتفعات الغربية الخطرة من جبل ايفرست العملاق عام ١٩٦٣. وهو أول من تسلق جبال ماشربروم في كشمير عام ١٩٦٠ وجبل نوشين الثاني في باكستان عام ١٩٧٤.

وأفلح ويلي في اشراك مئات

الطلاب المتحمسين من كلية ايفرغرين، التي ساهم هو في تأسيسها عام ١٩٧١، في مباهج التسلق والولع به، وذلك من خلال برنامج للنشاطات غير الاكاديمية التي يتعلم فيها الطالب بالممارسة والاختبار الشخصي كيف يواجه تحديات البيئة الطبيعية.

ان المهارة التي يكتسبها الطلبة من خلال الرحلات التي ينظمها ويلي اعتبرت ثانوية بالنسبة الى هدفه الاخير المتمثل في غرس القدرة على اتخاذ قرار سليم في شتى الظروف وتنمية روح التعاون مع الآخرين والروح القيادية.

لكن نجم ويلي في التسلق أخذ يأفل وهو الآن في الثانية والخمسين ويشكو باستمرار من آلام التهاب المفاصل ويعرج في مشيته، مستعيناً بمفاصل اصطناعية في وركيه. كما ان الصقيع سلبه خلال حملة ايفرست تسعاً من اصابع قدميه. ولكن هاهو يشد جسمه الى ثلاثة متسلقين آخرين ويتقدمهم عبر درب شديد الانحدار. وفجأة تقوضت الارض من تحت ارجلهم، فغاصوا أربعتهم - ويلي وجاني ديبنبروك وفرانك كابلان وبيتر ميلر - وانزلقوا في تلافيف دوامة طاحنة من الثلج والجليد ما هي الا التيهور الذي خشيه ويلي أيما خشية!

يذكر كابلان انه شعر بانعدام وزنه وهو يتهافت كفراشة في مهب الريح. لكنه، في غوصه، تذكر ما تعلمه من ويلي، وهو ان كرات الثلج الناعمة الخفيفة المتطايرة في التيهور سرعان ما تيبس لتصبح كالقبر الحجري فور ركودها في مستقر لها على سطح الجبل. لذلك سارع هو الى "السباحة" على صدره في اتجاه سطح التيهور تفادياً للغرق في لجة الامواج الثلجية التي تلاطمت من فوقه. وحين قلبه التيار عاكساً وجهته، بادر كابلان الى مواصلة السباحة على ظهره، مسخراً الخوف الذي تملكه للنجاة من محنته، وعاملا بنصيحة ويلي الآتية:

"يمكن أن يكون الخوف الشديد حافزاً لك على التعلم. فأنت، اذ تواجه التحدي وتأبى الاستسلام، ستستمر في العمل حتى في خضم الخوف. وهذا من شأنه ان ينمي في نفسك ثقة لن تفارقك أبد الحياة".

مخالب الثلج - أحس كابلان على انخفاض ١٥٠ متراً فوق المنحدر بأن سرعة التيهور بدأت تخف. فصلى في قلبه من أجل ان يكون توقيته صحيحاً، ودفع بجسمه في محاولة يائسة لاختراق سطح التيهور في اللحظة عينها التي بدأ الثلج يطوق جسمه باحكام. وكان رأسه وأعلى جذعه فوق السطح، فاستجمع كابلان قواه الاخيرة ليسحب ساقه من بين مخالب الجليد الذي تكون لتوه تحت رجليه.

ولم يكد يفعل ذلك حتى أبصر يد رفيقه بيتر ميلر بارزة بارتخاء فوق النهر الثلجي. وبسرعة جنونية راح ينقب الثلج من حوله وأخرجه، ولم يكن يفصل رفيقه عن الموت بالاختناق سوى لحظات، غير ان المعجزة لم تحصل بالنسبة الى كل من ويلي وجاني ديبنبروك اللذين عثر عليهما مطمورين تحت طبقة من الثلج والجليد تراوح كثافتها بين نصف متر

ومتر وقد اودى ذلك بحياتهما معاً.

ولم يصب التيهور سائر الطلاب الذين بدأوا يتوافدون مشدودين بعضهم الى بعض بالحبال الى مكان الحادث حيث أمضى ايان يولس وبروس كليفتون اكثر من ساعة يحاولان عبثاً نفخ الحياة في جسدي ويلي وجاني، بينما وقف الجميع بصمت لا يصدقون ما يرون، لأن ويلي كان يملأ حياتهم بروحه وكلماته واغانيه وحبه للحياة. وكان صباح اليوم نفسه قد انشد لهم اغنية جعلت صوته المفعم بهجة يبدو كأنه يهدر من كبد السماء. أما الآن فقد ذهب ويلي، مخلفاً طلابه وحدهم وسط نقمة العاصفة.

وساءت احوالهم حين بدأ عدد كبير منهم يعاني اضافة الى اعراض المراحل الاولى للصدمة، هبوطاً في درجة حرارة الجسم. كما انخفض مجال الرؤية الى بعد تسعة امتار فقط وأوشك الليل على ارخاء سدوله. وما لم يبلغوا مخيم ميور، فسيكون من اليسير أن يلاقوا حتفهم نتيجة التعرض للعوامل الجوية، خصوصاً لأن حرارة الجو انخفضت الى درجة أدنى من قبل.

قوة التعاون ـ ادار ميلر جهاز البث والاستقبال الذي كان يحمله ويلي واتصل بفرقة خفر غابات جبل رينيير. لكن الجواب جاء كئيباً: "يتعذر ارسال طائرة هليكوبتر حتى يصفو الجو!" انهم وحيدون حقاً وما من احد ينجدهم. وعلى وجه السرعة آلت مسؤولية قيادتهم الى ايان يولس، المتسلق المحنك الذي ينزع بطبعه الى حب العراء والتعامل مع الطبيعة بعيداً عن سواها. وما ان تسلم يولس زمام مسؤوليته حتى بادر الى تطبيق احد قوانين التسلق التي تعلمها من ويلي:

"عليك بالتعاون. ان المجتمع منظم بحيث يتلاءم والاهواء الفردية. ولكن في الجبال ينبغي اعتماد بعضكم على بعض من اجل البقاء".

اوكل يولس الى كل من بروس اوسترمان وجيف كاسبولت قيادة المقدم كيما يتمكن هو شخصياً من مراقبة بيتر ميلر عن كثب بعدما تضعضعت احواله نتيجة حادث الموت الذي شاهده والضربات التي نالها من جراء سقوطه مع التيهور الثلجي. وقاد كاسبولت فريقاً طليعياً من اربعة افراد. وتبعه اوسترمان على رأس الفريق الثاني، فيما سارت وراءهما ثلاث فرق أخرى.

وأكد يولس للجميع ان "كل شيء وقف على مدى حذركم وتنبه بعضكم لبعض".

شرع كاسبولت في السير على المنحدر الجليدي المعروف باسم "كاوليتز" الساعة الثالثة بعد الظهر. ويقع هذا المنحدر في اسفل ممر كادافر مباشرة. وقرر كاسبولت وجهة انحداره الصحيحة من قياس الزاوية التي كانت تشقها قدماه فوق صفحة الثلج العميقة والثقيلة. على انه اعتمد في شق طريقه حاسة اللمس بقدميه اكثر من اعتماده حاسة البصر في ذلك الابيضاض القطبي. ولكم منّى النفس بأن يكون اختار الوجهة الصحيحة. لكنه نبذ القلق، مدركاً صحة رأي ويلي بعدم جدواه:

"اذا التزمت وجهة معينة، فسر

واثقاً وحافظ على مسارك. فثمة وقت ينبغي فيه الانطلاق بوثبة من الايمان".

حاول ديفيد رايدلي جاهداً، وهو يقود الفريق الثالث، ان يحافظ على الفريق الذي يتقدمه في نطاق رؤيته. لكن الفريق الثاني اختفى من امام عينيه في عشر دقائق وسط دوامة بيضاء عصفت من حوله ونثرت حبات الجليد الجارحة على وجهه ونفخت الحمل على ظهره حتى غدا كالشراع ممدوداً في وجه الريح، يتقاذفه ذات اليمين وذات اليسار ويوقعه احياناً على ركبتيه. وتذكر ديفيد قول ويلي:

"تجلد في وجه الريح العاتية، واطرد من رأسك الافكار المضطربة. ومتى انحبست الريح بعض الوقت، فسر بأسرع ما تستطيع. ولتكن أفكارك واضحة كما في اي من الازمات، وركز اهتمامك على ما هو اساسي".

في مهب الريح - حافظ يولس على مساره وراء فريق رايدلي وبالقرب من ميلر الذي كان يتعثر في مشيته من أثر الدوار. وفجأة عصفت ريح رفعت ميلر قليلا فوق الارض، فأخذ يحبو على كلتا يديه ورجليه فوق الثلج قبل ان ينهار كلياً ويرتمي في مكانه. وعندما تقدم منه يولس وانتشله واوقفه على قدميه، صاح فيه متحدياً زمجرة الريح: "هيا يا بيتر! يجب ان نتحرك باستمرار، لأن في الحركة أملنا الوحيد في النجاة". وتذكر قول ويلي:

"اعتنوا بعضكم ببعض، وتقاسموا طاقاتكم الفردية مع المجموعة. وحذار ان يشعر اي منكم بأنه وحيد وفي معزل عن الآخرين. فذلك نذير باخفاق حملتكم".

وسمع يولس صرخة رايدلي من امامه: "انجدوني". فهو اراد اعفاءه من مهمة القيادة بسبب ارهاقه الشديد. وتقدم يولس ببطء وسط طبقات الثلج حتى ادركه واحتل مكانه. وبينما هم ينقلون اقدامهم شبراً شبراً، دهم القلق ذهن يولس الذي خشي ان يكونوا قد ضلوا الطريق. وبعد هنيهة عثر يولس على عصا تركها كاسبولت وراءه كعلامة يهتدي بها الآخرون الى موقعه. ولذلك صاح يولس: "اين انتم، يا جماعة؟" لكنه لم يسمع جواباً عن سؤاله. وخطرت له فكرة ضرورة "متابعة السير والثقة بالنفس".

وصل يولس مع جماعته في الرابعة الى مرتفع أشرفوا منه على بقية الفرق الطليعية التي كانت تنتظرهم. وصاح يولس فيهم: "يجب ان نبطىء سيرنا قليلا ونبقىعلى مقربة بعضنا من بعض". ولاحظ يولس ان شيري غيرسون ومارجوري بطلر اصبحتا على حافة الانهيار العصبي، فطوقهما بذراعيه وطمأنهما بقوله: "سنفلح... سنفلح باذن الله، ولكن ينبغي ألا نتوقف عن السير".

لم يفلح كاسبولت في التخلص من صورة ويلي التي انطبعت في مخيلته: وجه ذو احمرار ارجواني وهيئة مفزعة بعدما حُشر الثلج في منخريه ووجنتيه... أتراهم يموتون هم ايضاً على هذا النحو؟ وللمرة الاولى في حياته، رفع كاسبولت صلاة صادقة الى الرب من اجل روح ويلي وجاني. وابتهل اليه تعالى من اجل ان يصحو

الجو وان تظهر له علامة يتحقق بها من انه يقود الآخرين في الطريق الصحيح نحو مخيم مير.

الخندق العميق ـ انخفضت الرؤية الى اربعة امتار ونصف متر، وغدت خطوات المتسلقين ثقيلة ورتيبة، تغوص فيها الاقدام في الثلج وتنتشل منه في وقع آلي وعناء كبير. وكان لخطواتهم صوت كالخبط الذي لا ينقطع. وعلى حين غرة تبدلت نغمة الحركة. لقد زلت قدم كاسبولت فوق شفير صدع في الممر الثلجي شبيه بالخندق، عمقه اكثر من متر وعرضه ٤٥ متراً وطوله مئات الامتار. انه خندق حفره تيهور ثلجي سابق. وكان الهبوط فيه أشبه بالولوج في فوهة مدفع.

وخفق قلب كاسبولت خفقات قوية، لكنه شق طريقه بحرص فوق الجليد الى ان بلغ الطرف الآخر غير المتجمد. وتبعته على مقربة منه ديمبسي. الا ان رفيقتها ندا شرويدر، التي كانت تعرج بسبب تيبس احدى ركبتيها، لم تستطع ان تثبت قدميها على السطح الجليدي، واخذت تنزلق بخطورة مع الانحدار.

وصرخت فيها بينا: "قفي مكانك! سأتولى سحبك بالحبل". ودقت بينا فأسها في الجليد للتمركز في مكانها، وبدأت تجر وندا فوق الجليد مسافات قصيرة لا تتجاوز المتر كل مرة، مما تطلب من الفتاتين كلتيهما بذل جهد كبير تجاوز طاقتهما على الاحتمال. وتعثرت وندا في منتصف الخندق وكبت فوق الجليد. لكن بينا صاحت بها: "هيا انهضي! ففي امكانك اجتياز المسافة".

ونهضت وندا وشدت قبضتها على الحبل باحدى يديها، ورفعت باليد الاخرى فأسها في الهواء وهوت به على سطح الجليد المرة تلو المرة في كل خطوة من خطاها. وكانت الريح مثل كائن حي تلسع جسمها بالسياط الجارحة. لكنها وصلت، بعد جهد، الى الضفة الآمنة من الخندق، وتبعها يولس الذي انزلق على نحو خطر من اول الخندق حتى آخره. وما ان بلغ شاطىء الامان حتى خطرت له فكرة رهيبة تمثلت في ادراكه ان ما سيحدث في نهاية الامر انما هو خارج عن نطاق سيطرته الفردية، كما هو خارج عن نطاق السيطرة الجماعية للمتسلقين، وان جل ما في استطاعتهم هو التخفيف من قوة المخاطرة فقط، وانهم لن يقووا على النجاة بأنفسهم اذا شاءت الطبيعة نقيض ذلك، حتى وان كانوا على الدرب المستقيم الذي يفضي بهم الى مخيم مير. ولذلك كان ويلي يعد التسلق اعظم مختبر في العالم للدرس والتعلم عن الحياة:

"الجوع والعطش والبرد والاجهاد وحدود الجسم والذهن ـ هذه كلها ستشعرون بها. وفي ذلك عبرة من الطبيعة، بل فيه ما هو أكثر اهمية: مقابلة الذات وجهاً لوجه".

ثلج وظلام ـ بلغت كثافة الثلج والجليد فوق قلنسوة المعطف الذي كان يرتديه اوسترمان سبعة سنتيمترات او ثمانية حين وصل الى كاسبولت ليريحه وينوب عنه في قيادة الطليعة. واشتد انجراف الثلج مع الريح حتى بلغ في بعض الاماكن علواً يختفي معه صدر الانسان. ولم

يعد يفصل المتسلقين عن ظلام الليل سوى ساعة واحدة. وادرك اوسترمان انهم ما لم يهتدوا الى المخيم بسرعة، فان بعض زملائه لن يرى المخيم ابداً.

وفكر لتوه في حفر كهف في الثلج يؤمن لهم بعض الدفء. غير ان الريح العاتية ودرجات التجمد الشديد ستجعل من المستحيل بناء مثل هذا الكهف. لذلك اختار اوسترمان بصفته الآن قائد الطليعة، مواصلة السير.

ومع الرابعة والنصف انخفضت الرؤية الى ما دون الامتار الثلاثة وبدت في الافق بوادر عتمة الغسق. وتشاور اوسترمان مع يولس وكاسبولت، وصاح فيهما متسائلا: "هل تظنان اننا نسير حقاً في الاتجاه السليم؟ الا ينبغي ان نكون على ارتفاع أعلى؟"

ومشى الثلاثة بقنوط شديد نحو الحافة المرتفعة من المنحدر واجتازوا فوقها قرابة عشرين خطوة من غير ان يلاحظوا أي تغير في مظهر الجبل. فهل ضلوا الطريق؟ وتساءل اوسترمان في نفسه: "الى متى سنصمد؟"

اننا أحياء! — تبدل اتجاه الريح هنيهة انكشفت معها مجموعة من الصخور امامهم. وبما انهم كانوا يعرفون انه ما من صخور على سفح الجبل الجليدي، فلم يراودهم شك في انهم ضلوا الطريق! ولمح كاسبولت شيئاً ناتئاً تحت الثلج كأنه الانبوب، ولكن سرعان ما تبين انه خيط جليدي مشدود الى صخرة! أيعقل ان يكون هذا حبل غسيل؟ أتراهم بلغوا مير أخيراً؟ وراحوا يركضون في الاتجاهين وسط الثلج العميق، باحثين عن علامة، حتى اصطدموا بالحجار التي يتألف منها كوخ المخيم في مير. وباستثناء بقعة واحدة كشفت فيها الريح جزءاً من الباب الصغير، فقد اختفى المبنى المربع كلياً تحت الثلوج المنجرفة. وصاح اوسترمان بأعلى صوته: "يا ألله! نحن هنا... لقد وصلنا... اننا أحياء".

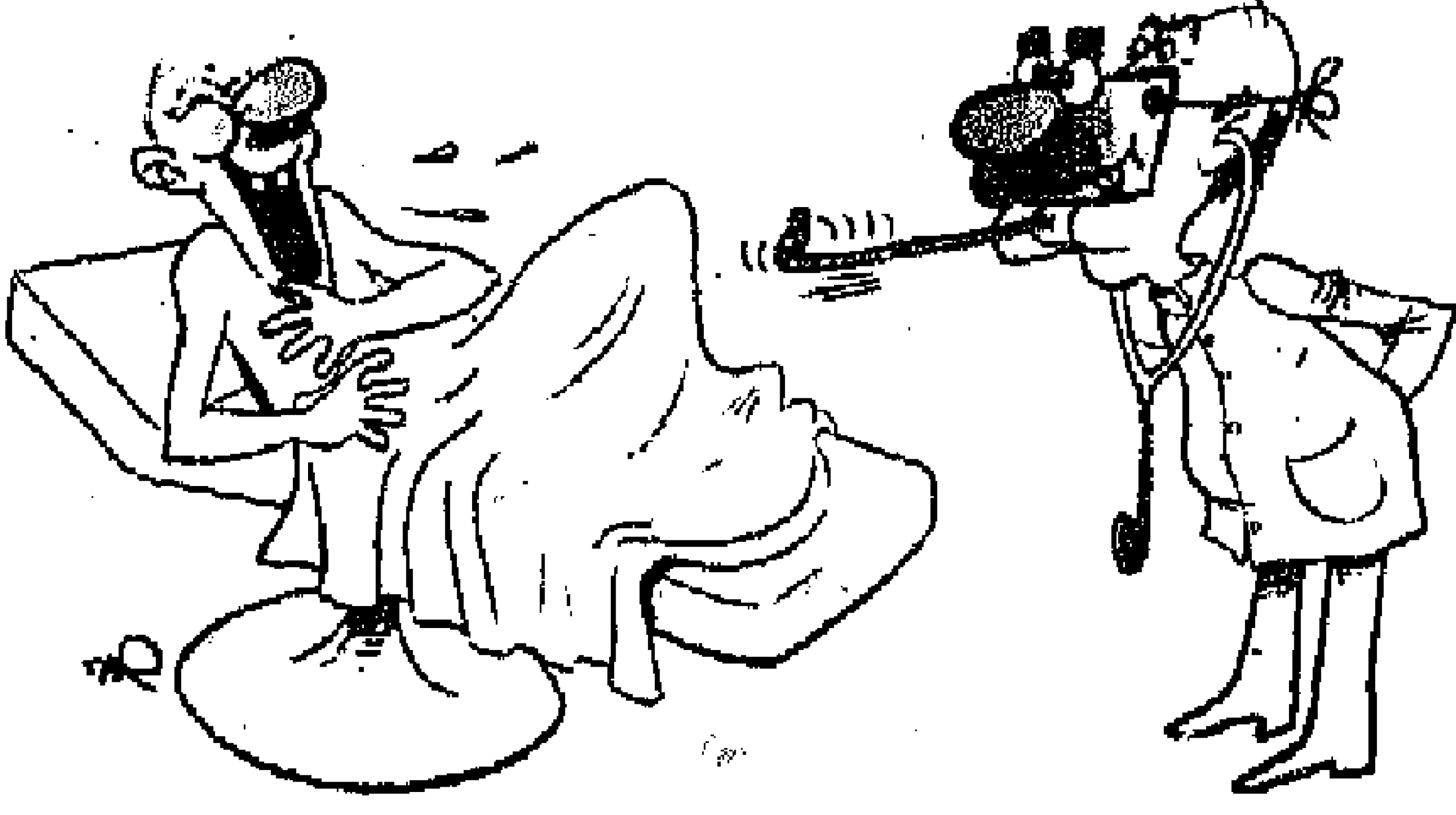
واستمرت العاصفة في انقضاضها على الجبل طوال اليومين التاليين. لكن الجماعة في مأمن الآن، وقد نجا افرادها باعجوبة من أي اصابة خطرة باستثناء الرضوض والارهاق الشديد والاسى البالغ لفقد اثنين من زملائهم. وتراصوا بعضهم الى بعض طلباً للدفء وتجاذبوا أطراف الحديث ساعات طويلة عن ويلي وجاني وعن التجربة القاسية التي عانوها أنفسهم واكتشفوا امورا كثيرة، من خلال احاديثهم، عن انفسهم وعن طاقاتهم. ولكم كانت مثل هذه الجلسات تروق ويلي!

وأخيراً خمدت العاصفة ووصل فريق الانقاذ من حراس الجبل الى مخيم مير. وتخلف كل من كاسبولت واوسترمان لاحضار جثتي الفقيدين. اما الآخرون فما ان بلغوا الجموع المنتظرة عند مركز "فردوس السياح" في جبل رينيير حتى اطلقوا حناجرهم في مقطع من احب الاغاني الخاصة بالتسلق الى قلب ويلي:

"لا يمكن قتل الروح.
انها كالجبل
قدماً وعتوا
وصموداً الى الابد".

■ تيري وهاربيت كينغ

الضحك خير دواء



"عاشت الاسامي"

لم تكن سيارتي الجديدة قطعت سوى بضع مئات من الكيلومترات حين صدمها باحد جانبيها سائق شاب رفض التقيد بأولوية حق المرور، وفقدت رباطة جأشي، وسألته ما اذا كان مجنونا،
وهنا جاء الشرطي، وبعدما انهى المعاملات الكتابية، سألني "هل تبادلتما، ايها السيدان، اسميكما؟"
غير ان الشاب، الذي كان قد احس بالكآبة والحزن لدى ثبوت خطأه، عاد وانتفض فجأة وقال: "اجل يا سيدي، انني لم اقل شيئاً، ولكن كان يجب ان تسمع الاسم الذي دعاني به".

ر.م.

بؤس الملايين

صحا رجل من غيبوبة عام ٢٠٠٠، وكان اول ما فعله ان رفع سماعة الهاتف للاستفسار عن قيمة اسهمه المالية، فجاءه الجواب ان حصته في احدى الشركات تبلغ خمسة ملايين دولار، وفي شركة اخرى عشرة ملايين. فقال: "آه، اني غني الآن".
وقبل ان يكمل حديثه، قطعته عاملة التلفون لتقول: "لقد انتهت الدقائق الثلاث للمخابرة، الرجاء ان تحول كلفتها الى دائرة البريد، وهي مليون دولار".

مجلة "غريت"

اللهم نجنا...

بينما كنا نزور ابننا في مدرسة الكهنة، التقينا طالباً جديدا عبر لنا عن اعجابه بمبادئ الرهبنة، وهي الفقر والعفة والطاعة. ومشينا معاً الى قاعة طعام كبيرة، وهناك وقعت اعيننا على ما لذ وطاب من المآكل التي اعدها الطباخون اكراما للاهل الذين يزورون ابناءهم في عطلة نهاية الاسبوع. فما كان من الطالب المبتدئ الا ان قال: "اذا كان الفقر هكذا، فكيف تكون العفة يا ترى؟"

ت.ا.س.

حاضر الايام الماضية

حضر الاسكندر الاكبر ويوليوس قيصر ونابوليون احد العروض العسكرية في موسكو، وحين رأى الاسكندر الاكبر الدبابات تمر امامه، قال وهو لا يستطيع تحويل عينيه عنها: "لو كان لدي مركبات حربية كهذه، لفتحت آسيا كلها".
ونظر يوليوس قيصر الى الصواريخ وقال: "لو كان لي سهام كهذه، لحكمت العالم كله".
اما نابوليون فرفع عينيه عن جريدة "البرافدا" التي كان يقرأها وصرخ: "لو كانت لي صحيفة كهذه، لما سمع انسان بهزيمة واترلو".

ب.ن.م.

بعد "زراعة" القلوب والكلى... اجريت تجارب لـ"زراعة" الاذان. وهي جراحة ثورية تعد بانتشال الصم من عالم الصمت الذي يلفهم

... والآن جاء دور زراعة الآذان

استلقت المريضة فوق الطاولة في غرفة العمليات. كانت سيدة صماء في الحادية والثلاثين. وقد اختفت تماماً تحت ملاءة خضراء، ولم يبق منها ظاهراً سوى اذنها اليمنى من خلال فتحة مستديرة. وسلط على هذه البقعة مباشرة ضوء صغير قوي. وجلس الدكتور جان ماركيه، الجراح العالمي الشهير ورئيس قسم الانف والاذن والحنجرة في جامعة انتويرب (شمال بلجيكا)، ينظر عبر مجهر ثنائي العينيتين ويحرك ببراعة آلات دقيقة داخل الاذن.

وكان يتحتم على ماركيه ان يلتزم غاية الحذر، فقد كان يجري جراحة داخل حيز لا يزيد عرضه على ستة مليمترات وطوله على ١٢ مليمتراً ويحتوي على العظيمات الثلاث: المطرقة والسندان والركاب. وتلك اصغر عظام الجسم، ومهمتها نقل الصوت من طبلة الاذن الى الاذن الداخلية. فاذا صدم مشرط الجراح تلك العظام فان الصدمة تعادل، صوتياً، انفجاراً عنيفاً وقد تؤدي الى عطل دائم في عصب المريض السمعي.

وبمهارة فائقة اقتطع ماركيه ما تبقى من الطبلة المثقوبة وأخرجه بالملقط. عندئذ احضرت الممرضة زجاجة صغيرة مليئة بسائل ماء، فأخرج

منها ماركيه انبوبة رمادية بدت كأنها من البلاستيك اللين. تلك كانت اذناً وسطى سليمة وهبها شخص قبل وفاته.

وفصل الجراح الطبلة المستديرة كالطبق ووضعها بدقة داخل التجويف الدائري الذي سبق ان استأصل منه الطبلة المصابة. ثم جذب الجلد فوق حواف الطبلة المزروعة من الجهتين، الداخلية والخارجية، وأعاد الاذن الخارجية الى وضعها الاصلي. وتولى احد معاونيه تثبيت حاشية الجلد خلف الاذن ثم خاطها. وقد استغرقت الجراحة نحو ساعة.

وكانت السيدة تعمل سكرتيرة، وهي شبه صماء منذ الطفولة. ولم يكن في مقدورها سماع الاصوات التي يقل ارتفاعها عن ضوضاء شارع مفعم بالضجيج، اي نحو ٥٠ ديسيبل (وحدة قياس قوة الصوت).

وقال ماركيه بعد الجراحة: "عندما تفيق السيدة سوف تسمع افضل مما كانت تفعل طوال حياتها".

وفي الحقيقة، عندما خرجت السيدة من المستشفى بعد خمسة ايام هتفت: "انها لمعجزة حقاً يا دكتور! اني اسمعك!" وذهبت على امل العودة لاجراء جراحة لاحقة في اذنها اليسرى.

وفي نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٨ شهدت في انتويرب، مع عدد من الجراحين الزائرين من باريس ومونريال ونيويورك، عملية ترقيع بالنسيج المتجانس في منطقة طبلة الاذن. وتتضمن تلك الجراحة استبدال جزء من الاذن الوسطى اتلفه المرض بنسيج مماثل تبرع به احد الواهبين.

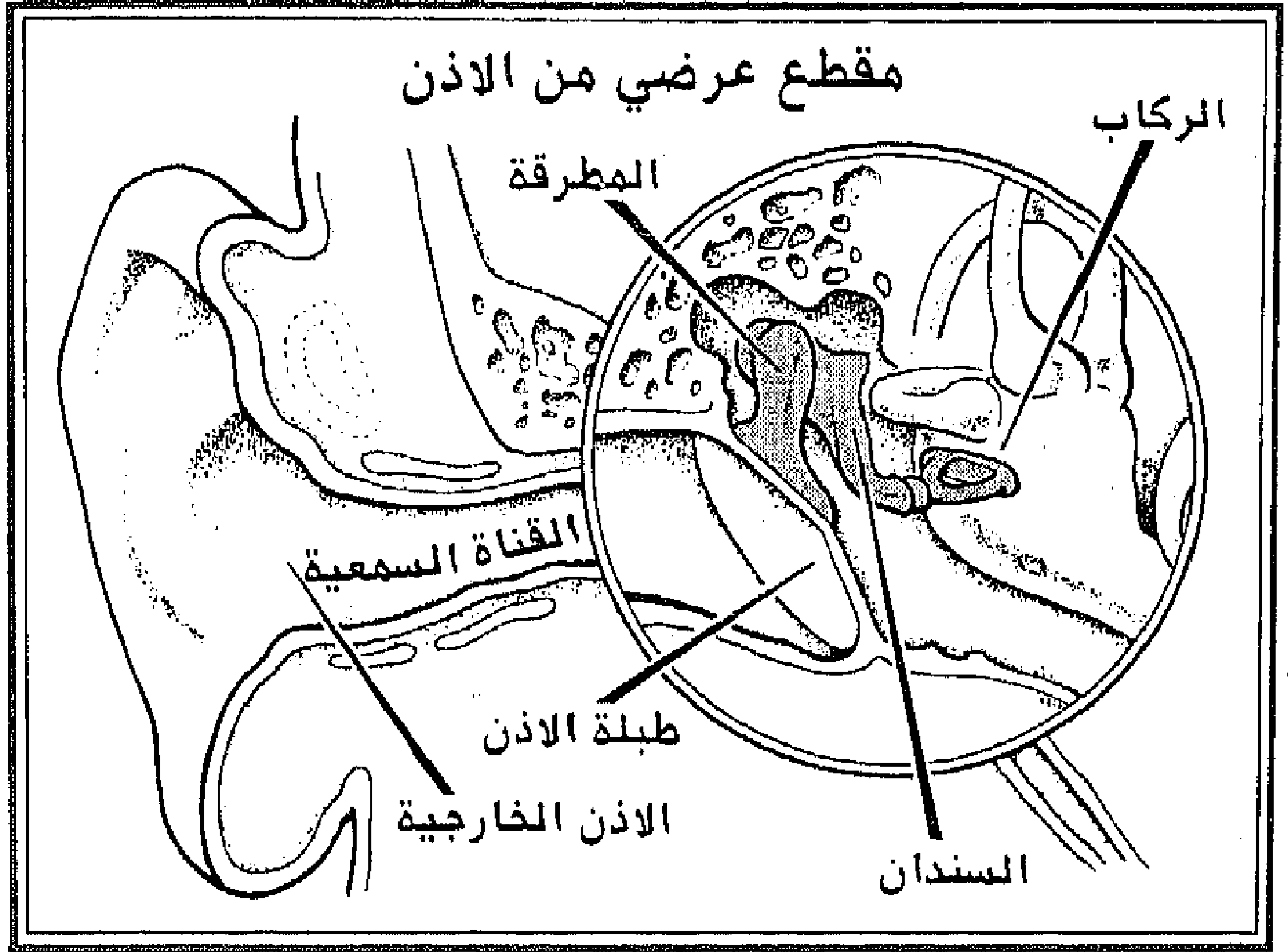
ولم يكن هناك خوف من ان ينبذ الجسم الحي ذلك النسيج الجديد، اذ انه حفظ في مواد كيميائية من شأنها ابطال عمل المولدات المضادة التي يمكنها ان تسبب النبذ. ولم تكن هناك اي صعوبة في تثبيت الرقعة في الاذن. ذلك لان حجم الاذن الوسطى هو نفسه لدى الناس جميعاً.

الطبيب الثائر - ان عملية الترقيع بالنسيج المتجانس يمكن ان تشمل زراعة طبلة الاذن اما وحدها واما الى جانب احدى العظيمات او اثنتين منها او ثلاثتها. وهي احدث تطور رئيسي في مجال جراحة الاذن، وبفضلها تم انقاذ عشرات الآلاف من الصمم منذ العام ١٩٦٤.

ويعاني نحو ١٥ في المئة من سكان العالم ضعفاً متفاوتاً في السمع. كما تبلغ نسبة المصابين بعطل قابل للعلاج جراحياً في الاذن الوسطى نحو ٦ في المئة. وقبل ابتكار عملية الترقيع بالنسيج المتجانس كانت الطريقة التقليدية في علاج طبلة الاذن او ابدالها تتلخص في انتزاع قطعة دائرية من غلاف العضلة الصدغية، فوق الاذن وخلفها، ووضعها فوق طبلة اذن المريض المصابة.

وتعتبر هذه الجراحة، ترميمياً، ناجحة الى حد بعيد، اذ انها تسد الثقب الحادث في القناة السمعية بسبب الطبلة المثقوبة. لكنها لا تعيد دائماً الى المريض قدرة جيدة على السمع.

ويقول ماركيه: "لقد كنا ميكانيكيين مهرة. والامر اشبه بعطل في سيارة. فالميكانيكي المتمرس هو الذي يستطيع ان يأخذ القطع اللازمة



من سيارة اخرى، او يحضر تلك القطع بنفسه، كي يصلح السيارة ويجعلها تسير. ومع ذلك فمن المحال ان تعود السيارة الى سابق عهدها. أفليس من الحكمة، اذا، ان نطلب الى المنتج الاصلي اجراء عمليات الاستبدال الدقيقة تلك؟"

بدأ الدكتور ماركيه عمله في زراعة الاعضاء عام ١٩٦٣. واجرى تجارب عدة في نقل اجزاء من طبلات الاذن لسد الطبلات المثقوبة. وظلت تلك الرقع ثابتة في مكانها. فما ان حل العام ١٩٦٤ حتى كان ماركيه مستعداً لزراعة طبلة اذن كاملة.

وكان المريض الاول الذي خضع لتلك الجراحة تلميذاً في الثالثة عشرة من العمر يعاني صمماً مزمناً منذ اكثر من عشر سنين. ولم يكن الصمم مشكلته الوحيدة، بل كانت اذنه دائمة النزف، والطبلة المثقوبة تمنعه عن السباحة وتعوقه عن النشاطات الاخرى.

وشرح ماركيه لوالدي الفتى انه سيعتمد طريقة جديدة يظن انها ذات نتيجة افضل من اي جراحة اخرى. ووافق الوالدان وحققت العملية نجاحاً باهراً. ولم يعد الصبي في حاجة الى اي جراحة اخرى. وهو الآن في الثامنة والعشرين من عمره، ويتمتع بسمع عادي.

وخلال العام نفسه اجرى ماركيه ثلاثين عملية اخرى كان النجاح نصيب ٧٣ في المئة منها. وفي تقديره ان فرص نجاح الجراحة التقليدية في الحالات نفسها لم تتعد الستين في المئة. وفي العام التالي، اي في ١٩٦٥، نجح ٨٨ في المئة من عملياته السبع عشرة.

وفي اجتماع عقدته الجمعية البلجيكية لامراض الاذن والانف والحنجرة عام ١٩٦٦ قدم ماركيه تقريراً عن الجراحة الجديدة. وعندما بدأ الحديث ذهل الجراحون القدامى. وشعر ماركيه بألم عميق لرؤيته

استاذه الذي تدرب عليه يغادر الصالة.

لماذا؟

يرى بعض زملاء ماركيه المحافظين انه كان ثورياً اكثر مما يجب، وانه يتقدم المعرفة الجراحية التقليدية بابعد مما يلزم. ولعلهم كانوا مشككين في كلامه قليلا على رغم ان نقاده انفسهم كانوا يعترفون بانه جراح بارع الى حد بعيد.

ومع ذلك فقد استمرت نتائج ماركيه في التقدم. ودأب على تحسين طريقته في زراعة طبلات الاذن وما تدعو اليه الحاجة من العظيمات.

وثابر ماركيه بعناد على اخبار زملائه بانجازاته. وتأثر به كثيرون، وبدأ يتلقى الدعوات من الاختصاصيين في الدول الاخرى. وخلال زياراته لهم تمكن من تحسين طريقته في حفظ قطع الغيار في افضل حال ممكنة.

حياة جديدة ـ يشكل "التموين" معضلة كبرى بالنسبة الى عمليات الترقيع بالنسيج المتجانس. ففي بلاد عدة تقف الاعتبارات الدينية والقانونية والاخلاقية حائلا دون انتزاع احد الاعضاء من جثة ما. وحتى في البلدان التي تنعدم فيها هذه الحواجز فان اختصاصيي الجراحة الدقيقة، المتمرسين في زراعة الاعضاء، غالباً ما يعجزون عن التوصل الى "قطع الغيار" اللازمة نظراً الى عدم توافر بنك الاذان فيها. كما يصعب ايصال الاعضاء التي يتبرع بها الواهبون.

واضافة الى ذلك فهناك تكاليف الجراحة. ففي البلدان التي تتوافر فيها انظمة صحية حكومية تقدر اتعاب الجراح عادة بواسطة القانون. وبما ان اعداد المواد واجراء عملية زرع العضو يستغرقان ضعف الوقت الذي تستغرقه الجراحة العادية او اكثر، وبما ان الجراحين يتلقون الاتعاب نفسها في حالتي الجراحة التقليدية وجراحة الترقيع بالنسيج المتجانس، فان هناك دافعاً اقتصادياً قوياً للاستمرار في ممارسة الجراحة التقليدية الاسرع. فضلا عن ان تكاليف الاعضاء الطبيعية تفوق تكاليف الاعضاء الاصطناعية بأضعاف. في حين لا تعوض الانظمة الصحية المرضى، عادة، الفرق بين الكلفتين.

وعلى رغم تلك العقبات فان عدد جراحي الترقيع بالنسيج المتجانس يزداد اطراداً كما يزداد عدد الجراحات. وقد اجرى عميدهم ماركيه ما يربو على ٢٠٠٠ جراحة. وفي تقديره ان اكثر من نصف تلك الجراحات اجري على مرضى سبق ان خضعوا لجراحة غير ناجحة او لأكثر.

وأجريت ٢٠٠٠ جراحة أخرى على يد جماعة اطباء ضمت الدكتور بيير رولو، احد ابرز جراحي الاذن في فرنسا، والدكتور غي لاشيه من بوردو (فرنسا) والدكتور رودني بيركينز من ولاية كاليفورنيا الامريكية.

وتحتل اخبار الجراحة صفحات متزايدة في المنشورات الطبية. ويبذل الرواد الاوائل جهوداً هائلة لتعميم طريقتهم. ولا يمضي اسبوع من دون ان يزور عدد من الجراحين الاجانب فريق ماركيه ليراقبوه وهو يجري جراحاته.

ويخصص كل من ماركيه وبيركينز

اسابيع كاملة للسفر في ارجاء العالم حيث يحاضران ويعرضان طريقتهما. وقد نجم عن ذلك ان هناك اليوم جراحين لزراعة الاذن في معظم بلدان اوروبا وامريكا الشمالية والجنوبية وفي عدد من بلدان الشرق الاوسط وآسيا، خصوصاً الهند. ويقدر عدد الجراحات اجمالا بنحو ٢٠ الف عملية ترقيع متجانس حققت منذ اول جراحة اجراها ماركيه على طبلة الاذن عام ١٩٦٤.

ولا شك في ان هذا الرقم يدعو الى العجب، ولكن ليس بالمقدار الذي يثيره التغير الذي طرأ على حياة اولئك الذين اجريت لهم تلك الجراحة.

وتروي نادين بوديل (★)، وهي من النساء المنطلقات سيدة في والاربعين تدير حانوت بيع بالجملة لحساب احد بيوت الازياء الشهيرة في باريس، ان اذنها اليمنى كانت شبه صماء منذ السن الثامنة. ولم يكن في استطاعتها تحديد اتجاه الاصوات. وكانت عرضة لنوبات من الدوار نتيجة افتقارها الى طبلة اذن. واعتادت زيارة جراح مرة كل ثلاثة اشهر لتنظيف الانسجة المصابة. وقد زودها الدكتور رولو بأذن وسطى "جديدة" في يوليو (تموز) ١٩٧٨. فبات في امكانها اليوم تسجيل الطلبات والاجابة عن الاسئلة في وقت واحد، بعدما كانت تضطر الى رؤية المتكلم اولا.

وتضيف السيدة: "اما عن الدوار فقد ذهب الى غير رجعة. لقد كان رهيباً، وكانت النوبات من الشدة مما فرض ان استند الى الجدار حتى تزول".

وتتكرر هذه الروايات في عشرين بلداً على الاقل لدى اشخاص من مختلف الاعمار. ويبدو انهم جميعاً يعثرون في النهاية على عبارة واحدة: "لقد بدأت حياتي حقيقة منذ انتهاء الجراحة".

■ والتر روس

(★) ليس هنا اسمها الحقيقي

الصحة والسعادة

السبيل الوحيد لصيانة صحتك هو ان تأكل ما لا تريد وتشرب ما لا تحب وتعمل ما كنت تأنفه معظم الاحيان.

مارك توين

الاذن والعين

اصطحبت ابني الى احد المتاجر الكبرى حيث رأيت واحدة من معارفي. وما كدت اعرفها على ابني حتى بدأت تقص علينا كل ما يتصل بابنها الذي لا يعرفه كلانا: "كيف انه رياضي رائع، وما عدد الرياضات التي يتفوق فيها، وماذا يقول عنه معلموه، وحتى ماذا ينوي فعله بعد حصوله على الشهادة المدرسية".

وحين تمكنا اخيراً من الانصراف، قال ابني: "اني اتساءل الآن عن عدد الناس الذين لم يروني على الاطلاق، ولكنهم يكرهونني كراهيتي لابن هذه السيدة".

م.ل.

نادي المخفقين

يقول ستيفن بايل، رئيس "النادي البريطاني للمخفقين": "كثيراً ما نبالغ في تقدير النجاح، مع ان القصور هو ما يستوجب التبجيل، فهو الصفة التي تميزنا عن الحيوانات". وفي ما يأتي نورد الصفوة ـ او بالاحرى الحثالة الرائعة ـ التي استخلصها بايل من حكايات اشخاص "اخفقوا في مهماتهم الى حد اصبحت اسماؤهم منارات ترشد الاجيال القادمة".

اللص الخائب ـ في العام ١٩٦٩، في مدينة بورتلاند (ولاية اوريغون الامريكية)، حاول لص السطو على احد المصارف. فكتب تعليماته على ورقة قدمها الى امين الصندوق وجاء فيها: "هذه عملية سطو، وانا احمل مسدساً". وانتظر الموظف المشدوه بينما تناول اللص ورقة ثانية وكتب عليها: "ضع النقود كلها في كيس من الورق". وعندما دفع اللص بهذه الورقة عبر الحاجز الخاص قرأ امين الصندوق ما فيها، ثم اضاف في اسفلها: "ليس لدي كيس من الورق". واعادها الى اللص الذي ما ان اطلع عليها حتى اطلق ساقيه للريح.

عذر اقبح من ذنب ـ في العام ١٩٧٦ أعلن ان بعض الحافلات توقفت عن نقل الركاب المنتظرين على الطريق بين بلدتي هانلي وبغنال في انكلترا. وقال آرثر تشولرتون، عضو المجلس الاقليمي، مبرراً هذا القرار: ان الحافلات لو توقفت لأخذ الركاب لأخلت بجدول المواعيد المقرر لها.



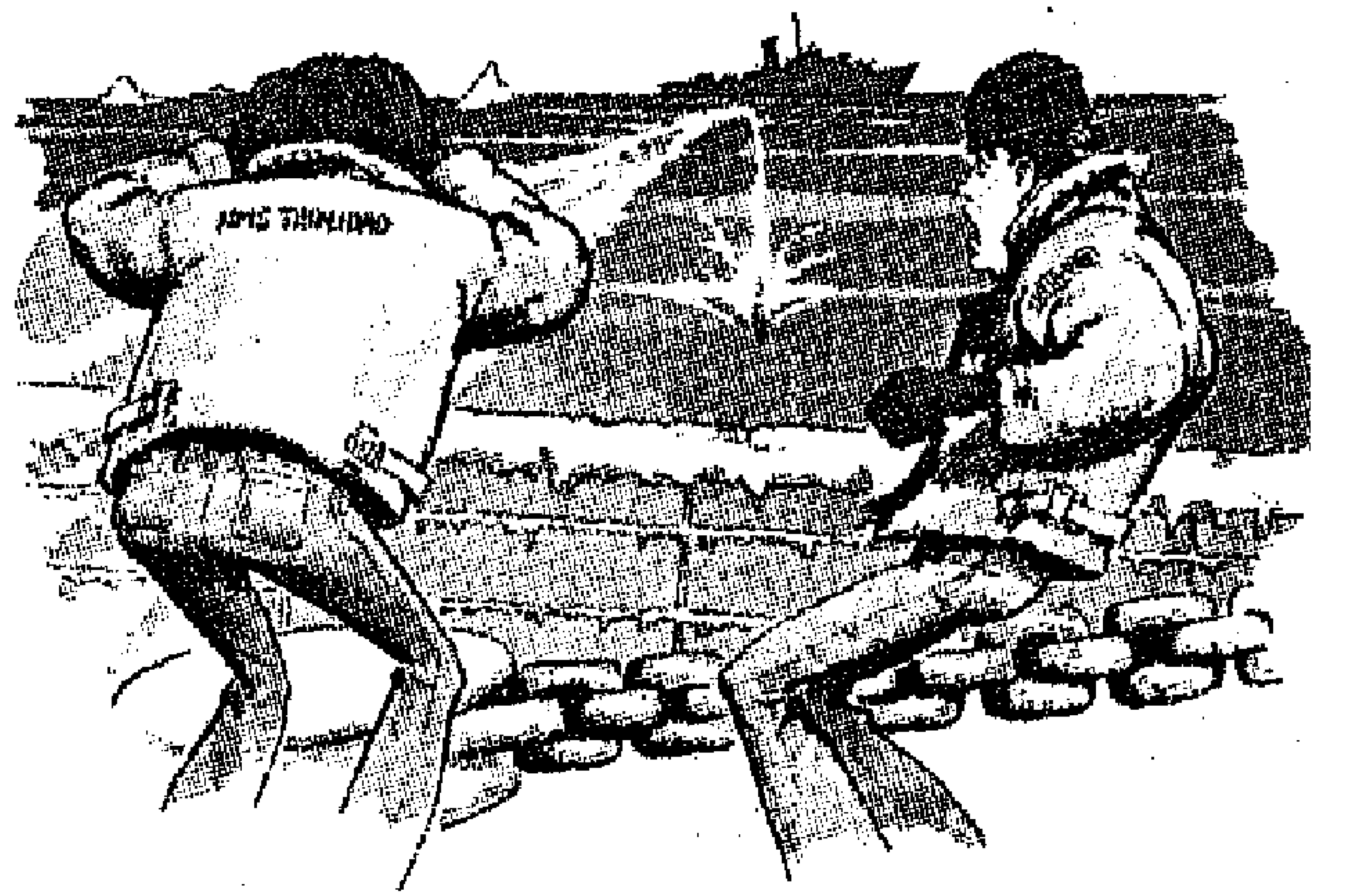
ليتها ظلت عالقة! ـ خلال اضراب عن العمل قام به رجال الاطفاء في يناير (كانون الثاني) ١٩٧٨، تولى الجيش البريطاني مهمة اطفاء الحرائق في البلاد. وحدث في جنوب لندن ان علقت قطة تملكها امرأة عجوز فوق شجرة سامقة. فاستدعت العجوز احدى وحدات الجيش التي انقذت القطة. وشاءت العجوز ان تعرب لافراد تلك الوحدة عن امتنانها، فدعتهم جميعاً الى تناول الشاي عندها. ولدى انصرافهم في سيارة

الاطفاء مرت السيارة فوق القطة وسحقتها.

"افضل" برنامج تلفزيوني - اجريت على التلفزيون الفرنسي، في العام ١٩٧٨، مقابلة مع سيدة تقرر عرضها في اوج اوقات المشاهدة. وكانت جريدة "فرانس سوار" قد رشحت تلك المقابلة كأفضل برنامج للسهرة. وعلى أثر استفتاء عام تبين ان تلك المقابلة لم يشاهدها احد اطلاقاً.

الرحالة التائهة - اطلقت حمامة زاجلة من قفصها في بلدة دايفد في مقاطعة ويلز البريطانية في يونيو (حزيران) ١٩٥٣. وكان من المنتظر ان تبلغ قاعدتها مساء اليوم نفسه، لكنها لم تفعل. وبعد مضي ١١ سنة اعيدت الحمامة بالبريد، ميتة، في علبة من البرازيل.

القذيفة الخائنة - في مارس (آذار) ١٩٤٢كانت السفينة الحربية الملكية البريطانية "ترينيداد" تواكب

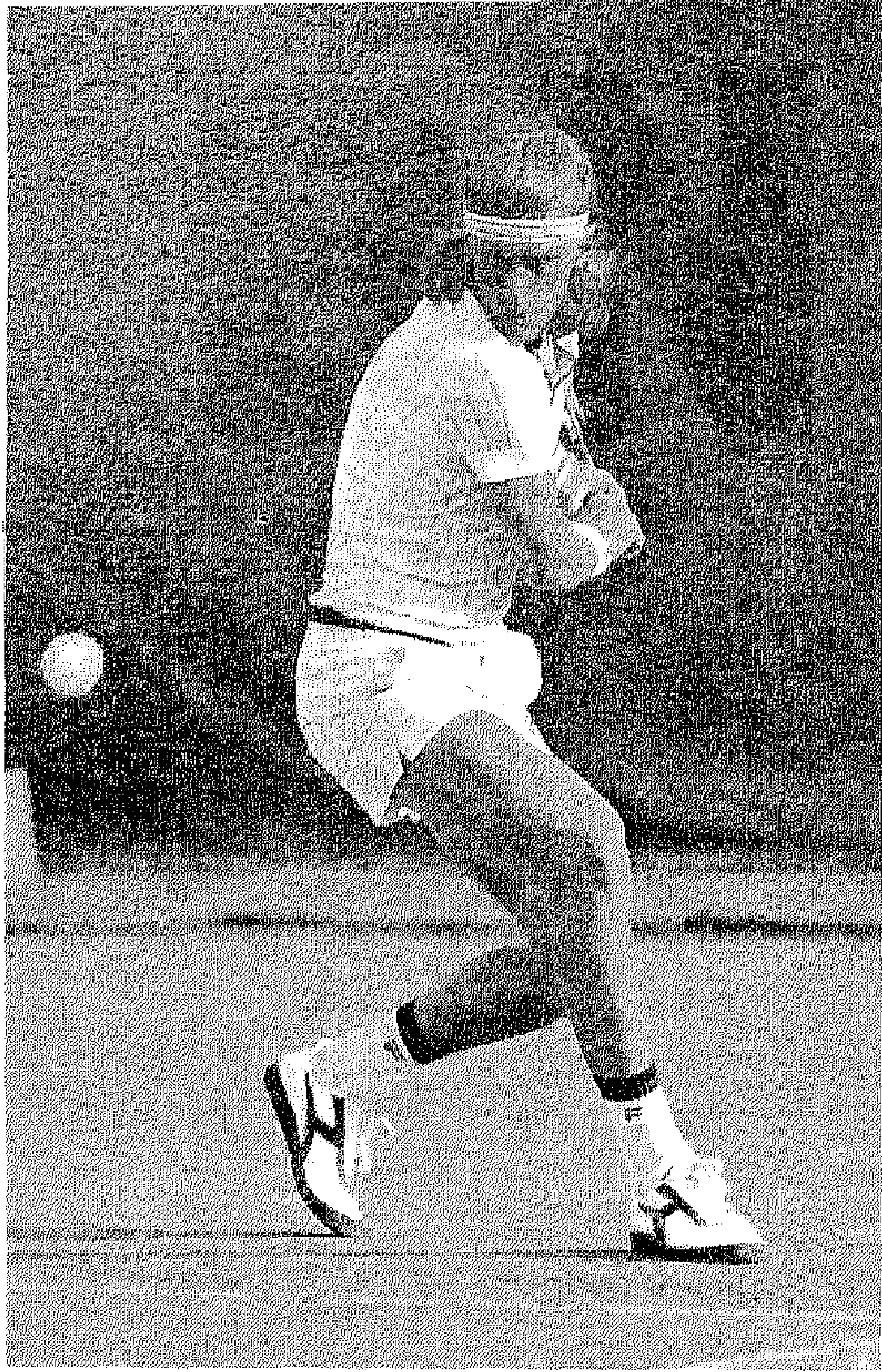


مجموعة سفن تتجه الى ميناء مورمنسك الروسي عن طريق القطب الشمالي. فلمحت في الافق مدمرة المانية. فبادرتها بقذيفة طوربيد انطلقت بسرعة ٤٠ عقدة، اي نحو ٦٦ كيلومتراً في الساعة. ويبدو ان جهاز التوجيه في القذيفة تجمد بسبب مياه القطب الثلجية فلم تلبث ان استدارت ببطء على شكل نصف دائرة وعادت ادراجها الى السفينة التي اطلقتها مسجلة فيها اصابة مباشرة عطلتها عن العمل.

اللاعب الورع - يعود هذا اللقب الشريف الى ايسادور ايرانديرِ، حارس مرمى فريق ريوبريتو البرازيلي لكرة القدم، الذي سجل هدف في مرماه بعد بدء المباراة بثلاث ثوان. وكان ايرانديرِ لا يزال راكعاً يصلي، كعادته قبل بداية كل مباراة، عندما سمع صفير الكرة وهي تمر في محاذاة اذنه لتستقر في المرمى.

تلفزيون العصر الفيكتوري - سجل ليزلي هاليويل في كتابه عن السينما عدداً من الهفوات الفاضحة في بعض الافلام. ففي فيلم "كارمن جونز" صورت الكاميرا مشهداً لبطلة الفيلم دوروثي داندريجوسط شارع في احدى المدن، بينما انعكست وجوه افراد الفريق العامل في الفيلم على واجهات المحلات التجارية. وفي فيلم "الصندوق المغلوط" التقطت الكاميرا مشهداً عن مدينة لندن في العصر الفيكتوري (القرن التاسع عشر) بدت فيه سطوح المنازل وقد علتها هوائيات (انتينات) التلفزيون. وفي فيلم "ليالي ديكاميرون" ظهر الممثل لويس جوردان في دور قرصان من القرن الرابع عشر يقف على متن سفينة شراعية، بينما بدت في خلفية المشهد شاحنة تنحدر من احدى التلال البعيدة.

■ ستيفن بايل



بورغ، الملك

على رغم انجازات هذا البطل الاسطوري
فان المجد لم يفقده اتزانه ولم يعكر صفو روحه

كان الاصيل حاراً في ويمبلدون (لندن)، قبلة العاب المضرب الكبرى، حيث توشك ان تبدأ، على ساحة معشبة، المباراة النهائية لاشهر البطولات الرياضية. وطوال ايام من التنافس الحاد تمت تصفية الغالبية من خيرة اللاعبين العالميين، وبقي على جانبي الشبكة في الساحة المركزية اثنان من ابرع النجوم: بطل امريكا جيمي كونورز، البالغ من العمر آنذاك (٢ يوليو/ تموز ١٩٧٧) ٢٤ عاماً والاكثر حظاً في الفوز، وبطل أسوج

Photo: Sygma/A. Dejean

بيورن بورغ، وعمره ٢١ عاماً. ويفوز في المباراة اللاعب الذي يربح ثلاثة اشواط.

بدأ كونورز المباراة مهاجماً، منتزعاً الشوط الأول ٦ - ٣ واخذ كونورز يتقدم على منافسه سريعاً في الشوط الثاني فيما انتاب المتفرجين، وعددهم ١٥ ألفاً شعور بأن النصر سيكتب للاميركي. لكن بورغ كسب الشوط الثاني، ثم كسب الثالث. لقد كان ذلك الفتى الناحل، الذي يشبك خصلات شعره الاشقر الطويل بعصابة، يرقص كملاكم في حلبة وهو ينتظر كل ضربة كرة ليردها بعنف. وبدا كما لو أن وهجاً خفياً يشتعل في داخله ويؤلبه على جلد الكرة. الا ان كونورز فاز في الشوط الرابع، فتعادل اللاعبان بشوطين لكل منهما.

وينطلق بورغ متقدماً على نده، ويصفع فخذيه ليزيل عنهما انهاك ثلاث ساعات قاتلة في الملعب، ويفوز بالمواجهات الاربع الاولى من الشوط النهائي. الا ان كونورز يحقق التعادل مرة ثانية ٤ - ٤ وفي المواجهة التاسعة الحاسمة، حيث استهل كونورز الارسال، اخذ بورغ يمزج الضربات اللولبية العالية بالاسقاط الضعيف للكرة. واذ لم يكن بورغ في حاجة الى غير هذه اللعبة كي يغدو البطل، فقد اكتشف، بطريقة ما، القوة التي أهلته لانتزاع النقاط الثلاث الاولى. ومن ثم، وبرمية هائلة عابرة من ظاهر اليد، فاز بالنقطة الاخيرة وربح المباراة. وهلل الجمهور فيما بسط بورغ ذراعيه ومدهما نحو السماء مبتهجاً بالانتصار.

لم تكن مباراة الثاني من يوليو (تموز) ١٩٧٧ تلك "واحدة من اعظم المباريات النهائية التي جرت في ويمبلدون على الاطلاق" فحسب - كما كتب أحد المعلقين في جذل - بل كانت كشفاً ملهماً للاعب جسد الشجاعة والثبات والبسالة وأفضل ما في الرياضة من صفات. لقد فاز بورغ ببطولة ويمبلدون عام ١٩٧٦ واحتفظ بها حتى العام ١٩٧٩، ليصبح بذلك اول لاعب في هذا العصر ينتزع تاج ويمبلدون اربع مرات متعاقبة، ثم يحرز (في الثالث عشر من شهر يناير/ كانون الثاني ١٩٨٠)، وللمرة الاولى، بطولة الـ"ماسترز" الاميركية متغلباً على لاعبين عالميين امثال روسكو تانر وجيمي كونورز وجون ماكنرو وفيتاس غارولايتيس. وكان رونالد اتكين من صحيفة الاوبزورفر اطلق عليه لقب "الملك بورغ الرابع". وكرسه الاتحاد الدولي افضل لاعب في العالم خلال ١٩٧٨ و ١٩٧٩.

ومهما تكن عظمة انتصاراته فان هذا "الاسوجي الفذ" ما كان استحق لقبه لو لم يحقق انتصارات متتالية في المباريات الرئيسية الاخرى. ففي العام ١٩٧٧ فاز في ١٣ مباراة من أصل ٢٠ شارك فيها فضلا عن فوزه في ٧٩ في المئة من مجموع الاشواط التي لعبها. وفي العام ١٩٧٨، فاز في ١٢ مباراة من مجموع ٢٢، بما في ذلك فوزه في بطولتي فرنسا وايطاليا المفتوحتين والمهيبتين، وحقق انتصاراً مذهلا بفوزه في ٨٥ شوطاً من مجموع ٩٣. وفي العام ١٩٧٩ فاز في ٩٥ شوطاً من مجموع ١٠٣ اشواط. وهذا السجل القياسي، حتى بالنسبة الى اعظم ما تحقق من ارقام في تاريخ هذه اللعبة، جعل بورغ واحداً من ابطال كرة المضرب الخالدين خلال

السنوات الاربع والعشرين الاولى من عمره٠

سر النجاح ـ ترى ما الذي يمنح بورغ الافضلية في هذه اللعبة المربحة والعنيفة في آن حيث يتهاوى اعظم اللاعبين خلال الصراع بعضهم على بعض كما لو كانوا مقاتلي روما القديمة، ولكن في زي عصري؟

لا بد من الاشارة أولا الى مزايا بورغ الجسدية٠ فهو يتمتع بمنكبين شديدي القوة، وبذراعين ومعصمين كالفولاذ، وبساقين مدربتين تدريباً رائعاً من حيث سرعتهما وتحملهما، وبانخفاض معدل نبضه الى درجة مذهلة هي ٣٩٠ ويكشف بيرسي روزبرغ، مدرب بورغ في فتوته، عن عنصر اكثر أهمية، هو ارادة بورغ الاستثنائية على الانتصار٠ ويفسر روزبرغ الامر بقوله:"يتراخى اللاعبون الآخرون احياناً عندما يكونون في المقدم، أما بيورن فيريد ان يكسب كل نقطة"٠ ويضيف رون، والد بورغ:"لقد أصبح بيورن بطلا لأنه أراد ان يكون كذلك"٠

كان رون بورغ، بائع الملابس في بلدة سودرتلييه الصناعية القريبة من استوكهولم (عاصمة اسوج)، لاعب كرة طاولة بارعاً٠ اما زوجته مارغريتا المفعمة بالحيوية فقد شاركت في مباريات العاب الساحة والميدان للهواة٠

وما ان صار في امكان ولدهما الوحيد المساهمة في الالعاب الرياضية حتى زجا به في الالعاب العائلية والسباقات ورمي السهام واخذا يحثانه على الفوز٠ وتقول والدته في هذا الصدد:"حاولنا تعليم بيورن المثابرة، ليس بهدف الفوز في المباريات بل كي نغرس في ذهنه فكرة بسيطة مفادها الا يتراجع عما اختار تحقيقه في حياته"٠

وتركت الوصية أثرها عميقاً٠ فحين بلغ بيورن التاسعة من عمره اهدى اليه والده مضرباً (راكيت)٠ وفي اليوم التالي كان الصبي يرشق الكرات على حائط المرأب٠ وظل كذلك اياماًطويلة٠وكان اقرب ملعب لكرة المضرب يبعد مئة متر عن منزل بورغ٠ فراح يقضي ايام الصيف كلها هناك من السابعة صباحاً حتى التاسعة مساء٠ وكثيراً ما استفز الصبية الاكبر منه عمراً عارضاً اللعب معهم كي ينتهي بالفوز عليهم في معظم الاحيان٠

ومع ان مضرب بورغ كان من الطراز الخفيف الا انه ظل اثقل مما احتملت كتفا الصبي٠ فكان يستعين بيديه الاثنتين٠ ولأنه افتقد التدريب السليم فهو اضطر الى أرجحة المضرب بتحريك معصميه كما اعتاد في لعبتي كرة الطاولة وهوكي الجليد، وذلك اسلوب خاطىء في نظر واضعي كتب تعليم كرة المضرب٠ لكن بيورن لم يكن يعرف ذلك ولم يأبه له٠ وسرعان ما بلغ والده انه سيغدو بطلا، فكان جواب رون بورغ انه لا يرى عائقاً يحول دون محاولة ذلك٠

فرصة العمر ـ في العام ١٩٦٨ لفت انتباه بيرسي روزبرغ، وهو لاعب لامع سابق درب خيرة شباب اسوج، صبي ناحل في الحادية عشرة من عمره، وذلك في اثناء بطولة بلدة سودرتلييه٠ ولم يكن الصبي يراعي توقيتاً، كما كان اسلوبه المعتمد على كلتا يديه اخرق٠ لكنه كافح لصد كل كرة٠ وعلى الفور تعهد روزبرغ تدريب

بيورن في نادي استوكهولم العالمي لكرة مضرب الملاعب المعشبة، فيما انتقد المتفرجون طريقة بورغ الغريبة في ضرب الكرات. ومع ذلك فقد لاحظ روزبرغ في دهاء ان ضرب الكرة باليدين معاً يجعلها تسقط على نحو اخرق فيصعب صدها. فقرر الا يعدل اسلوب بورغ هذا بل ان يركز جهوده على زيادة طول الرمية وسرعتها عبر تدريب شاق. ولحسن حظه كان تلميذه ممتلئاً عزماً.

واذ يسترجع روزبرغ ذكرياته يقول: "كان بيورن يطبق كل اقتراح خلال التمارين، كما لو كانت المقترحات مقدسة. وكان، في نهاية كل تمرين، يتوسل الي كي امنحه فرصة اخيرة لضرب الكرة. وكلما حثثته اكثر ازداد نجاحه".

وكان على والد بيورن ان يوصل ابنه الى استوكهولم ثلاث امسيات في الاسبوع بعد ان ينهي عمله، اضافة الى أيام السبت، وذلك كي يتمكن الصبي من حضور التمارين الشاقة. وغالباً ما كان الوالد يضطر الى قطع مسافة طويلة من حلبة الهوكي أو اليها. فعلى رغم استحواذ كرة المضرب على مشاعر بيورن، الا انه كان واحداً من خيرة المتزحلقين في فريق الهوكي للناشئين في بلدة سودرتلييه قبل ان يصبح لاعباً على المستوى الوطني. ولم يتخذ بورغ قراره بتكريس طاقاته كلها للكرة حتى بلغ الثالثة عشرة من عمره.

وفي العام ١٩٧٢ فاز بورغ ببطولة اسوج في كرة المضرب ليغدو اصغر لاعب يفوز بهذا اللقب. ومنذ ذلك الحين اصبح من مدمني المباريات. ففي عطلة الميلاد عام ١٩٧٢ سافر بورغ الى ميامي بيتش في فلوريدا للمشاركة في بطولة المدرج البرتقالي. وحين عاد من المباراة كأصغر لاعب يفوز بتلك البطولة نظم له زملاؤه في الدراسة احتفالا يذكره داغ سودلينغ، احد مدرسيه، بالعبارات الآتية: "تملك بورغ خجل شديد وحاول ان ينسل هارباً من الحفلة. كان يكره ادنى اطراء يوجه اليه" ولا يزال.

عندئذ بدأ لينارت بيرغلن، قائد الفريق الاسوجي لكأس ديفيس، يشرف على تدريب بورغ. وبعد ان حقق انتصارات على العمالقة العشرة الكبار، مثل كين روزوول وآرثر آش، عام ١٩٧٣ حقق بورغ لبلاده أول فوز لها في مباريات كأس ديفيس للعام ١٩٧٥، وفي السنة التالية فاز بتاجه الاول في مباريات ويمبلدون.

وهكذا دخل بورغ عالم لاعبي القمة المحترفين، فأصبح يلعب اليوم في قارة وغداً في اخرى، ويغالب تغيرات المناخ وفترات الطيران الطويلة، مجتازاً المباريات المنهكة التي تدوم خمس ساعات احياناً في أجواء قائظة. بيد انه استمر، على رغم جدول اعماله العسير هذا، في التمرن كما لو ان هوساً اصابه. ويصفه لينارت بيرغلن قائلا: "ان بيورن نموذج رائع لكل من يريد تحقيق انجاز ما في حياته. فهو اعتزم الوصول الى هدف وسعى الى تحقيقه".

تركيز واتزان — وسرعان ما اصبح بيرغلن مدرب بورغ الشخصي المتفرغ ورفيقه في السفر. وهو يصر على ابقاء بورغ بعيداً عن أي هموم خارج نطاق المباريات. ذلك لأن "اقل

تشويش يمكنه ان يقضي على آماله". وهذا ما يؤكده بورغ نفسه الذي لا تتعدى اهتماماته، خارج الملعب، سماع الموسيقى الشعبية والذهاب الى السينما والسباحة احياناً. ويساعد بيرغلن كذلك في اختيار عشرات المنتجات التي يقوم بورغ بالدعاية لها في مقابل مبالغ يقال انها تصل الى ١٥٠ الف دولار، كما في حال الدعاية لمضربه. ويهتم بيرغلن لمضارب الكرة التي ترافقهما في اسفارهما، ويناهز عددها الـ٣٥ مضرباً، ويحفظها في حال جيدة اذ تشد اوتارها الى درجة ضغط شديدة الارتفاع تبلغ ٢٧ كيلوغراماً، وهو المستوى الذي يفضله بورغ.

ومع تزايد الانتصارات التي يحققها بورغ اتضحت حكمة القرار الذي اتخذه بيرسي روزبرغ بألا يحاول تغيير اسلوب بورغ "العجيب". ذلك لان بورغ المحترف غالى في اعتماده اسقاط الكرة من عل مما اكسب ضرباته العنيفة الارتداد، صفة فريدة. ويوضح نجم كرة المضرب الامريكي، آش، ذلك بقوله: "ان أياً من ضربات بورغ لا ترتد اليك باستقامة. فاسقاطاته الهائلة تعطي الكرة شكلا بيضوياً يجتاز الشبكة سريعاً في مسار اهليلجي (بيضوي) ذي ارتداد شديد العنف مما يجعل صد الكرة امراً بالغ الصعوبة". وهكذا صارت الضربات التي تعتمد اليدين معاً والاسقاطات الثقيلة العالية نموذجاً للجيل القادم من اللاعبين، على رغم أننا لا نجد على المسرح بعد من يضارع قوة بورغ الهائلة.

لكن تفوق بورغ ينبع في الدرجة الاولى، من قوة ارادته. فكرة المضرب، في اعلى مراحلها، هي لعبة عقلية. ويصرح أحد كبار المعلقين ان فوز بورغ في معظم مبارياته انما يعود الى طاقته الذهنية. فقدرة بورغ على التركيز هي موضع حسد معظم اللاعبين، اذ انه يلعب "والثلج في احشائه" حسب تعبير مواطنيه الاسوجيين. بل ان اسمه في عناوين الصحف البارزة صار "بورغ الجليدي". لكن بورغ يرد على ذلك قائلا: "ان لدي مشاعر كما لدى الاخرين. وتتملكني احياناً رغبة في تحطيم كل ما يواجهني. لكني انمالك اعصابي لاني اعرف ان ذلك يؤدي الى فقداني القدرة على التركيز".

والواقع ان بورغ شاب جدير بأن يحب، كما وجدته اذ قصدت استوكهولم لزيارته. انه مفخرة لعبة اخذت اعرافها التقليدية تتعرض للتلاشي نتيجة خشونة اللاعبين. ويقول فيه ستان سميث، بطل ويمبلدون للعام ١٩٧٢: "ان بيورن رجل مهذب". أما آش فيضيف: "نحن ندرك ان المرء لن يواجه اطلاقاً مشاكل رياضية مع بورغ. فالمباريات التي نلعبها معه نظيفة و ممتعة".

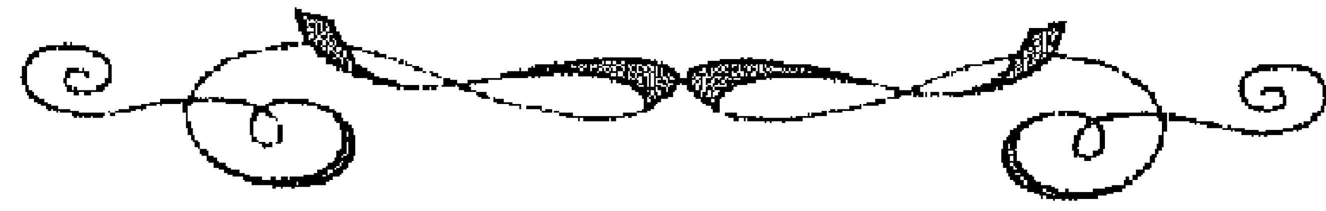
ويلتقي جميع القريبين من بورغ على رأي واحد يلخصه داغ سودلينغ: "يبدو ان المجد لم يفسد بيورن ولم يغيره". فاذا سافر بورغ الى المناطق النائية ارسل بطاقات بريدية الى استاذ الرياضة في مدرسته الثانوية. واذا عاد من السفر، زار زميلا سابقاً في الفريق الرياضي أصيب بشلل في حادث سيارة. بل ان علاقته بوالديه، اللذين لا يكف عن اظهار تقديره لهما، ذات دلالة اكبر

على خلقه، فعلى رغم الاغراءات الكثيرة التي تجابه نجماً رياضياً عالمياً، يفضل بورغ قضاء وقته معهما ومع خطيبته، لاعبة كرة المضرب الرومانية ماريانا سيميونسكو، البالغة من العمر ٢٣ سنة.

ان اسلوب حياة بورغ الهادىء والمتزن وتركيزه الحديدي خلال اللعب سمتان يمكن ان تظلا ميزتين لعالم كرة المضرب طوال عقد من الزمن أو اكثر. لكن التنافس على مستوى القمة يزداد عنفاً كما يلاحظ بورغ نفسه، وهو يضيف: "هناك العديد من اللاعبين المبدعين، ومن الطبيعي ان يحاولوا قهري".

لكن هذا النوع من التحدي هو تماماً ما يوقد الحماسة في صدر بورغ، وهو يقول: "اني فتى محظوظ، اذ لا ازال احب اللعبة، خصوصاً عندما اربح".

■ **جورج فايفر**



من حيوان الى آخر

الفرو هو الجلد الذي ينتقل من حيوان الى آخر.

ا. ش.

خاص برجال السياسة

يؤثر عن السياسي الفرنسي بيار منديس فرانس قوله: "التزحلق على الجليد تمرين رائع لرؤساء الوزارات، اذ انه يعلمهم طريقة السقوط.

غطاء للنوم

بينما كان مارك توين يقوم بجولة في اوروبا، اكد لاحد مفتشي الجمارك ان حقائبه لا تحتوي الا على ملابسه. وفتح المفتش احدى الحقائب واخرج منها زجاجة خمر، فقال: "اظن انك قلت انه لا شيء هنا غير الملابس". فرد توين: "نعم، وفي يدك الآن الغطاء الذي ادفىء به رأسي عند النوم".

مجلة "هوليدي ان"

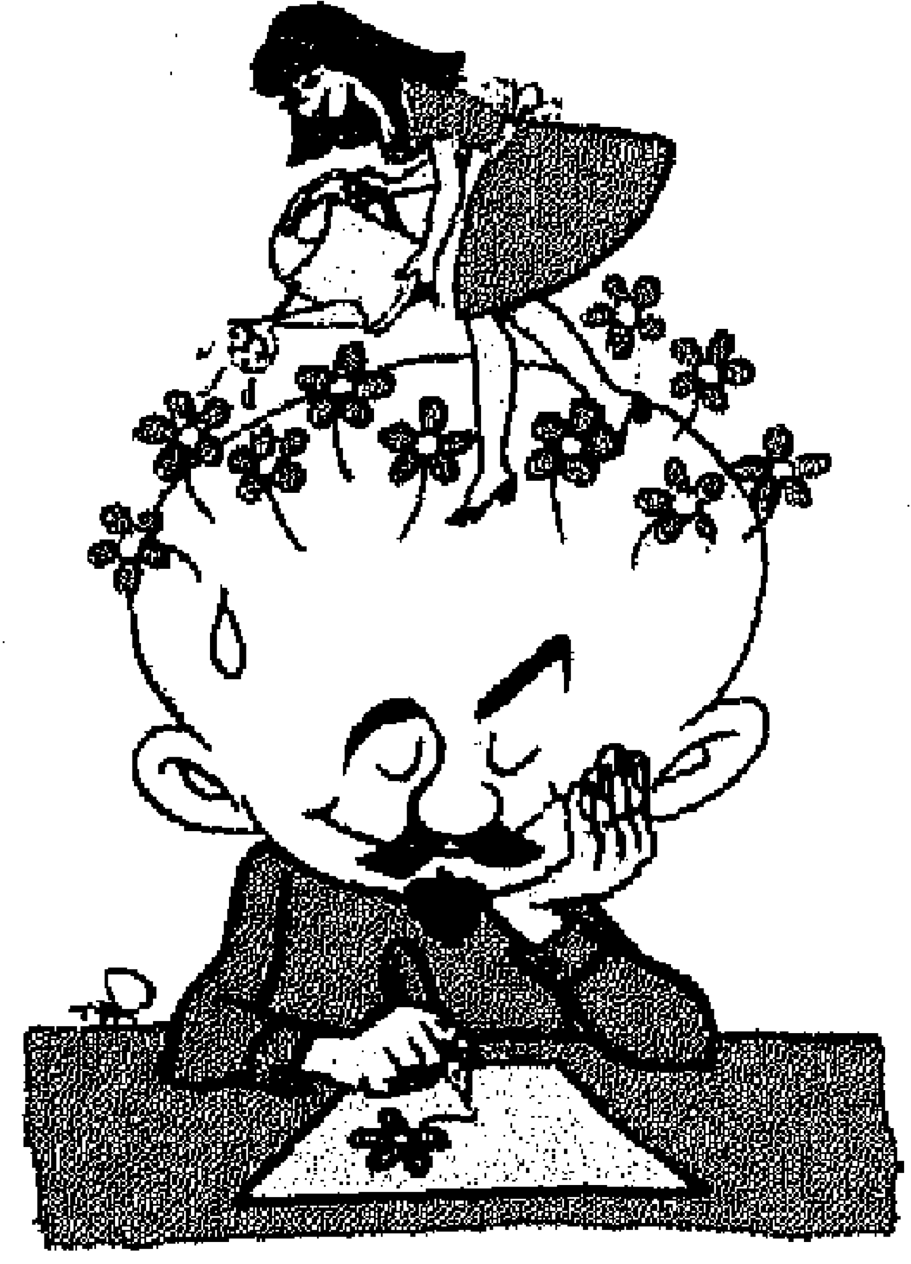
ثورة في التربية

ارسل رجل حوالة بقيمة مئة دولار الى مدرسة بالمراسلة لمتابعة دورة في التخاطر العقلي عن بعد. لكن البريد لم يحمل اليه شيئاً، فاتصل هاتفياً بالمدرسة مسجلا شكواه. فردت عليه سيدة على الطرف الآخر قائلة: "نحن لا نرسل مواد هذا البرنامج بالبريد، بل نوجهها بالتخاطر العقلي".

فقال: "ولكن لم اتلق شيئاً بعد".

ـ أعلم ذلك. فانت مخفق في الدراسة.

ج. ك.



حديقة أفكار

■ ان ارضيت الجميع فلن ترضي احداً.

ايسوب

■ الغرور هو الرمل المتحرك الذي يبتلع النجاح.

ا. هـ. غ.

■ لا يعيد الفن انتاج ما هو مرئي، بل يجعله مرئياً.

بول كلي

■ الحرية هي الحق في ان تكون على خطأ، لا في ان ترتكب خطأ.

ج. د.

■ من كان لديه سر عليه الا يخفيه فحسب، بل ان يخفي ان لديه ما يخفيه.

توماس كارلايل

■ حين كنت اكثر شباباً كنت اتذكر كل الامور، سواء ما حدث منها او لم يحدث.

مارك توين

■ لو اجمع خمسون مليون شخص على قول كلام احمق، فسيبقى ذلك كلاماً احمق.

ر. م.

■ المسافر الجيد هو من لا يعرف وجهته، والمسافر المثالي هو من لا يعرف من اين جاء.

لين يوتانغ

■ صادف احدهم البهلول بين القبور، فسأله: ما تصنع هنا؟ فأجاب: "اجالس قوما لا يغدرونني، وان غفلت عن الآخرة يذكرونني، واذا غبت لا يغتابونني..."

عصام مهداوي، عن "حكم وأدب من مآثر العرب"

شرطي هولندي يبحث عن الحقيقة في دير بوذي

في مزيج غريب من الطقوس البوذية والعمل البوليسي يحبك هذا الرجل قصصاً اجرامية تشغل عقول الهواة

في غضون سنوات قليلة أصبح يانفيليم فان دي فيترينغ واحداً من ابرز مؤلفي الروايات البوليسية الاوروبيين، ينتقي ابطاله من اوساط الشرطة الحقيقية ويتبع اساليبها الواقعية. وهذا النوع من الروايات هو ما يفضله جمهور كبير من قراء الروايات الجنائية على الروايات البوليسية التقليدية التي يتولى بطولتها هواة من وجهاء البريطانيين أو مخبرون أمريكيون من ارباب الخشونة والقوة.

وقد ألف فان دي فيترينغ ١١ رواية خلال الاعوام الثمانية الماضية. منها روايتان تتناولان تجارب المؤلف الشخصية في أساليب التأمل المتبعة في مذهب "زين" البوذي الذي يؤمن اتباعه بالحدس، وسبع روايات بوليسية تعرض المغامرات التي عاشها اثنان من رجال شرطة أمستردام عاصمة هولندا أحسن المؤلف تصويرهما تصويرا حيا قريبا الى القلب. وتقرأ مغامراتهما الان في أكثر من ١٢ لغة. أما الكتابان الباقيان فهما من كتب الاطفال.

كان دي فيترينغ يعمل شرطياً غير

Condensed from New England Magazine of the Boston Sunday Globe

متفرغ في البوليس الهولندي. وهو يعيش في مجمع لاتباع مذهب "زين" في أمريكا، ويكتب عن الشرطة بتعاطف ودراية فنية وفكاهة ساخرة لا تنبع عادة الا من الخبرة الشخصية. وقد خير دي فيترينغ، عندما بلغ سن التجنيد عام ١٩٦٥، بين الانضمام الى "الاحتياط المدني" والعمل كشرطي في ساعات فراغه، بدلا من الالتحاق بالجيش. ولما كان حلم طفولته أن يصبح هندياً أحمر وراعي بقر في وقت فراغه، فقد قبل الاختيار الثاني بحماسة.

وتتابعت مغامرات دي فيترينغ على مدى سبع سنوات، حصل خلالها على ترقيات عدة حتى بلغ درجة ضابط صف. ومن هذه الخبرات استقى دي فيترينغ حكايات التحري الرقيب دي جيبه والضابط المساعد غريبسترا، من قسم التحقيقات الجنائية في شرطة أمستردام. غير ان خبرات دي فيترينغ لم تكن عنيفة بالمقدار الذي تتميز به خبرات بطليه هذين. وهو يقول: "لقد سحبت مسدسي مرة واحدة، ولم أضطر الى اطلاق الرصاصة أبداً".

وقد صدرت أولى روايات "غريبسترا - دي جيبه بعنوان "غريب في امستردام"، كتبها دي فيترينغ بالانكليزية مستهدفاً القراء الامريكيين. وهو يجيد هذه اللغة تماماً وينقل مؤلفاته بنفسه الى اللغة الهولندية. وهو يعلق على ذلك مبتسماً: "يقول الناس اني اتقن الانكليزية اكثر من الهولندية، لأني لا أفرط في نثر الكلمات كما أفعل حين أكتب بالهولندية".

ودي فيترينغ رجل في التاسعة والاربعين (ولد في ٢ فبراير/ شباط ١٩٣١). وهو طويل القامة نحيفها، ذو شعر قاتم اشعث وشاربين كثيفين ووجه يجسد الطابع الهولندي بتقاسيمه الحادة والصريحة كما يبدو في وجوه تجار القرن السابع عشر في لوحات رامبرانت وهو سليل عائلة تحترف التجارة فعلا. وكان خلال سنوات عمله في الشرطة، يدير مؤسسة ناجحة لتجارة الاقمشة في أمستردام.

المشط قبل المسدس - بدأ دي فيترينغ كتابة الروايات البوليسية على أثر مناقشة عائلية كانت له بمثابة الحافز الابداعي المفاجىء: "كنت أستمع الى حديث صهري (زوج أختي). وفجأة، في ما يشبه التماع البرق، وجدتني أمتلك ناصية الشخصيات والحبكات التي تكفي أربع روايات".

وشخصيات فان دي فيترينغ هي أقوى عناصر رواياته: "فالحقيقة ان الحبكة ليست كبيرة الاهمية في الاحداث الواقعية. فغالباً ما تعرف الشرطة هوية المجرم، لكنها تحتاج الى الادلة الدامغة كي لا يبدو رجالها كالمغفلين امام هيئة المحكمة".

ويعترف دي فيترينغ بأنه وسم الرقيب دي جيبه بصفاته الجسدية ونزواته الجنسية، وجسد فيه ذاته، حتى انه اعطاه شقته الصغيرة في الضواحي وفتاة يحبها اعارها شخصية زوجته خوانيتا الكولومبية المولد وهراً سياميا دعاه اوليفر.

ويتمتع الرقيب دي جيبه كذلك ببعض المهارات التي تثير اعجاب

دي فيترينغ، لكنه يفتقر اليها. فهو رام من الطراز الاول وبارع في لعبة الجودو. وهو وسيم ومعجب بنفسه قليلا، فما ان يصل الى مكان الجريمة حتى تسرع يده الى اخراج مشطه قبل مسدسه.

أما البطل الآخر، غريبسترا، فنقيض ذلك تماماً. اذ انه ضخم الجسم، قوي البنية ذو شعر رمادي قصير، يدخن سيجاراً أسود كريه الرائعة ويرتدي ملابس مخططة متجعدة. ويقول عنه فان دي فيترينغ: "انه الشرطي النموذجي".

أما حياة غريبسترا الجنسية فهي أقل نجاحاً من حياة الرقيب دي جيبيه. فزوجته تثير الاشمئزاز ببدانتها المفرطة وصوتها العالي المروع. وهي تعاني صمماً جزئياً وتضطر الى النوم على الارض لأن السرير لا يتحمل ثقلها. وتراود غريبسترا أفكار الطلاق ويحلم بالحياة في شقة رجل اعزب صغيرة ومرتبة تتيح له ان يبدأ يومه بحلاقة ذقنه في هدوء.

وهناك مفوض الشرطة. فهو يبدو شبحاً شاحباً في الرواية الاولى، ثم يزداد بروزاً في الروايات اللاحقة. وهو كهل رقيق الجسم، فضي الشعر، ذو ساقين هزيلتين تعانيان الروماتيزم وطريقة هادئة متواضعة في التصرف تكسبه القلوب. وهو يقول لرجال التحري الذين يأتمرون به: "هذه جريمة قتل، وجرائم القتل لا بد من حل ألغازها. فنحن لا نستطيع السماح لاحد باغماد خنجره في ظهر مواطن حي".

ومن الواضح ان شخصية المفوض مقتبسة من احد أساتذة مذهب "زين" البوذي. فهو فلسفي التفكير وبعيد عن الانفعال. وهو يقول: "النكبة ليست بنكبة ما لم تطلق عليها هذا التعريف. ليس هناك سوى أحداث، والاحداث جميعها تنطوي على فائدة". ولا يكف المفوض، اسوة بأساتذة مذهب "زين"، عن دفع تلاميذه الى الامام. فيحاول اخراج غريبسترا المتثاقل من خندقه، ويحول عدم اكتراث دي جيبيه الى موضوعية اصيلة.

أما المجرمون في روايات فان دي فيترينغ فهم عميقو الاغوار كذلك. فهو يعرف ان الصلة بين الشرطي والمجرم في الحياة الواقعية اوثق من الرابطة بين كل منهما وسائر أفراد المجتمع، وأن رجال الشرطة كثيراً ما يجدون المجرمين أكثر اثارة للتعاطف والاهتمام من سائر المواطنين الذين يتولون حمايتهم.

الهولندي الاصيل - كثيراً ما تبدو المفاجآت والتقلبات الغريبة التي تحدث في حياة غريبسترا وزميله دي جيبيه منطقية تماماً اذا تأملها الانسان من وجهة النظر البوذية التي يلتزمها فان دي فيترينغ في كتاباته. ففي رواية "الجثة اليابانية"، مثلا، يصاب دي جيبيه بالانهيار بعد ان تدهم سيارة النقل قطه السيامي أوليفر، فيضطر الى قتله بمسدسه الرسمي كي ينقذه من عذابه. وقد قتلت صديقة دي جيبيه في الحادث نفسه، لكن موتها لم يؤثر فيه الى هذا الحد. فالصدمة هنا "تكسر غرور" دي جيبيه، وهو ما يعتبر تمهيداً لازماً لبلوغ الانسان نفاذ البصيرة او الاستنارة البوذية.

لكن هذه المرحلة، بالنسبة الى دي جييه، لا تعدو كونها وضعاً عارضاً سرعان ما يعقبه توكيد نزوته الطبيعية، فيصبح "رجلا لا يغلب على امره ما دامت فترة الصفاء هذه مستمرة"·

وقد غدا فان دي فيترينغ من المشاهير، وبات موضوعاً لعدد من المقابلات الصحافية ومقالات المجلات ولقاءات التلفزيون في هولندا· لكن للشهرة متاعبها، كما يعلق دي فيترينغ ببعض التجهم والسخرية:"كنت جالساً في احد مقاهي امستردام عندما اقتربت مني سيدة قبيحة وقالت:لم يكن من اللائق بك ان تقتل القط!"

ما من احد سوى فان دي فيترينغ نفسه، توقع ان يبلغ هذا الحد من الشهرة والنجاح· فقد قضى في شبابه عشر سنين وهو يطوف في العالم· فدرس الفلسفة في لندن، وعمل في بيع العقارات في أوستراليا، وأفرط في شرب الخمر وتعاطي المخدرات، وعانى نوبات الاكتئاب الشديد·

لكن دي فيترينغ لم ينسلخ أبداً عن التراث الخلقي الهولندي الذي يتميز بالصلابة والاعتماد على النفس· وقد كتب في ذلك:"انضممت الى صفوف البيتنيك (جماعة من الوجوديين)· ولم اكن من المتسكعين، بل كان لدي دائماً عمل أرتزق منه ويتيح لي ان اقيم في غرفة لائقة وأقتني دراجة نارية"· ولاتزال لديه حتى الآن دراجة نارية من طراز "هارلي ديفيد سون ليبراتور" صنعت عام ١٩٤٣، وهي من أشهر الدراجات النارية· ويحب فان دي فيترينغ ان يتجول بها في الريف· ومن الطريف ان القاتل في رواية "غريب في أمستردام" يغادر مكان الجريمة على دراجة مماثلة·

وقد تبين ان أهم خبرة خرج بها دي فيترينغ من سنوات تجواله هذه، وأثرت في حياته، كانت فترة العام ونصف العام التي قضاها في دير بوذي في جزيرة كيوتو اليابانية، وذلك في أواخر الخمسينات· وفي أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٥ غادر هولندا مع زوجته وابنته المراهقة ليعيشوا في مجمع بوذي لاتباع مذهب "زين" في أمريكا· وكان أستاذ هذه الجماعة قد تتلمذ في دير جزيرة كيوتو نفسه خلال تأديته الخدمة العسكرية في جيش الاحتلال الامريكي في اليابان عقب الحرب العالمية الثانية·

الحقيقة كالسراب – غير ان فان دي فيترينغ لا يعتزم تأليف أي كتب أخرى عن البوذية، كما يتجنب مناقشتها والحديث عن جماعته التي يتخذ ازاءها موقف الدفاع· ولكل عضو في هذه الجماعة وظيفته الخارجية الخاصة وله بيته الخاص· وتسير الحياة في دورات تناوبية يطول كل منها ثلاثة أشهر·

وخلال "دورة التدريب" يستيقظ فان دي فيترينغ في الثالثة أو الرابعة صباحاً، ويقضي في التأمل فترة تتراوح بين خمس ساعات وعشر يومياً· وفي الفترات الاخرى يمارس اعضاء هذه الجماعة التأمل، لكنهم يتابعون أعمالهم واهتماماتهم الاخرى بصفة أساسية·

ولا يستطيع فان دي فيترينغ الكتابة الآن أكثر من سبع ساعات أو

ثمان في الاسبوع، وبالتالي فلم يعد في امكانهأن يؤلف أربع كتب في العام الواحد كما فعل في أمستردام. وهو،اليجانبالروايات، يكتب قصصاً قصيرة ومقالات للصحف. وفي سبتمبر (أيلول) ١٩٧٩ انتجت السينما الهولندية فيلماً بعنوان "غريبستراودي جيبيه"، استقت قصته من رواية "غريب في أمستردام"، مع عناصر اضافية من رواية "الاشواك".

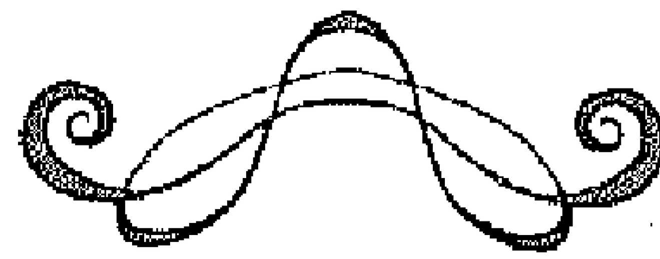
وفي صيف ١٩٧٩ صدرت رواية سابعة من روايات غريبستراودي جيبيه بعنوان "مجزرة ماين"، تدور أحداثها في ولاية ماين الامريكية حيث يعمل دي جيبيه في دائرة الشرطة في اقليم نيو انغلاند. وقد شاء فان دي فيترينغ عند كتابة الرواية، أن يطلع على الاساليب الامريكية المحلية في فرض هيبة القانون. فركب سيارة الشرطة الى جانب "الشريف" المحلي. وهو يعلق على ذلك بقوله:"في هولندا يعلمون رجال الشرطة ان يتحدثوا برقة لكسب تعاطف الناس. لكن الاسلوب المتبع في أمريكا مختلف تماماً، فقد ظلت يد الشريف على مسدسه طوال الوقت".

ولن يغادر فان دي فيترينغ مجمعه الا عندما يعلمه أستاذه بأنه لم يعد هناك ما يتعلمه. وهو يصف سعيه الى الحقيقة الروحية بقوله:"انك تقترب منها فتجدها ابتعدت عنك. قد ابقى هنا الى الابد".

ويأمل دي فيترينغ في أن يصل بعد حين، من خلال التأمل على طريقة "زين"، الى حال عقلية تنقذه نهائياً من الشك. أما جرائم القتل هذه فهي من اختصاص الرقيب دي جيبيه والضابط المساعد غريبسترا.

وهكذا، فان الراهب البوذي السابق والشرطي الهولندي السابق، يانويليم فان دي فيترينغ، ينصرف في وقت معاً الى التأمل وجرائم القتل. وذلك في منزله الخشبي في مجمع منعزل لجماعة "زين" البوذية في شمال نيو إنغلاند.

■ وليم ديفيس



قالوا...

المهندس المعماري اللامع . باكمنستر فولر: "انا لست نابغة لكنني مجموعة هائلة من الخبرات".

بابلو بيكاسو عن اسلوبه الفني:"انا لا اسعى، وانما اجد".

الممثل السير رالف ريتشاردسون:"اننا، معشر الممثلين، فرسان في سباق الادب. فالمؤلفون يضعون التمثيليات ونحن نحاول الانطلاق بها".

شارل ديغول:"اني اشعر بالغضب عندما اكون على حق. ويشعر تشرشل بالغضب عندما يكون مخطئاً. لذلك كان الواحد منا كثيراً ما يغضب الآخر".

الكاتب المسرحي موس هارت:"ان جميع الاخطاء التي ارتكبتها في حياتي وقعت في مواقف حيث كان يجب ان اقول لا فقلت نعم".

للشمس قلبٌ ينبض مرّة كل ٢٢ سنة!

في ذلك الاتون النووي المجنون تتولد الحرارة التي تمنحنا الحياة

في ٢١ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٤ ظهرت بقعة ساطعة على الجانب الغربي من شمسنا، وفي غضون دقائق اندفعت تلك البقعة مسافة تزيد على ١٥٠٠ كيلومتر عبر الشمس، ثم توهجت على شكل غمامة ضخمة من الغازات بلغت حرارتها نصف مليون درجة مئوية، وانفجرت نحو الخارج في مسار منحن بسرعة مليون ونصف مليون كيلومتر في الساعة، وبعد ساعتين تبددت الكتلة النارية المتألقة في جو الشمس الخارجي.

في ذلك النهار كان العالم الفضائي إد غيبسون يدور حول الارض في المختبر الفضائي "سكايلاب ـ ٣" فصور هذا الحدث بواسطة تليسكوبات شمسية خاصة، ولما عاد الى الارض هتف مبتهجاً: "لقد وضعنا يدنا على لغز طالما حيرنا، هو انبثاق الوهج الشمسي ومدة استمراره. لقد تسنى لنا ان نراقب الوهج على نحو لم يتيسر لنا من قبل".

وأدرك علماء الشمس الآخرون سر حماسة غيبسون. فالتوهجات هي اشد الاحداث عنفاً في نظامنا الشمسي، وهي مؤشرات الطاقة الهائلة التي يتم اختزانها ثم اطلاقها بسرعة على سطح الشمس. والوهج الكبير يولد حرارة لافحة تبلغ عشرات ملايين الدرجات، ويطلق طاقة متفجرة تعادل

قوة مليار قنبلة هيدروجينية. وتلك التوهجات هي من القوة بحيث تحدث تغيرات على الارض التي تبعد نحو ١٥٠ مليون كيلومتر. فتتأرجح عقارب البوصلة بجنون، وتدب الفوضى في الملاحة، وتختل الاجهزة الكهربائية، وتتوقف اجهزة اللاسلكي عن العمل. وفوق القطبين، الشمالي والجنوبي، تبدو شرارات الطاقة الذرية ذات القوة الخارقة كأنها تلهب كبد السماء. ويشتعل الليل بوهج الشفق القطبي الذي نسبه القدماء الى الآلهة الغضبى او الى الشياطين.

الحساء الشمسي – اذا كانت الشمس تستمد طاقتها من الانصهار الهيدروجيني، فان التوهجات نفسها ليست حرارية نووية. ان هناك مصدراً آخر للطاقة، يختلف عن ذلك كلياً، هو الحقول المغناطيسية التي يحاول العلم ان يكشف حقيقة تكوينها. وتلك التوهجات هي انفجارات مغناطيسية، او صمامات امان تحرر قوى كهرو - مغناطيسية محصورة وتطلقها الى السطح خارج اتون الانصهار في قلب الشمس.

ان قاعدة هذه الطاقة ووسيلة اطلاقها هما في صميم التغيرات المثيرة في مفاهيمنا حول العلاقة التي تربط الشمس بالارض. وهذا ينطوي على الحقيقة المذهلة في اننا على هذه الارض، نعيش فعلا ضمن جو الشمس الخارجي.

ومازالت المعلومات حول وضعنا تتجمع منذ بعض الوقت. ففي العام ١٩٦١ استطاع بحاثة موهوب في شؤون الشمس، هو يوجين باركر من شيكاغو (ولاية ايلينوي الامريكية)، ان يجمع هذه الخيوط للمرة الاولى. فكان تعليله ان "ريحاً شمسية" تهب من الشمس في جميع الاتجاهات، وهي دفق من اجزاء مشحونة تتحرك الى الخارج بسرعات تبلغ مليوناً ونصف مليون كيلومتر في الساعة. وهذه "الريح" هي المسؤولة عن التأثيرات المغناطيسية على الارض. وهذا هو السبب في ان ذيول المذنبات، اينما كان موقعها، تتجه بعيداً عن الشمس على نحو دائم.

وقد ثبتت صحة هذه الصيغة التي وضعها باركر بفضل المركبات الفضائية. واليوم نعلم ان الشمس تقذف باستمرار، غازاً رقيقاً تتناقص كثافته مع ابتعاده الى الخارج. ونحن نعيش في الغلاف الخارجي، مغمورين بمادة الشمس التي تجري حولنا، ولا يبعدها عن جونا سوى حقولنا المغناطيسية الخاصة. وهذا الجو الشمسي المحيط بنا يتجدد باستمرار من جراء نشاطات سطح الشمس. والفكرة السائدة في الوقت الحاضر هي ان هذا الجو يمتد بعيداً، وبعيداً جداً، الى ما وراء كوكب المشتري. ولعله يصل الى كوكب نبتون، وهو البعيد عن الشمس بما يفوق بعد الارض عنها بثلاثين ضعفاً.

ولكن ما هو مصدر طاقة الشمس المدهشة؟

هناك آراء غريبة عدة في تركيب الشمس. ففي اوائل القرن التاسع عشر اعلن العالم الفلكي الشهير، سير وليم هيرشل، ان تحت غلاف الشمس الخارجي الساطع وجهاً بارداً الى درجة تسمح بالحياة في جوه وقال انه رأى جبالا ارتفاعها الف كيلومتر.



الثورة الشمسية، كما صورتها "سكايلاب ـ ٣"، بالمقارنة مع حجم الارض الصغير٠

لكن مطلع هذا القرن جاءنا بأن الشمس كتلة ضخمة من غاز الهيدروجين الحار٠ وفي عصر الذرة ادركنا ان الشمس اتون نووي٠ فهي مركبة من مادة في حال رابعة تختلف عن الحالات الاخرى الثلاث وهي الصلبة والسائلة والغازية٠ فهي من بلازما اي مادة كالحساء مؤيّنة (مشحونة) جردت ذراتها من الالكترونات وتحولت بنيتها الى مصح نووي للمجانين٠

ميلاد نجمة ـ منذ خمسة مليارات سنة تكونت الشمس على حافة ذراع لولبية من مجرتنا "درب التبانة"٠ فقد اندفعت سحابة هائلة من الهيدروجين في دوامة، ثم لعبت الجاذبية دورها٠ ولما كان الغاز ينهار الى وسط السحابة فقد تولدت ضغوط وحرارات هائلة، ثم اتقدت النار النووية٠

ومازال هذا المرجل النووي في غليان منذ ذلك الحين٠ وهو يحول كل ثانية نحو ٦٠٠ مليون طن من الهيدروجين الى هيليوم٠ وتنعدم في هذه العملية خمسة ملايين طن من الهيدروجين بغية توليد فيض من اشعة "اكس" وأشعة "غاما" واشعاعات اخرى عظيمة الطاقة، قصيرة الموجة، وكذلك لايجاد حقول

هائلة الاتساع من الطاقة الكهرو - مغناطيسية. ثم تتحول هذه المادة الى طاقة تسبح في الفضاء، ومنها نور الشمس.

ولكن كيف تتمكن الشمس من استهلاك هذا المقدار من المواد والطاقات مدى هذا الزمن الطويل؟

الضخامة هي الجواب. فالشمس ضخمة، اذ يبلغ قطرها مليوناً و٣٩٢ الف كيلومتر وحجمها يعادل مليون ضعف حجم كوكبنا. وفي اطار هذا القرص الذهبي توجد ٩٩،٩ في المئة من مواد النظام الشمسي. أما الكواكب التسعة وأقمارها والكويكبات (الواقعة بين المريخ والمشتري) والمذنبات فلا تشكل سوى ٠،١ في المئة من تلك المواد.

ومن المحال ان نتصور ما يحدث على عمق ٦٥ الف كيلومتر في قلب شمسنا، بين الاصطدامات العنيفة للجزيئات ذات الفعالية الاشعاعية. ان الضوء لا ينبعث فوراً من الطاقة المحررة. والواقع ان نور الشمس الذي يصل الينا اليوم بدأ مسيرته المتلوية من قلب الشمس منذ بضعة آلاف سنة.

ان هربرت فريدمان، العالم الشمسي البارز في مختبر البحوث التابع للبحرية الامريكية، يشبه مسار الطاقة المشعة في اتجاه سطح الشمس بمسار كرة فولاذية في لعبة الكرة والدبابيس (لعبة تمارس بهدف التسلية او بهدف المقامرة. فالمقامر يقذف الكرة بواسطة رفاص مشدود، فتتدحرج على سطح مائل بين دبابيس وأهداف. ويسجل اصطدام الكرة بالهدف عدداً من النقاط)، فتلك الطاقة المشعة تصطدم مراراً بذرات الغاز الشمسي عبر مئات الوف الكيلومترات. ويقول فريدمان ان كلا من هذه التفاعلات يحدث تغييراً في طبيعة الاشعاع فيحوله من اشعة اكس وأشعة غاما المرتفعتي الطاقة الى اشكال ادنى من الطاقة كالاشعة ما فوق البنفسجية والضوء المرئي والحرارة وموجات الراديو.

وفي هذه العملية تنشأ الطاقة العظيمة.

ان تيارات الالكترونات الهائلة تولد قوى مغناطيسية يظن علماء الفيزياء انها تتخذ اشكال "انابيب" تندفع كعشرات الآلاف من المواسير المتلوية عبر مئات الاف الكيلومترات داخل الشمس. ثم تنطلق الى السطح المضطرب وتحدث ألسنة منحنية من الغاز الملتهب هي اكثر برودة واقل عنفاً من التوهجات. وتندفع تلك الالسنة مسافة ٧٠٠ الف او ٨٠٠ الف كيلومتر قبل ان تعود الى السطح المتأجج.

وربما كانت تلك الانابيب المغناطيسية سبب البقع الساطعة التي سجلتها "سكايلاب"، وهي تعد بالمئات، وقد تكون سبب التوهجات التي تتلاشى خلال ساعة او ساعتين. ثم انها ذات علاقة بالبقع الشمسية، وهي اللطخات المبهمة التي تشبه الدوامة وتبدو قريبة من مناطق الشمس الاستوائية وتتحرك من الشرق الى الغرب.

النهاية الحزينة - تواجهنا البقع الشمسية بلغز من الدرجة الاولى. فهي تدل ان كرة الشمس الغازية تدور، الا ان اجزاءها المختلفة تدور بسرعات متباينة. ان خط الاستواء الشمسي

يدور على محوره مرة كل ٢٥ يوماً او نحو ذلك، في حين تستغرق دورة المناطق المجاورة للقطب نحو ٣٤ يوماً. وذلك لا يشبه ارضنا الصلبة ابداً. ثم ان عدد البقع الشمسية يتبع دورة معينة، فيتزايد او يتناقص خلال فترة ١١ عاماً. ثم تحدث عملية غامضة، فتعكس الحقول المغناطيسية في البقع الشمسية اتجاهها. وتتكرر الدورة. فكأن للشمس قلباً ينبض كل ٢٢ سنة.

ان سعي الانسان لفهم غوامض الشمس لا يتوقف. ذلك لان معرفة الشمس هي معرفة الطاقة الرئيسية التي تؤمن لعالمنا الحياة. ففي اليابان وألمانيا وايطاليا والولايات المتحدة وأوستراليا والاتحاد السوفييتي، وفي دول أخرى، تستمر المراقبة. وقد برزت حقيقة واحدة ناصعة لا مجال للجدال حولها هي ان شمسنا نجمة، والنجوم ليست ابدية. شمسنا في منتصف عمرها، اي ان امامها نحو خمسة بلايين سنة من الاشراق. والارض تقوم بدورة واحدة حول الشمس ندعو مدتها سنة. والشمس التي تتحرك مع بقية النجوم تكمل دورتها حول مركز المجرة مرة كل ٢٥٠ مليون سنة. لقد حققت الشمس عشرين دورة حتى الآن، ولا يزال امامها عشرون دورة اخرى. أو عشرون سنة من سنوات المجرة، قبل النهاية.

ان التوازنات النووية الشمسية ستتغير بلا شك. وسوف يستهلك الهيدروجين ليتحول الى هيليوم. فتبدأ نواة الشمس احراق الهيليوم في صراعها من اجل البقاء فتزداد الحرارة لتزيد الشمس احمراراً. وتتضخم كتلة الشمس في مرحلة تحولها الى نجم احمر جبار. فتحمل النيران الى الكواكب التي تسير في ركابها. ويذوب كوكبا عطارد والزهرة ويسقطان في البلازما المتمددة وتتلاشى الحياة على الارض قبل ان تغلي المحيطات وتتبخر وقبل ان تذوب الصخور بزمن طويل.

ولا بد لهذا التضخم من ان ينتهي يوماً. وخلال ساعات تتحول الشمس الى نجم قزم ابيض وصلب في حجم الارض، وتحرق وقود الهيليوم النهائي قبل ان تتحول الى جمرة مطفأة.

ولا يمكن الحؤول دون هذا المصير، وحتى فيض المعلومات الحديثة لن يستطيع ان يحقق ذلك. فالفصل الاخير من قصة الشمس قد كتب.

■ **لينارد بيكل**



موجود في الهدايا

اختصم صبيان في السابعة حول خلاف يتجدد بينهما كل عام. فقال احدهما: "ان سانتا كلوز (بابا نويل) لا يوجد حقاً، وان ابويك هما اللذان يعطيانك هدايا الميلاد". فأجابه الآخر: "بل هو موجود فعلاً، لان والدي أفقر من ان يمنحاني هذه الاشياء كلها".

ج. د.

رفّة جناح

تلك الحشرة الضعيفة تعيش في عالم طالما تاق الانسان الى كشف غوامضه



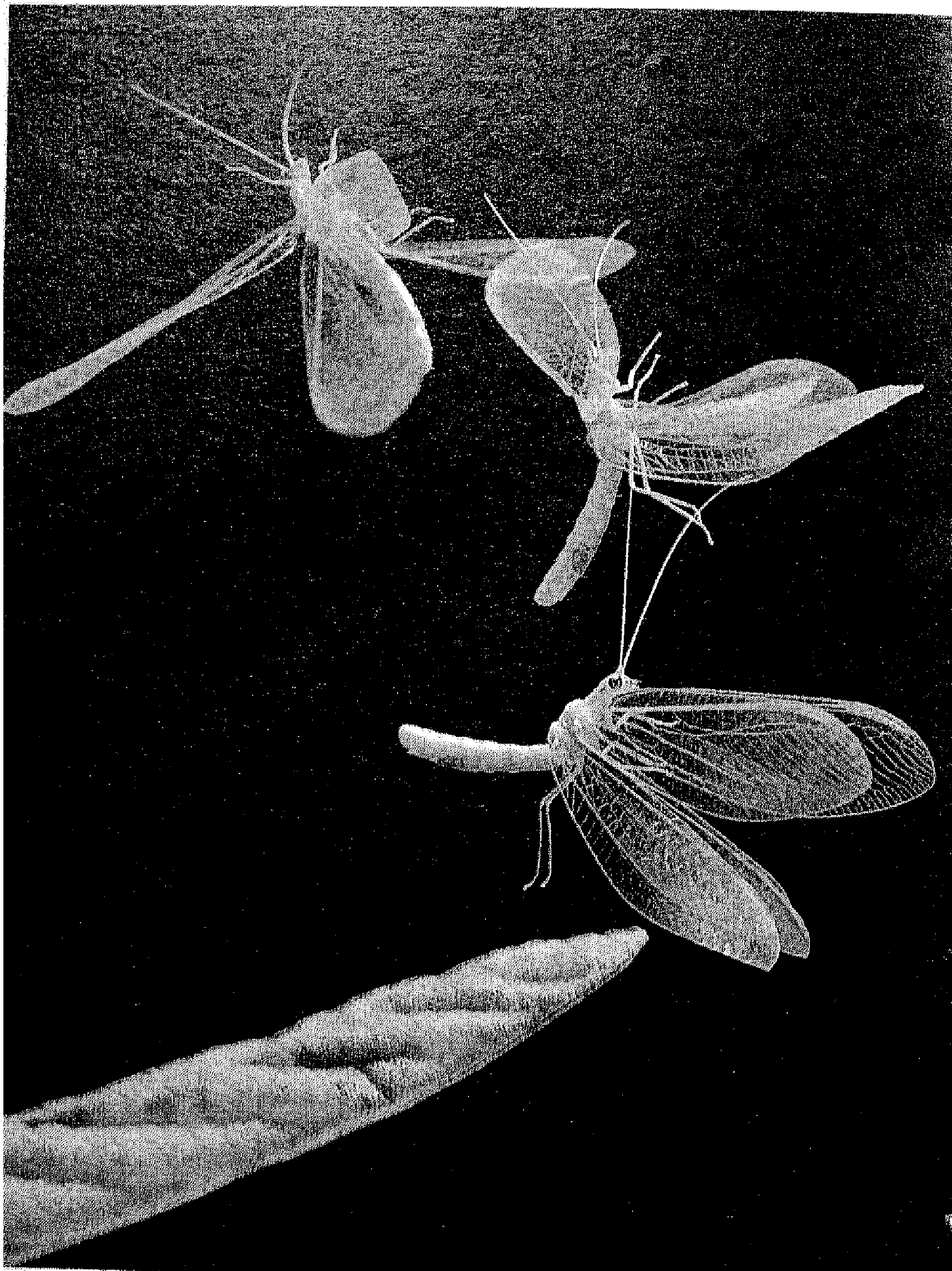
دعسوقة (خنفساء صغيرة مرقطة الجناحين) تطير من سداة زهرة لتسقط وابلا من اللقاح، وهناك ٤٠٠٠ نوع من هذه الخنافس تقتات على حشرات المن وقمل النبات القرمزي التي تهدد الزرع، انها صديقة الانسان الوفية.

ليست اللسعة المسببة للحك مهمة الحشرات الوحيدة، فهي تفوق الطائرات في اساليب الطيران، كما ان لديها طرقاً للسيطرة على تحركاتها تفوق التصور، وقد شدهتنا خفة جناحيها، اذ تصل سرعتهما الى الف خفقة في الثانية.

ويكشف ستيفن دالتون للمرة الاولى عن بعض تلك الاسرار، وهو مصوّر وعالم حشرات، ولد في ٢ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٣٧ وابتكر اسلوبا في التصوير يمكن بواسطته وقف حركة جناحي الحشرة ليظهرا بوضوح رائع، وقد صورت هذه اللقطات بفضل ذلك الابتكار، اذ تم وصل نور قوي (يومض بسرعة جزء من ٢٥ ألفاً من الثانية) بمصراع الكتروني سريع (لادخال النور او صده).

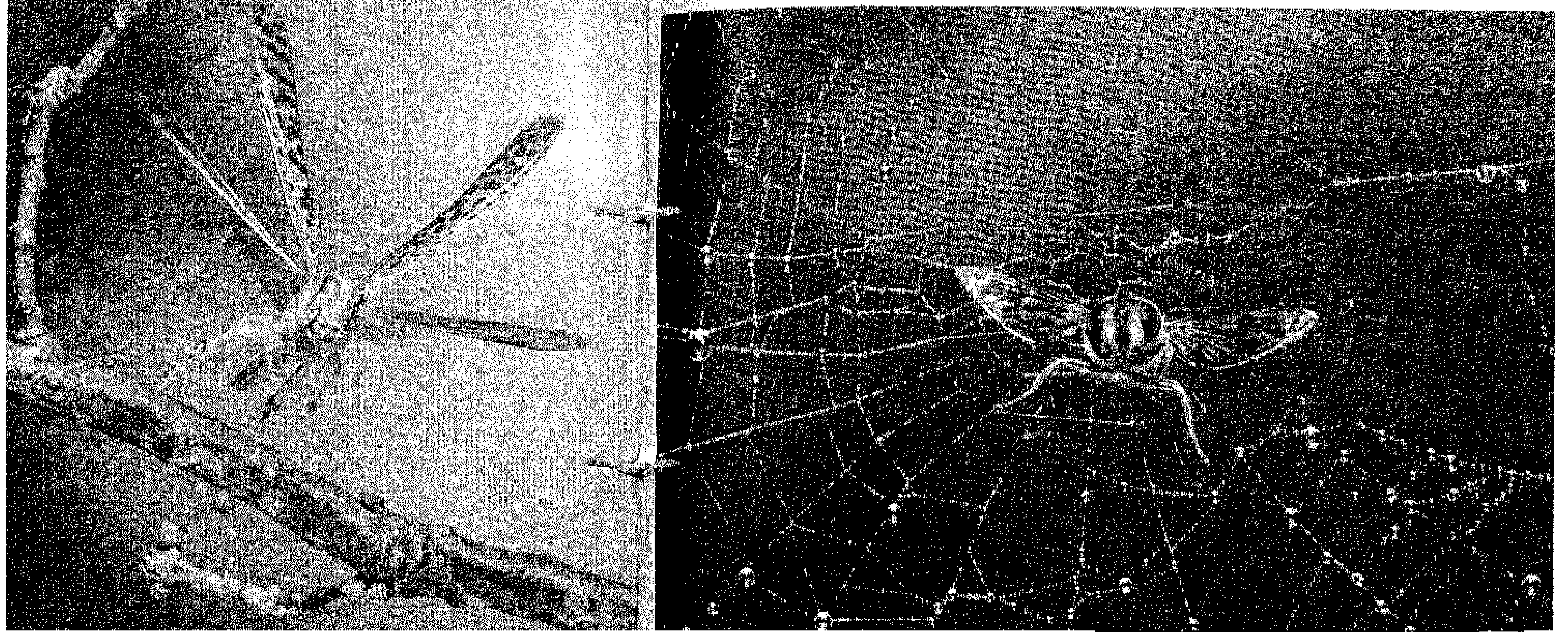
اخذت هذه اللقطات في اوروبا وفي مستنقعات ايفرغلايدز جنوب ولاية فلوريدا الامريكية، وهي تلقي ضوءا جديدا على اساليب الحشرات وجمالها خلال الطيران.

■ ستيفن دالتون وجون كينغز



حشرة شبكية الجناحين تنطلق على هيئة دائرة من ورقة زعرور بري، ثم تهبط في المكان نفسه في مناورة لارباك اعدائها. وقد جاء هذا العرض الثلاثي حصيلة ٩٠٠ محاولة تصوير.

هذه الجرادة الصحراوية:
بلاء الانسانية منذ القدم:
تلونت استعدادا للهجرة الجماعية،
وسوف تنضم الى الملايين من
مثيلاتها بحثاً عن مراع اكثر خصباً
لكي تمحو خضرتها.



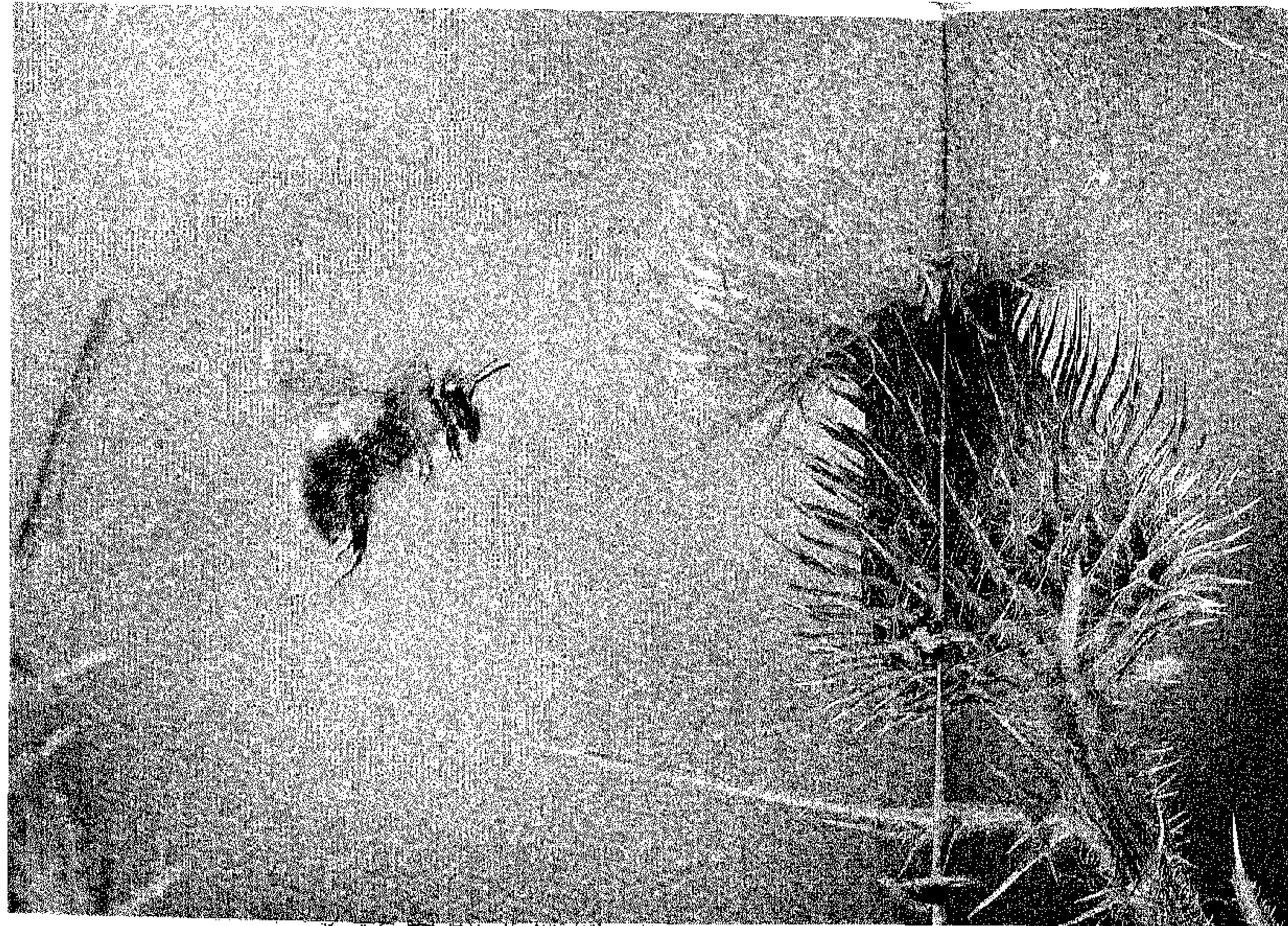
طريق مسدود... بعد لحظة تقع هذه الحشرة في شرك العنكبوت، وهي تشبه النحلة: وتقتات بالزهر غالباً الى جانب شبيهتها الأصيلة، ومثل هذا التنكر منتشر في عالم الحشرات.

لقطات لخنفساء
تنطلق من زهرة لسان الحمل
(آذان الجدى)،
الفترة بين كل لقطتين
جزء من ثلاثين من الثانية،
وهذه القوائم
الممتدة بعد الوثوب سوف
تضمها لاحقاً كعجلات الطائرة،

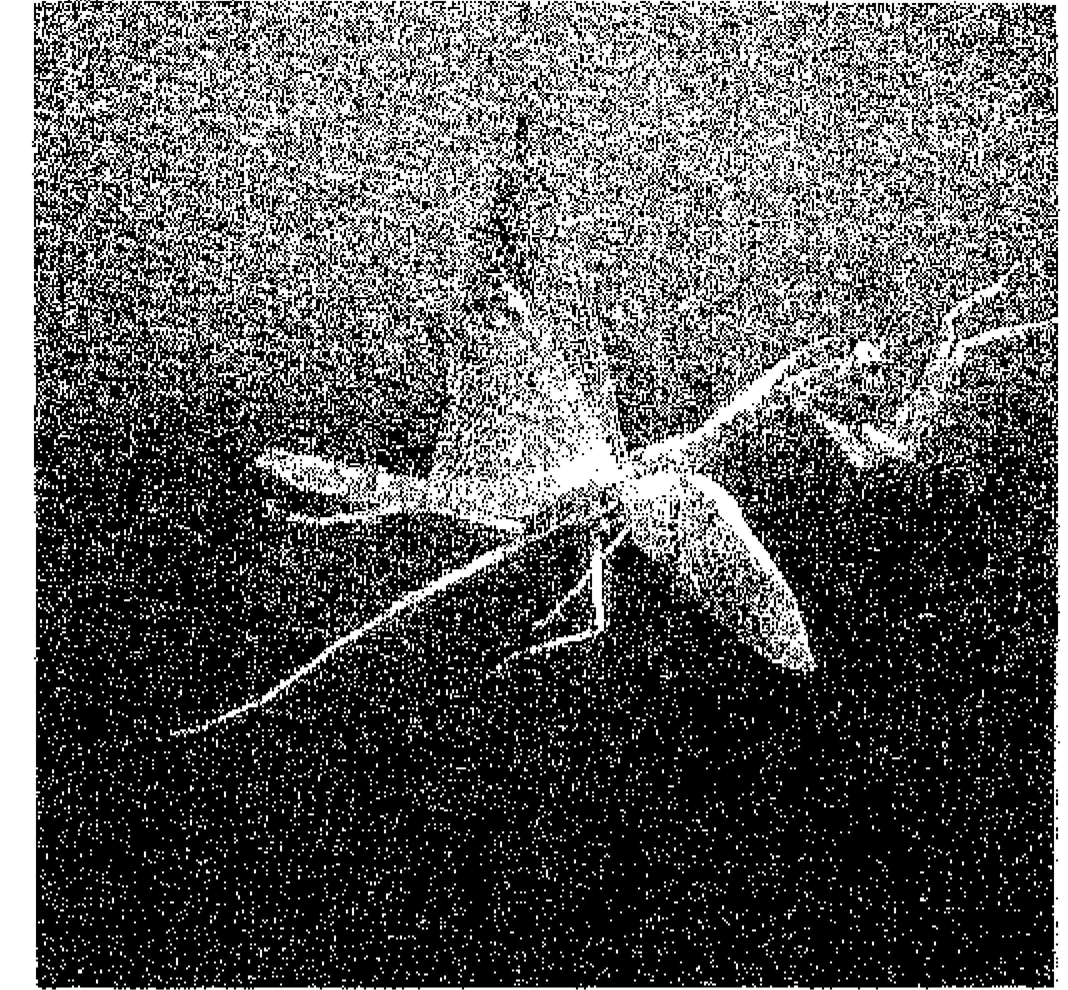




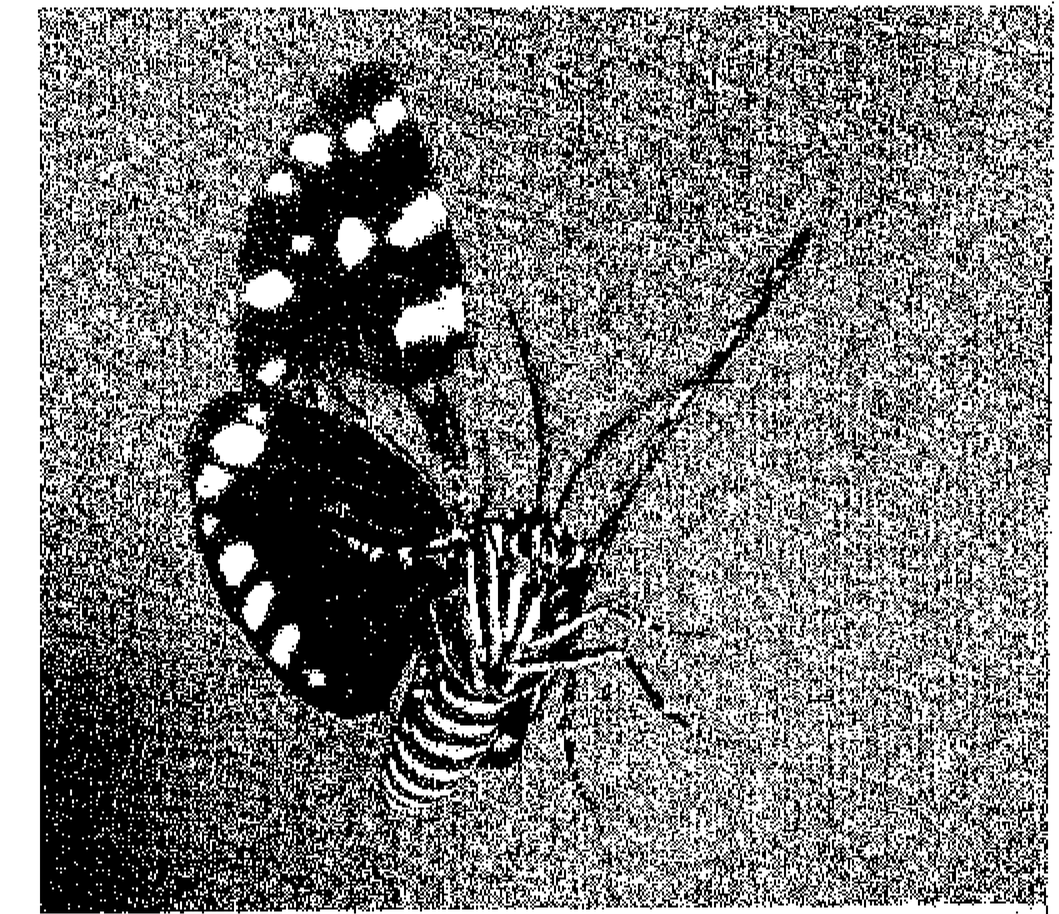
الفراشة الملكة بطيئة: لكنها مثابرة، وقد صودفت وهي تحلق فوق البحر على بعد مئات الكيلومترات من اليابسة، واذا جمع عدد كبير من تلك الحشرات، فهو يؤلف "لقمة" سم.
وهي هنا ترفرف بالوانها الزاهية،
متباهية بكونها لا تؤكل.



نحلة طنانة في اواخر حياتها تطبق على رحيق ... الطيران لا تحصى ·



قائمتا السرعوف (فرس النبي) الأماميتان شائكتان ومهيأتان لالتقاط الفريسة واسرها ، وهو يقتات على العصافير الصغيرة والسحالى والضفادع · وجناحاه الاماميان والخلفيان لا يخفقان معا ·



هذه العثة المثيرة تثبط عزيمة اعدائها بالوانها التحذيرية ، وهي تتظاهر بالموت بافرازها رغوة صفراء تغطي جسمها وباصدارها صوتاً متقطعاً ، وتوجد بكثرة في ولاية فلوريدا الأمريكية وفي كوبا والبرازيل ·

هناك مفاهيم خاطئة عدة حول الرياضة· واليك في ما يأتي اجوبة عن الاسئلة الاكثر شيوعاً حول هذا الموضوع

الرياضة والحِمية واللياقة البدنية

س· الن تزيد التمارين الرياضية شهيتي وتحول بالتالي دون انقاص وزني؟

ج· هذا سوء فهم شائع· فليس هناك ما يدل على استحثاث الشهية لدى هؤلاء الذين يمارسون الرياضة البدنية باعتدال· بل، على نقيض ذلك، يتضح من البحوث التي اجريت في هذا الصدد ان زيادة النشاط البدني بالنسبة الى الذين يقضون معظم اوقاتهم جلوساً قد تضعف رغبتهم في الاكل·

س· هل استطيع انقاص وزني باتباع نظام حمية من دون اللجوء الى الرياضة؟

ج· هذا ممكن فعلا· فنظام الحمية هو اسلوب فعال لانقاص نسبة المواد الدهنية في الجسم، لكن الاكتفاء بالحمية من شأنه ايضاً ان يؤثر تأثيراً عكسياً على انسجة عضلاتك· أما الرياضة فلا تستهلك، في معظمها، سوى المواد الدهنية· فاذا رغبت في لياقة كاملة فمن الافضل لك ممارسة الرياضة البدنية خلال اتباعك نظام الحمية· ان الحمية والرياضة اذا اجتمعتا تساعدانك على تخفيف وزنك لأجل اطول، وذلك باضعاف احساسك بالجوع وبالحد من الضغوط النفسية الاخرى·

س· هل تؤدي التمارين الى ازالة المواد الدهنية من اجزاء معينة في الجسم؟

ج· كلا· ونظراً الى ان انخفاض

المواد الدهنية في الجسم يحدث تناسبياً، فان زوال هذه المواد من الجذع هو اسرع من زوالها من الاطراف. وبعبارة اخرى فان سمنة البطن تخف قبل سمنة الفخذين.

س. هل من الممكن انقاص عدد الخلايا الدهنية في الجسم؟

ج. من المؤسف انك حالما تصبح انساناً راشداً فلن يعود في استطاعتك تخفيض عدد الخلايا الدهنية لديك. وانما تستطيع الاقلال من المواد الدهنية بتصغير حجم خلاياها. وتظهر البحوث ان تناول كميات معتدلة من الطعام، ترافقها تمارين نشطة، في سن باكرة يحول دون تكاثر الخلايا الدهنية. وهذا سبب وجيه لحمل الوالدين على الاهتمام بنظام حمية اولادهما وتربيتهم البدنية.

س. هل استطيع تحويل الدهن الى عضل؟

ج. الدهن لا يتحول الى عضل (ولا العضل الى دهن). واذا اكلت اكثر من اللازم وأجريت تمارين قليلة فان الوحدات الحرارية التي تزيد على حاجة الجسم يجري اختزانها كمواد دهنية، بصرف النظر عما اذا كانت هذه الحريرات الزائدة ناتجة من الكربوهيدرات (المواد السكرية والنشوية) او الدهنيات او البروتيينات. واذا لم تستعمل العضلات فقد تتعرض للتقلص، لكنها لا تتحول الى دهنيات. وعندما تقوم بالتمارين تنمو انسجة العضلات على حساب الانسجة الدهنية.

س. هل افقد وزناً اكثر اذا تصببت عرقاً خلال التمارين؟

ج. ان وزنك ينقص فعلا بعد التمرين مباشرة، لكن ذلك يحدث بسبب نقص السوائل في الجسم وليس بسبب تقلص الانسجة الدهنية. وسرعان ما تعوض تلك الخسارة بتأثير العطش. فلا يغرنك ذلك النقص الموقت في الوزن. واحرص على ان تشرب الماء قبل اي تمرين قاس وفي اثنائه وبعده دفعاً لفقد الجسم ماءه.

س. اليس من الافضل ممارسة التمارين الرياضية في أيام القيظ والرطوبة عندما تتصبب اجسامنا عرقاً بغزارة؟

ج. نقيض ذلك هوالصحيح. فعندما يكون الهواء مشبعاً بالرطوبة، فيعوق تبخر العرق عن الجلد، يتعرض الجسم للسخونة الزائدة. فمتى وجدت الجو رطباً وحاراً، عليك ان تكيف تمارينك وفقاً لذلك فتلتزم حدود الاعتدال.

س. هل تناول اقراص الملح مفيد؟

ج. اياك وتناول اقراص الملح علىنحو دائم. وقد اجمع الخبراء على ان اسهل وأفضل طريقة لتعويض الاملاح التي يفقدها جسمك مع العرق خلال التمارين هي زيادة كمية الملح قليلا في طعامك. لكن الملح الزائد عن اللزوم ربما تسبب في ارتفاع ضغط الدم وتهيج المعدة واختلال في توزيع الماء في الجسم.

س. ما هي افضل طريقة لاستعادة النشاط الطبيعي بعد التمارين العنيفة؟

ج. لا تجلس او تتوقف عن الحركة فوراً. تمشَّ مدة خمس دقائق او

عشر، فذلك يساعد على تقصير الوقت اللازم لاسترداد نشاطك الطبيعي ويتيح عودة القلب والدورة الدموية تدريجاً الى وضعهما العادي.

س. هل الفيتامينات ضرورية في مهمات مفاجئة تحتاج الى نشاط عظيم؟

ج. نعم. وهي كذلك ضرورية للرشاقة لانها تساعد على تحويل الطعام الى طاقة. لكن الفيتامينات نفسها لا تحتوي على طاقة. فمعظم الناس تتوافر لديهم جميع الفيتامينات اللازمة اذا اتبعوا نظاماً غذائياً متوازناً. أما تناول اقراص الفيتامينات فانه لا يزود الجسم بطاقة اضافية. بل ربما كان الافراط في تناول فيتامينات "أ" و"د" مضراً بالصحة.

س. ما مدى اهمية البروتيينات في التمارين؟

ج. ان وجبة الطعام التقليدية، الغنية بالبروتيينات والمؤلفة من شرائح اللحم (ستيك) والبيض، التي يتناولها الرياضي قبل اللعب ربما ارضته وأرضت المدرب وصاحب المطعم. لكن مدى فائدتها في اداء التمرين هو موضع شك. والواقع ان وجبة كهذه قد يكون لها أثر سلبي، ذلك لان البروتيينات هي اقل العناصر الغذائية انتاجاً للطاقة. فاذا رغبت في مزيد من الطاقة فعليك بالكاربوهيدرات والدهنيات، على الا تقل نسبة الدهنيات غير المشبعة المستخرجة جزيئاتها، من النبات عادة، عن ٥٠ في المئة من مجمل الدهنيات التي نتناولها.

س. ما هي وظيفة الكربوهيدرات في التمارين؟

ج. انها تزود الجسم بطاقة سريعة من دون زيادة في استهلاك الاوكسيجين، مما يساعدك على اجراء اي تمارين مجهدة. كما انها ذات اهمية بالغة في التمارين المعتدلة التي تستمر فترة طويلة. فعندما يبلغ عدّاء المسافات الطويلة نهاية السباق يتبقى لديه مخزون كاف من المواد الدهنية للاستمرار في العدو، لكن مخزونه من الكربوهيدرات في الكبد والعضلات يكون قد استنفد في معظمه. لذلك نلاحظ ان الانظمة الغذائية التي تشتمل على نسبة منخفضة من الكربوهيدرات كثيراً ما تؤدي الى شعور مزمن بالارهاق. فعليك ان تتأكد من ان ٥٠ الى ٦٠ في المئة من مجموع الحريرات التي تتناولها تتألف من الكربوهيدرات، خصوصاً النشويات التي تتوافر في الحبوب والخضر والمعكرونة (سباغيتي).

س. هل تكسبني الكربوهيدرات الزائدة سمنة؟

ج. بالتأكيد. ولكن فقط اذا كنت تتناول حريرات اكثر مما تحرق، عندئذ يتولى الجسم تحويل الكربوهيدرات الزائدة الى دهنيات.

س. ما هو تأثير التدخين على التمارين الرياضية؟

ج. تتسبب عادة التدخين في انتقاص فعالية الرئتين لدى المدخن. وربما لم يظهر ذلك في التمارين الخفيفة، الا انه قد يشكل عائقاً في

التمارين القاسية بسبب انخفاض الاوكسيجين الضروري للنشاط العضلي.

س. هل يتعين علي ارتداء ملابس ثقيلة عندما اقوم بالتمارين في طقس بارد؟

ج. خلال الدقائق القليلة الاولى فقط، ريثما يتكيف جسمك مع الجو. ونلاحظ ان المتزلجين عبر الحقول يفضلون ارتداء طبقات رقيقة عدة من الملابس على ارتداء معطف ثقيل، مما يتيح لهم انتزاع هذه الطبقات، واحدة تلو الاخرى كلما ازدادت حرارة الجسم.

س. هل تتأذى رئتاي بالهواء الشديد البرودة؟

ج. ان ممارسة التمارين الرياضية في الاجواء الباردة تسبب لك جفافاً مزعجاً في حلقك. ذلك لان الهواء الذي تتنشقه هو جاف في ذاته ويمتص الرطوبة من قنوات التنفس لديك. لكن الهواء، مهما يكن بارداً، يسخن في الانف والحلق قبل وصوله الى الرئتين، فلا يتسبب في أي مشاكل صحية.

س. ما هو تأثير التمارين الرياضية على القلب والدورة الدموية؟

ج. تؤدي التمارين الرياضية الى هبوط ضغط الدم خلال الفترات التي يبلغ فيها التوتر العضلي ذروته، والى هبوط نسبة الدهنيات في الدم (مثل الكوليسترول والتريغليسيريد) المصاحبة لامراض الشرايين. وتطيل هذه التمارين مدة تخثر الدم وتزيد قوة احتمال عضلة القلب، كما انها تحد من الوزن والشحم الزائدين، وهما من العوامل الخطرة بالنسبة الى ضغط الدم المرتفع وبعض امراض القلب.

س. هل يمكن للرياضة ان تعكس عملية الهرم او تؤخرها؟

ج. كثيراً ما نجد ابن الستين الذي يواظب على الرياضة افضل حالا من ابن العشرين الذي لا يمارسها ويقضي معظم وقته جالساً. صحيح ان التمارين الرياضية ليست اكسير الشباب الدائم، لكن الذين يمارسونها بانتظام، من كل الاعمار، يزيدون قدرتهم على العمل.

■ **فرانك كاتش، وليم ماكاردل، بريان بويلان**

فرانك كاتش هو رئيس قسم العلوم الرياضية في جامعة ماساتشوستس (الولايات المتحدة) ومستشار لدى الفريق الاولمبي الامريكي لالعاب القوى. أما وليم ماكاردل فهو استاذ التربية البدنية ورئيس مختبر العلوم التطبيقية في جامعة كوينز في نيويورك. وأما بريان بويلان فله مؤلفات عدة في الصحة.

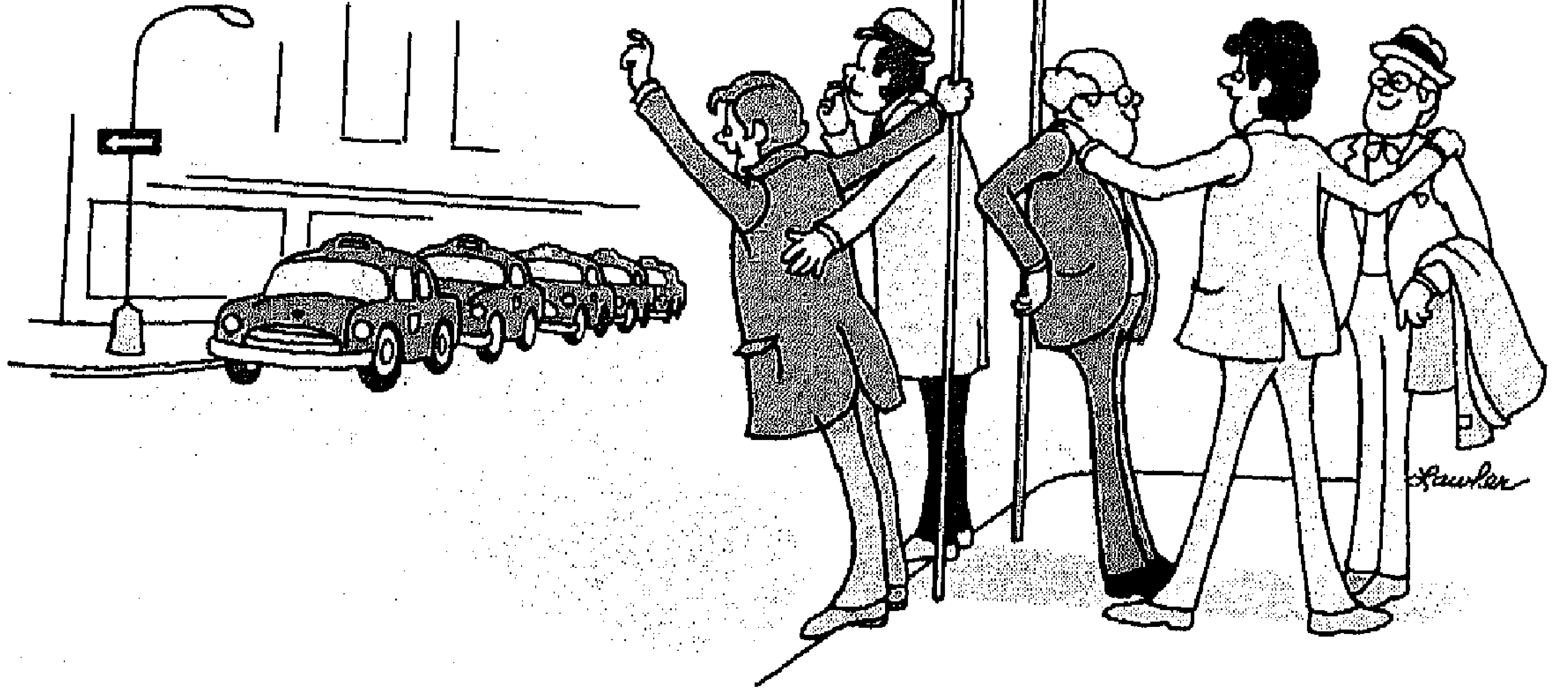


زوجة المعجم

هل سمعت كيف كتب نوح وبستر معجمه؟ لقد كان كل صباح يلتقي زوجته الى مائدة الافطار. وكان نوح ثرثاراً، وعاجلا او آجلا كان يقول شيئاً لا يروق زوجته التي تبادره بالسؤال: "والآن اجبني: ما الذي يفترض ان يعنيه ذلك؟"

ش.هـ.

أحجية الركاب الخمسة



استدعيت خمس سيارات أجرة لنقل خمسة اشخاص الى خمسة اماكن. ولدى وصول السيارات الى نادي رجال الاعمال وجد السائقون ركابهم الخمسة في حال ثمل. وكان لكل منهم اسم أولي واسم اسرة يختلفان عن البقية، وان تشابهت الحروف، ووظيفة مختلفة ايضاً. وكانوا جميعهم متزوجين، وقد أختلفت اسماء زوجاتهم، وكل منهم يسكن شارعاً مختلفاً.

واذ عجز السائقون عن التعرف الى هوية اي من الركاب او الى الاماكن التي يقصدونها، فانهم يتوجهون اليك ايها القارىء، بصفتك الموزع المسؤول عن مكتب سيارات الاجرة، كي تجيبهم عن الاسئلة الاتية: من هو الخباز بينهم؟ ما هو اسم عائلة فائز؟ من الذاهب الى شارع باركر؟

ومن خلال حديثك مع الرجال الثملين تتوافر لديك المعلومات الآتية:

١ ـ فواز متزوج من فوزية.

٢ ـ زوج فائزة يركب السيارة الثالثة.

٣ ـ فؤاد يعمل صيرفياً.

٤ ـ السيارة الاخيرة تتوجه الى شارع بارتون.

٥ ـ فريدة تسكن شارع بيرتون.

٦ ـ القصاب يستقل السيارة الرابعة.

٧ ـ فريد يستقل السيارة الثانية.

٨ ـ فائقة متزوجة من السمسار.

٩ ـ السيد... الفراس يسكن شارع بيرتون.

١٠ ـ السيد... الفانوس يستقل السيارة التي تسبق سيارة زوج فيروز.

١١ ـ السيد ... الفارس يستقل السيارة الاولى.

١٢ ـ السيد... الفراش يسكن شارع بوربون.

١٣ ـ الحلاق يسكن شارع بيكر.

١٤ ـ السيد... الفراش يستقل السيارة امام... الفياض.

١٥ ـ الحلاق يتقدم فهد بثلاث سيارات.

١٦ ـ السيد... الفانوس يستقل السيارة امام القصاب.

(الحل ص ٧٤)

أم الفقراء

نالت جائزة نوبل للسلام
لأن قلبها مليء بالحنان وحياتها
وقف للفقراء والمعذبين



ذلك هو حي الفقراء حيث تنتشر الاكواخ في الازقة الموحلة. وخارج كوخ حقير جلست امرأة تحت اشعة الشمس تلتقط القمل من شعر طفل اشعث. وفي الحقل المجاور مدرسة صغيرة من غرفتين، صنعت جدرانها من حصر الخيزران المطلي بالقطران، وصممت مزاريبها من صفائح زيت الصويا القديمة. وتأتيك دمدمة الاطفال وهم يقرأون دروسهم.

انه حي الفقراء في كلكوتا (الهند). وهو لا يزال قذراً. لكنه كان اشد قذارة في العام ١٩٤٨، عندما وصلت اليه امرأة ترتدي الساري الابيض. لم يكن لديها اي ايراد او مدخرات او املاك. ثروتها كانت خمس روبيات (اقل من دولارين) والهاماً بتقديم العون الى بؤساء الهند. لقد طرقت ابواب الاكواخ، واحاطت بذراعيها القويتين اطفال الهند الحفاة، وتحت شجرة وسط الحقول علمتهم.

تلك المرأة في الساري الابيض هي الام تريزا. وتعد اليوم بين اشهر النساء في الهند، بل في العالم كله، بعدما نالت جائزة نوبل للسلام في العام ١٩٧٩. وما زالت من دون ايرادات او مدخرات او املاك. لكن ثروتها الحقيقية تنافس في عظمتها جبال حملايا: ١٥٨٦٩ طفلا في ٩٨ مدرسة، ٢٦٢٣ مريضاً يلقون العناية في ٤٢٥ مستوصفاً متنقلا، ٥٣٢٩٧ من ضحايا الجذام في مئة ومستوصفين، ٢٦٨٧ من الايتام والاطفال المشردين في ٤٨ بيتاً، ٧٩٨٧ من المحرومين والبؤساء في النزع الاخير وجدوا مأوى في ٦٢ بيتاً. لقد توزع هؤلاء على ٧٩ مدينة في الهند وفي ٢٦ بلداً آخر بينها الولايات المتحدة الامريكية.

انها حبيبة الفقراء والمحرومين وموضع اجلال "رسل الاحسان"، وهم افراد الارسالية الكاثوليكية التي اسستها الام تريزا في العام ١٩٥٠. لقد تغلغل احترامها الى نفوس اتباع الديانات المختلفة من هندوس ومسلمين ومسيحيين، ذلك لانها نذرت نفسها لخدمة المعذبين. فسمت فوق العوائق كلها.

وفي نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٢، نالت الام تريزا جائزة جواهر لال نهرو تقديراً "لجهودها التي كرستها لخدمة الانسانية من دون اي اعتبار للجنسية او المذهب او العقيدة". كما منحت جائزة نوبل للسلام تقديرا لعملها الدائب على "قهر الفقر والجوع والالم"، تلك العوامل الثلاثة التي - في عرف لجنة جائزة نوبل - "تشكل خطراً على السلام".

وهي جسدياً امرأة ناحلة في التاسعة والستين، لا يزيد طولها على ١٥٣ سنتيمتراً. عيناها عميقتان وفي وجهها هدوء وصراحة. وهي لا تبخل على زائرها بضحكتها الرنانة، لكنها لا تحجم عن الالحاح اللاذع، بصوتها الرقيق، اذا رأت في ذلك نفعاً للفقراء. ويقول كاهن خالفها الرأي مرة حول احد المشاريع: "انها لا تصغي الى احد، وذلك احد اسرار قوتها".

عندما دعاها البابا بولس السادس الى فتح فرع لرسل الاحسان في حي الفقراء في روما عاصمة ايطاليا، تصاعدت موجة رفض لهذه الدعوة باعتبار ان ايطاليا تضم عدداً كبيراً من الراهبات اللواتي يرغبن في العمل. وهنا قالت الام تريزا: "في هذه الحال سوف تعلمهن راهباتي كيف يخلقن العمل".

انها لا تزال تسافر في قطار الدرجة الثالثة. وكثيراً ما تراها راكعة تمسح الارض. وهي تلف عنقها بشال لا ترضى عنه بديلا، وقد طغت آثار الرتق فيه على الحياكة. انها ترى في الفقراء ما يعجز عن رؤيته الآخرون - فهي ترى وحدتهم ومرحهم واستقامتهم وصبرهم.

وتقول الام تريزا: "اني اتوق الى ان أظهر للناس جميعاً عظمة الفقراء. لقد طرقت مرة باب عائلة هندوسية جائعة ومعي رز. وقبل ان ادرك ما يحدث قسمت الام ذلك الرز حصتين متساويتين، واعطت احداهما عائلة مسلمة مجاورة وقالت لي: انهم في مثل جوعنا".

وتضيف الام تريزا: "ان حاجتنا الى

الفقراء توازي حاجتهم الينا. بل ان اتصالنا بهم يزيدنا قوة ويجعلنا أفضل".

ولدت الام تريزا عام ١٩١٠ في مدينة سكوبي في يوغوسلافيا من ابوين البانيين. وكان والدها صاحب متجر في المدينة. ومنذ حداثتها لازمها نداء باطني يشدها الى مساعدة الفقراء. وفي الثامنة عشرة من عمرها تركت اهلها لتصبح راهبة.

وبعد تدريبها في دير لورينو في ايرلندا، ارسلت الام تريزا الى كلكوتا في الهند حيث تلقت دروسها الثانوية في مدرسة تابعة لاحد الاديرة، واصبحت في ما بعد رئيسة لها.

وفي العام ١٩٤٦ ألح على الام تريزا دافع قوي الى ترك الدير والعمل في احياء الفقراء. وجاءها الاذن بذلك من روما بعد ان ارسلت بنفسها كتاباً الى الفاتيكان. لقد سمح لها بالخروج وحدها واصبحت راهبة حرة.

كرامة الموت – كيف يجدر بالراهبة ان تبدأ عملها في احياء الفقراء؟

ذهبت الام تريزا الى مدينة باتنا في الهند حيث خضعت لتدريب مكثف على التمريض لدى راهبات البعثة الطبية الامريكية. ثم عادت الى احياء الفقراء في كلكوتا حيث بدأت تجمع الاطفال المشردين وتعلمهم قواعد الصحة والنظافة وتقدم الادوية الى المرضى والطعام الى الجائعين.

وراحت الام تريزا تبحث عن مقر لعملها. ولكم كان سرورها عظيماً عندما بادرت احدى العائلات الى وضع الطابق الاعلى من منزلها الواسع في تصرفها. ولم تمض ايام قليلة حتى تطوع لمساعدتها ٢٦ شخصاً شكلوا نواة جماعة رسل الاحسان. وقد اصبح عددهم اليوم ١٥٢٣، وهم في غالبيتهم من الشباب الهنود. لكن عدد المتطوعين الاجانب في ازدياد مستمر.

وتقول احدى الراهبات مستعيدة ذكرياتها: "رافقتني الام تريزا في جولة دلتني خلالها على بيوت الموسرين، واعلمتني ان عليّ طرق ابوابها كي اطلب طعاماً لاطفالنا المساكين. وغمرني خجل قاتل، اذ لم اكن ارغب في ذلك. لكن الام تريزا قالت لي: "ايتها الاخت، ان ذلك واجبك". وكثيراً ما كان اصحاب تلك المنازل يرمون الي الطعام على الارض ويوصدون ابوابهم في وجهي طالبين مني الا اعود. لكنني كنت دائماً اقول في نفسي: سوف اعود من اجل الرب".

ان طريقة الام تريزا في مساعدة الفقراء تلخص بعبارة بسيطة: انها تفعل ما هو ممكن. ويقول احد المعجبين بأعمالها: "ليس لدى الام تريزا فكرة عن مصدر المال اللازم، ولكن كلما اقتضت الحاجة عملا ما فهي لا تتردد". فاذا احتاج شاب مقعد الى ساقين اصطناعيتين فهي تطلب من احد الديبلوماسيين في كلكوتا السعي الى ارسالهما عبر البحار. واذا طلب اليها رب اسرة تعيش على رصيف شارع ايواء بناته فهي لا تتأخر، وان لم يتوافر لهن مكان كاف.

اما مغامرتها الكبيرة الاولى فكانت تأسيس بيت للمحرومين من المرضى والمشرفين على الموت. وقد دفعها

الى هذا العمل انها رأت يوماً امرأة عجوزاً تنازع على الطريق فيما كانت تنهشها الفئران والنمال. فحملتها الى أحد المستشفيات حيث رُفض استقبالها. غير ان الام تريزا لم تتزحزح عن اصرارها حتى قبلت ادارةالمستشفى معالجة العجوز.ثم ذهبت الى مقر المجلس البلدي وطلبت مأوى للفقراء يتسنى لهم فيه ان يموتوا بكرامة. وقدمت اليها السلطات نزلا قرب احد المعابد الهندوسية كان يقصده الحجاج. وفي اليوم التالي انتقلت الام تريزا والراهبات وبعض المرضى المنازعين الى المقر الجديد.

ذلك البيت في كلكوتا، واسمه "نيرمال هريداي" (القلب النقي)، يؤوي اليوم نحو مئتين من الاطفال المرضى والمشردين، ويعنى بنظافتهم وتغذيتهم. ويعمل على خدمتهم راهبات واطباء واعضاء اخوية "الاحسان" التي تأسست عام ١٩٦٣. وقد وجد قرابة ٣٦ الفاً من المرضى والمشردين في هذا البيت ملاذاً بعد ان اوصدت في وجوههم جميع الابواب.

الوصية الخالدة ــ بعيداً عن هذا الجو، في احدى الطرق الجانبية في كلكوتا، تتسلل اشعة الشمس الى مدرسة وسط اشجار النخيل. ويدير رسل الاحسان حالياً عشر مدارس في كلكوتا تضم ٢٥٠٠ تلميذ. وبعض هذه المدارس لا يضم اكثر من غرفة واحدة.

ان نحو ٢٥٠ طفلا، تراوح اعمارهم بين خمسة اعوام وثلاثة عشر عاماً، يقصدون هذه المدرسة في كلكوتا طلباً للعلم والخبز والحليب. اما الحليب فهو هبة من اطفال الدانمارك وأسوج وغرينلاند والنروج وبلجيكا، واما الطحين فهو هدية من اطفال انكلترا وايرلندا.

بدأت هذه المدرسة كمعظم سابقاتها. فقد رأت الام تريزا أرضاً مهملة في جوار احد احياء الفقراء، وطلبت من المالك البنغالي إذناً بتأسيس مدرسة على ارضه. ولم يكتف الرجل بالسماح لها بذلك، بل مول بنفسه تشييد المدرسة. وهنا يقول احد المتطوعين: "في استطاعة الام تريزا ان تحمل الجميع على المساعدة. انها تجعلك ترغب في تسلق الجبال من اجلها".

وتبدو طلبات الام تريزا محيرةاحياناً. وقد كتب الصحافي البريطاني مالكوم ماغريدج في صحيفة "شيء جميل للرب": "اشترت الام تريزا آلة طابعة للمصابين بالجذام (البرص) كي يطبعوا كتيبات يبيعونها ويحصلون على بعض المال. ولكن كيف اهتدت الى الآلة المناسبة؟ بل كيف يقوى اولئك المرضى البؤساء على الطباعة بأطرافهم المستأصلة؟ تلك قد تبدو اسئلة سخيفة، لكن الآلة موجودة وهي تعمل فعلا".

وفي يناير (كانون الثاني) ١٩٧١ دعيت الام تريزا الى روما لتتسلم جائزة البابا يوحنا الثالث والعشرين الدولية الاولى للسلام، اضافة الى ايصال بقيمة ٢٤ ألف دولار. ودست الام تريزا ذلك المبلغ في حقيبة ثيابها، وعادت الى الهند حيث رصدت المال لتأسيس مجمع نموذجي

لمرضى الجذام في جنوب البنغال.
وبعد ان نالت الام تريزا جائزة نوبل للسلام، وقيمتها ١٩٠ ألف دولار، بدأت تخطط لبناء بيوت جديدة للمحرومين، ولاسيما مرضى الجذام.

ان كل فقير، بالنسبة الى الام تريزا وراهباتها، هو المسيح (عيسى) متنكراً. ويقول احد المتطوعين "ان الام ترى الالوهية فينا".

■ جون فريزر

حل احجية الركاب الخمسة

الخباز هو فريد الفراس. اسم عائلة فائز هو الفياض. والذاهب الى شارع باركر هو فؤاد الفانوس.

رقم السيارة	١	٢	٣	٤	٥
الاسم الاول	فواز	فريد	فؤاد	فهد	فائز
اسم الاسرة	الفارس	الفراس	الفانوس	الفراش	الفياض
المهنة	حلاق	خباز	صيرفي	قصاب	سمسار
اسم الزوجة	فوزية	فريدة	فائزة	فيروز	فائقة
المسكن	شارع بيكر	شارع بيرتون	شارع باركر	شارع بوربون	شارع بارتون

من المعلومات التي اعطيت لنا في الافادات ٢ و٤ و٦ و١١ نستنتج ما يأتي: زوج فائزة يركب السيارة الثالثة؛ السيارة الاخيرة متوجهة الى شارع بارتون، القصاب يركب السيارة الرابعة؛ فريد يركب السيارة الثانية؛ والسيد... الفارس يركب السيارة الاولى. أما ما تبقى من اللغز فيمكن حله، فقط، عن طريق ربط المعطيات وتصفية الاحتمالات.

انت تعلم مثلا ان القصاب يركب السيارة الرابعة؛ فلا بد من ان يكون السيد... الفانوس في السيارة الثالثة (الدليل ١٦). وبما ان السيد الفانوس يستقل السيارة الثالثة فلا بد من ان تكون فيروز زوجة راكب السيارة الرابعة (الدليل ١٠).

أما الخطوة التالية فهي ربط الدليلين ٥ و٩، اي ان شارع بيرتون تسكنه فريدة الفراس، وهذا لا ينطبق الا على السيارة الثانية.

ثم يأتي الدليل ١٢. السيد... الفراش يجب ان يكون في السيارة الرابعة لانها الوحيدة، حتى الآن، بلا اسم عائلة او شارع.

وننتقل الآن، منطقياً الى الدليل ١٤. بما ان الحلاق يسكن شارع بيكر (الدليل ١٣) ويتقدم سيارة فهد بثلاث سيارات (الدليل ١٥) فالمكان الوحيد الذي يمكن ان نجده فيه هو السيارة الاولى. ولذلك فلا بد ايضاً من ان يكون اسم اسرة فهد هو الفراش.

والسيدة فائقة متزوجة من السمسار، وذلك ينطبق، بالتصفية، على السيارة الخامسة.

وبالتصفية ايضاً نربط السيارة الثالثة بالدليل ٣ (فؤاد هو الصيرفي).

وهكذا نتحقق من ان الدليل ١ انما ينطبق على السيارة الاولى.

■ **جوان ماكغرات وكارين براون**



أصداء من عالم الطب

اول عمود فقري اصطناعي

اصيبت السيدة جسي توماس، ذات الاربعة والثلاثين عاماً، بالشلل في مايو (ايار) ١٩٧٩، ولبثت ساكنة فوق سرير خاص حتى ١٧ يوليو (تموز) حين ازيلت فقراتها بعد ان وجد فيها ورم عظمي نادر يبلغ حجم بطيخة صفراء. وفي اول سبتمبر (ايلول)، بعد جراحة دامت ١٦ ساعة، اصبحت هذه السيدة اول انسان تم استبدال عموده الفقري بآخر معدني.

وقد تضمنت الجراحة، التي اجريت في مستشفى جامعة ماريلاند، زراعة عمودين من الصلب في محاذاة عمودها الفقري لمنعه من الالتواء. واعقبت ذلك زراعة جهاز الاستعاضة المعدنية الذي صمم لحماية الحبل الشوكي واداء وظيفة العمود الفقري.

وبفضل هذا العمود الفقري المعدني، تستطيع السيدة توماس ان تستعمل كرسياً متحركاً. وهناك ايضاً امكان ان تستعيد حركة جزئية في ساقيها. ويقول الدكتور تشارلز ادواردز، رئيس فريق الجراحة ومصمم جهاز الاستعاضة: "لولا هذه الجراحة لبقيت السيدة توماس طريحة الفراش بقية حياتها، ولقلت فرصها في حياة مديدة".

ا.ب.

النجدة لسهارى الليل

يستطيع "اهل الليل" الذين لا يمكنهم الاستغراق في نوم عميق طوال الليل، التخلص من الارق عن طريق اعادة ضبط "ساعاتهم البيولوجية" الداخلية وفق مواعيدها المألوفة. وقد استخدم الدكتور اليوت ويزمان، مدير مركز اضطرابات النوم واليقظة التابع لمستشفى مونتيفيوري في مدينة نيويورك، هو وزملاؤه بنجاح ما سموه "المداواة الزمنية" لعلاج ستة مرضى اختل تزامن ساعاتهم الداخلية مع بقية العالم.

وتتلخص فكرة العلاج في جعل المرضى يسهرون حتى وقت يتقدم كل ليلة على سابقتها، حتى يأتي وقت يذهبون الى مخادعهم في الحادية عشرة والنصف ليلا بدلا من الرابعة والدقيقة الاربعين صباحاً، وهو متوسط ميعاد نومهم قبل بدء العلاج. وبعد هذا التعديل اخذ المرضى يستيقظون في السابعة والدقيقة الخمسين صباحاً بدلا من النوم حتى ساعة مبكرة من عصر كل نهار.

وبعد شهر او شهرين، اظهرت الاختبارات التي اجريت طوال الليل في مختبر النوم ان جميع المرضى حافظوا على معدل نومهم الجديد.

ولأسباب لم تعرف بعد تماماً، يبدو انه من السهل نسبياً اعادة ضبط ساعة الشخص البيولوجية عن طريق تأخير موعد نومه، وان يكن من الصعب السير في الاتجاه المضاد. ولذلك، فان الجهود التي يبذلها "اهل الليل" عموماً لعلاج انفسهم بالذهاب باكراً الى الفراش تكون نتيجتها الاخفاق في الغالب.

"النيوورك تايمس"

عرس الجياد

وسط بلدة صغيرة شمال الدانمرك تنظم في مطلع هذا الشهر سوق سنوية هي من أغرب أسواق العالم

الشمس تميل الى الافول في اصيل يوم حار، وتتطاير سحب الغبار من حوافر الخيل فتردد الاصداء صهيلها. وهناك خيمة كبيرة مفعمة بالدخان، تتعالى فيها قرقعة الكؤوس في أيدي الشاربين لتطغى على ضجيج الاصوات.

وسط هذا الازدحام ترى مئات الباعة المتجولين وهم يدللون بنبرة جشة على بضائعهم: أحذية خشبية، سروج، أجبان منزلية، شطائر سمك الانقليس المدخن. وثمة رجلان في أحد الحقول يعتمران قبعتين من القش ويتساومان على سعر فرس كستنائية، فيمد أحدهما يده الى فم الفرس ويرفع شفتها العليا ممعناً النظر في اسنانها ليقول ساخرا: "يبدو ان عمرها توقف عند السنين العشر طوال السنوات الخمس الماضية!"

قد يخيل الى الناظر ان هذا المشهد مقتبس من القرون الوسطى، على رغم انه ما زال يتكرر خلال شهر يونيو (حزيران) من كل عام في بلدة ياليروب الدانمركية الصغيرة (٢٨٠٠ نسمة) التي تعتبر اقدم وأهم سوق موسمية للخيل في اوروبا الغربية.

فمنذ العام ١٧٤٤ وجموع المزارعين ومربّي الخيل تتوافد عبر المزارع الساحلية في شمال شبه الجزيرة الدانمركية الى هذه السوق الكرنفالية الصاخبة على شاطىء البحر. ويستمر هذا "المهرجان" طوال ثلاثة أيام ونصف يوم، يجتذب خلالها أكثر من

٢٥٠ ألف زائر، معظمهم من الدانمرك. لكن اعداداً كبيرة من الزوار تؤم السوق من الدول المجاورة مثل أسوج والنروج والمانيا وهولندا وبلجيكا. وفي خضم هذا الجو المرح والصاخب يتم بيع نحو ستة آلاف جواد.

ويقول هانس كارلسون، الذي يوزع وقته بين ترويض الخيل وتقديم العروض في السيرك والعمل كمخبر في الجريدة المحلية: "تستطيع العثور هنا على حصان يلائم اي ذوق ويناسب أي شخصية". فهناك خيول الشاطىء الصخري النروجية، والرقشاء والجبلية الدانمركية، والايرلندية، والانكليزية الاصيلة، والالمانية الرشيقة، اضافة الى الخيول القزمة التي تراود احلام الاطفال.

وفي السوق التي أقيمت عام ١٩٧٩، بيع أرخص حصان بمبلغ الف كرونر دانمركي (١٧٢ دولارا)، وأغلى حصان بمبلغ ٢٠ الف كرونر (٣٤٣٦ دولارا)، وهو من نوع "تراكز" الالماني الممتاز والمدرب على التنزه والسباق. اما الخيول القزمةفثمنها أقل بكثير، وهو يراوح بين ٤٠٠ و٢٠٠٠ كرونر (بين ٧٠ و٣٤٠ دولارا).

وقد اكتشفت ان أفضل طريقة للوقوع على "شروة موفقة" هي ملاقاة اولئك الوافدين الى السوق جماعات جماعات لبيع خيولهم، فانهم ينفردون، في بادىء الامر، في مكان ما، ويجيلون النظر من بعيد بحثا عن واحد من ٢٠٠ وسيط محترف يتدثرون بعباءاتهم التقليدية الصفراء او البيضاء ويربطون مناديلهم الزاهية حول اعناقهم.

وتبدأ عملية المساومة الحماسية التي يرجع عهدها الى مئات السنين فيتفحص الشاري قياسات الحصان بحذر وروية، ويتأمل مشيته وطريقة عدوه وأسنانه وقوائمه وحوافره وعينيه. وقد قال لي أحد مربي الخيل: "تستطيع ان تحكم على الحصان من خلال عينيه، على غرار الناس تماما. فالبياض الناصع في عينيه، مثلا، قد يعني انه من النوع الجفول".

وما ان ينتهي "الكشف" حتى تبدأ المسرحية. فتسمع الشاري يصيح: "ماذا؟ خمسة آلاف كرونر (٨٦٠ دولارا) لهذا الحصان الهرم؟ أتظنني أحمق الى هذا الحد؟" وسرعان ما يتقدم بعرضه الخاص فيرد عليه البائع بعرض مقابل وعندما يتصافح الطرفان تكون الصفقة قد تمت. وهكذا دواليك في تلك السوق حيث للوقت حرمته.

ونلاحظ من حين الى آخر ان المشتري يبتعد عن البائع، او البائع عن المشتري، بحنق مفتعل، لكنه لا يلبث أن يستدير في اللحظة الاخيرة عائدا بعرض "أخير قاطع". وعندما يعرب المشتري أخيرا عن موافقته بمد يده، يمسكها البائع بسرعة قائلا: "حظاً سعيداً". وذلك من دون ان يطالب أحد بعقد كتابي. فقد درج الناس هناك، منذ القرن السابع عشر، على اعتبار المصافحة الحارة والعبارات التقليدية بمثابة اتفاق ملزم للطرفين ومعترف به في المحاكم.

الانقاذ — أصبحت ياليروب، بفضل سوق خيلها، موضع فخر ابنائها وحسد المدن الدانمركية الصغيرة.

وكادت سوق الخيل المفتوحة منذ ١٥ سنة، ان "تقفل" بسبب الجرارات الزراعية والشاحنات التي أصبح الحصان بعد مجيئها وسيلة فات عليها الزمن. فقد انخفض عدد الجياد المعروضة للبيع الى أقل من ٢٠٠ جواد، كما أصبح عدد الزوار هزيلا جدا مما حمل صاحب الفندق الوحيد في البلدة على الاقلاع نهائيا عن اقامة السوق بعدما درج على تنظيمها، بحكم التقاليد، تنشيطا للحركة التجارية في المنطقة.

ازاء هذا الوضع اتفق عدد من أبناء البلدة الشجعان على انقاذ سوقهم عن طريق العمل الطوعي. ورأوا في ذلك، ايضا، فرصة للحصول على المال الكافي لبناء مركز للشباب كانت السلطات البلدية قد رفضت تمويله. ويقول الدكتور هلفور هويش، طبيب البلدة والرئيس الحالي لتعاونية ياليروب التي تتولى ادارة السوق: "كانت الطريقة الوحيدة للوصول الى نتيجة ايجابية، يومئذ، ان نعمل بأنفسنا".

واتقد المواطنون حماسة وتضافرت جهودهم جميعا، من ربات البيوت وأصحاب الحوانيت الى مديري الشركات والموظفين الحكوميين والمزارعين والمدرسين والاحداث. وتوزعوا في مجموعات صغيرة، منها ما تولى ترميم الطاولات والمقاعد ومنها ما اضطلع بمسؤولية الطهو. وهناك من نظم وقوف السيارات او اهتم بايجار المساحات الموضوعة في تصرف المشتركين في السوق. وكثيرا ما توجب على هؤلاء ان يتعلموا تنفيذ هذه المهمات من خلال ممارستها.

ويذكر المدرّس جينز آروب في هذا الصدد: "لم يكن في البلدة من يعرف كيف تنصب الخيمة الكبيرة التي تضم اكشاك المرطبات. لكننا تعاونا على العمل وتمكنا اخيرا من نصب الخيمة وتثبيتها بالاوتاد حسب الاصول".

ونجحت التجربة. فسجلت السوق خلال العام ١٩٦٦ (السنة الاولى التي أشرف أبناء البلدة انفسهم على السوق) ربحا متواضعا بلغت حصيلته ١٧ الف كرونر (٢٩٢٠ دولارا). وجرى تحويل هذا المبلغ فورا الى مشروع مركز الشباب الذي قام ببنائه ٥٠ متطوعا من أهل البلدة.

وفي السنة الثانية تحسن دخل السوق مما حدا بأبناء البلدة الى تنظيم حملة ترويجية تقوم على تعميم رمز السوق، وهو رأس حصان يحمل في فمه زهرة الربيع. كما وضع على مدخنة مبنى التدفئة المركزية، التي يبلغ ارتفاعها ٢٥ مترا، رأس حصان صنع من مصابيح النيون الحمراء وتمكن مشاهدته من مسافة كيلومترات.

وكان ١٩٦٨ العام الحاسم في تاريخ المشروع. فقد اشترك الفرد هولريش، مدير مكتب البريد في البلدة، في مباراة كبرى نظمتها اذاعة الدانمرك الرسمية التي تغطي انحاء البلاد. وحافظ على المرتبة الاولى مدة ستة أشهر، فذاعت شهرته. وانتهز هولريش هذه المناسبة لبث الدعاية لسوق الخيل في البلدة، فارتفع عدد الزوار ولا يزال يزداد منذ ذلك الحين.

اما اليوم فان دخل ياليروب السنوي من السوق يتجاوز الـ٥٥٠ الف

كرونر (٩٥ الف دولار)، وتنفق البلدة هذا الدخل على مشاريع انعاشية لم تقدر عليها المدن التي تفوقها حجما بأضعاف. وتضم ياليروب الان قاعة رياضية وستة ملاعب مكشوفة لكرة القدم بلغت كلفتها مليوني كرونر (٣٤٤ الف دولار) وهناك حوض السباحة المسقوف بملحقيه وحمّام السونا والمقصف الذي بلغت كلفته ٣،٤ ملايين كرونر (٥٨٥ الف دولار).

واضافة الى ذلك، ساعدت السوق على توفير عدد من المنح والرحلات الدراسية، وعلى تنظيم مخيمات كشفية وشراء معدات المخيمات والآلات الموسيقية وجوائز للرياضيين، وعلى تمويل مركز لنشاطات أبناء البلدة، وحتى على شراء سيارة خاصة لنقل المتقاعدين الى ناديهم واعادتهم الى مساكنهم. وكان العمل الطوعي هو العامل الحاسم في انجاز هذه المشاريع كلها. فالقاعة الرياضية، مثلا، بناها ٤٠٠ متطوع صبّوا فيها ما يزيد على عشرة آلاف ساعة عمل.

ويقول مدير مكتب البريد في البلدة: "ان للسوق تأثيرا مباشرا على حياة كل انسان في ياليروب". وفي الواقع، فلم يكن في البلدة، سابقا، مكان للشباب يترددون اليه. فأصبحت اليوم حافلة بشتى أوجه النشاط للكبار والصغار على مدار السنة. ويعتبر نادي السباحة فيها أحد أكبر النوادي في شمال الدانمرك. وهو يضم ٣٠ فريقا وأكثر من ٧٠٠ عضو. وشجع وجود القاعة الرياضية على تنظيم فرق لألعاب البدمنتون (تنس الريشة) والجمباز وكرة اليد وكرة القدم والرقص الشعبي وغيرها.

لكن الميزة الكبرى التي تتحلى بها البلدة هي الروح الجماعية التي تسود ابناءها. وقال لي الدكتور هويش: "ليست الاموال التي تدرها السوق هي التي تهمنا في المقام الاول، بل هو الاعتزاز الذي يتملك كل واحد منا. تحدّث مع أي شخص في ياليروب، تجده فخوراً ببلدته". وقال الرائد في الجيش كارل بيترسن: "يظن الناس في المدن الاخرى اننا قوم من المجانين لاننا نقوم بجميع هذه الاعمال الطوعية. لكن لهذا الاقدام حسنة كبرى هي انه يشدنا بعضنا الى بعض".

السوق المرحة ـ عندما تفتح السوق في نهاية الاسبوع الاول من يونيو (حزيران)، سرعان ما ترى نود باليسغارد، صاحب أحد المصانع في البلدة، في خيمة المرطبات الكبيرة حيث ينهمك في تقشير البطاطا بمرح ظاهر. ومن دواعي غبطة المتطوعين الـ٧٠٠ الذين يديرون السوق كل عام انهم يتناوبون على المهمات المختلفة بحيث يتم توزيع الاعمال المملة بالتساوي.

ولم يستغرب أحد في سوق ١٩٧٩ ان يتولى حاجب مدرسة البلدة، كريستيان فييلغارد، مسؤولية خيمة المرطبات وأن يعهد الى مدير المدرسة في نقل صناديق المرطبات وترتيبها داخل الخيمة.

ومع ان الافتتاح الرسمي يكون صباح السبت، الا ان الحياة تدب في السوق منذ أصيل الجمعة، فيشرع اصحاب الخيول في نقل جيادهم الى الساحات المخصصة لها، وتنصب

الخيام، ويبدأ الباعة الاربعمئة بالوفود. ويصل صانعو المعدات الزراعية في زوبعة من الغبار لعرض مصنوعاتهم. وتؤم السوق احدى اكبر مدن الملاهي المتجولة في الدانمرك، بما فيها من عرّافين ومهرجين وأراجيح وأكشاك. ويتم حجز الفنادق ضمن دائرة شعاعها ٣٠ كيلومترا حول البلدة، وسرعان ما تعلق على ابوابها لافتات تفيد انه لم يبق فيها غرف خالية.

وما ان يقبل الناس على السوق حتى يلقي النجار رونالد ينسن مطرقته ومساميره جانبا ويتوجه الى مكتب الاستعلامات ليتولى امر المذياع. فلا يتوقف عن الحديث، فيروي النوادر ويعلن عن الاحداث المرتقبةويستدعي ذوي الاطفال الضالين. ويسأل رونالد طفلا ذا سبع سنوات تترقرق العبرات في مقلتيه: "هل انت ضائع؟" فيهز الطفل رأسه سلباً قائلا: "بل ان والدي ضائعان". ويواصل رونالد حديثه مع الطفل عبر المذياع، وسرعان ما يلتئم شمل العائلة من جديد.

وفي خيمة المرطبات تبدأ ربات البيوت قلي الفوج الاول من عشرة آلاف شطيرة من لحم البقر (همبرغر) ستستهلك في عطلة نهاية الاسبوع، الى جانب كريات من اللحم الدانمركي المفروم وأصابع السجق وغيرها من الشطائر الشهية.

والواقع ان خيمة المرطبات هي مركز النشاط الاجتماعي في السوق، يتردد اليها الزوار الذين انهكهم التجوال فيروون ظمأهم بما تيسر من الجعة (البيرة). وتقصدها الامهات مع اطفالهن لتناول المرطبات، كما يدخلها تجار الخيل "لقضم" الشطائر المحلية المعروفة باسم "بيبسك".

لكن ما يجتذب الناس الى هذه السوق سنة تلو أخرى ليست الفرقة الموسيقية ولا سبوتنيك، بل صفقات بيع الخيل وشرائها التي تستمر من الفجر حتى الغسق. وقد بدا لي انه، على رغم الوثوق بصدق المصافحة في عقد الصفقات، الا ان الصفقة لا تنتهي بالضرورة عند ذلك الحد. فقد تملكت الحماسةسائق شاحنة، مرة، فوجد نفسه مالكا جوادا قزما قبل ان يعي ما جناه اندفاعه. وأخذ السائق المسكين يفكر في ما عساه ان يفعل بهذا الحصان المرقط، واذا بأحد الباعة المتجولين يمر امامه. وفي لمح البصر تمت الصفقة بينهما، فحصل البائع على الحصان بينما انطلق صاحب الشاحنة يحمل في صندوقه مئة قرص من الجبن.

وتستمر سوق الخيل بصخبها ومساوماتها طوال ثلاثة أيام ونصف يوم، يجري بعدها فك الاراجيح ونزع الاكشاك. وتنصرف جموع الزوار والمشاركين، وتغادر البلدة شاحنة الخيل الاخيرة تاركة وراءهاالغبار.

اما بالنسبة الى بلدة ياليروب فليس للسوق ختام، ذلك لان روحها تستمر في تلك الروابط الوثيقة التي تشد أبناء البلدة بعضهم الى بعض. ولا تزال كلمات اوف اودغارد، بائع العلف، تتردد في اذني اذ قال لي بحرارة واعتزاز: "لا يمكنك ان تقارننا بالمدن الاخرى. فلدينا ميزة مهمة: كون الواحد منا للآخرين".

■ جيم كينر



اصبح الصبي،
في عالمه الوهمي، بطلا مغواراً
وسيماً اسمه سليم باري.
وفي صباح يوم تقشعر له الابدان،
تحول الوهم واقعاً مراً

صوتٌ في غابة

كانت لدي، ايام حداثتي، مجموعة كبيرة من الدمى، فيها الجند ورعاة البقر والهنود الحمر والقراصنة والبحارة والطيارون والفرسان. وكنت ألعب مع الدمى تحت سريري حيث الضوء خافت، وحيث يمكن القوم ان يتسللوا لمباغتة اعدائهم بهجوم صاعق. ومن بين مجموعة الرجال المصنوعة من التنك احببت واحداً حباً خاصاً، وهو الذي يرتدي بزة عسكرية بنية من أيام الحرب العالمية الاولى. غير انه لم يكن ذا مظهر جذاب، خصوصاً لأن الصباغ انقشر عن نصف جسمه وانكسرت قلنسوته الفضية القاسية، مما جعله يبدو كالاصلع في قمة رأسه. ومن الواضح انه كان شاباً

قوي البنية ووسيما ايضا، ولكن مع بعض خشونة. ومما لا شك فيه انه خبر الدنيا وعرف شظف العيش وجرّب حلو الحياة ومرّها.

هذا هو سليم باري.

وفي ظني ان هاتيك الندوب – وهي علامات المعارك وقسوة الحياة – هي التي جعلتني اختارد زعيماً للرجال وبطلا لا يبارى، سواء أكان ذلك في مقاتلة قراصنة البحر او في نسف ذخيرة العدو خلال حملات قاسية دفعت ليس الى اجتياز فسحة الارض تحت السرير فحسب، وانما الى الخروج كذلك الى ارض الغرفة المكشوفة الخطرة وهو يزحف طوال الوقت على بطنه وأخيراً تحتم عليه ان يسل تحت الخزانة الى النهر، وأن يسبح في منحدراته السحيقة قبل ان يستطيع تسلق الجدار والتخلص بضربات سريعة وماهرة وصامتة من هؤلاء الحرّاس ذوي الوجوه المشققة.

لقد كنت انا نفسي سليم باري. وغدوت ذلك الشخص يوم امكنني الخروج بمفردي الى الغابة خلف دارنا، حيث كنت ألتقي "رجالي" في ظل شجرة عملاقة دائمة الخضرة، ضربنا رحالنا حولها ورحنا نتبادل الاراء حول وضع الخطط. ومن هناك انطلقنا في حملات جعلتنا نطأ أرض الهضبة شبراً شبراً.

كان في استطاعتي ان أتسلل بسهولة الى عالم سليم باري أي عالمي الخاص، فأخوض غمار السباق وركوب الخيل والهجمات والاقنعة والمعاطف الفضفاضة وسرعة شهر المسدسات ووميض السيوف ومآثر الجرأة والساحات التي تعج بالقتلى... انه عالم مفعم بالمغامرة، يسوده نمطي الخاص في العدالة. هناك كنت أمكث الساعات الطوال، لا أسمع أياً من الاصوات الحقيقية ولا أرى مشهداً واقعياً – لأني كنت منعزلا في قوقعة مملكتي – الى أن يخترق مسمعي أخيراً صوت حقيقي بحّ من كثرة الصياح، يدعوني الى تناول العشاء.

السبت الطويل – في يوم سبت أيقظنا رنين الهاتف من النوم في السادسة والنصف صباحاً. ونزل والدي الى الطابق السفلي ليرى ما الداعي الى هذا الالحاح، فوجد ان رب الاسرة التي تسكن أعلى الهضبة اتصل ليبلغنا ان طائرة جيش تحمل أربعة طيارين اختفت في مكان ما ضمن منطقتنا خلال الليل الذي اشتد ضبابه. وقبل نصف ساعة فقط وصل احدهم زحفاً على بطنه الى باحة دار الطبيب البيطري مضرجاً بدمائه، وهو يكاد يلفظ انفاسه الاخيرة. ويقع بيت ذلك الطبيب على بعد بضعة كيلومترات من بيتنا في جانب الهضبة الآخر. وجل ما استخلصه الطبيب البيطري من الطيار الجريح، الذي فقد سيطرته على نفسه من فرط اضطرابه، ان الطائرة تحطمت في ذروة مجموعة من الاشجار الكثيفة وان الطيارين الآخرين مازالوا فيها، وربما كانوا أحياء. وقد استدعي رجال الحرس الوطني للمساعدة في البحث عن الطائرة، لكنهم لا يعرفون المنطقة جيداً. وسأل الطبيب اذا كان يمكننا ارشادهم.

أيمكننا ارشادهم؟ يا للسؤال! وفي مثل لمح البرق ارتدى "سليم" ملابسه

وقد حدد بالضبط الموقع المحتمل لسقوط الطائرة، وهو الذي سيقود الرجال الى قلب مكان الحادث. ولذلك راح يسارع الخطى الى جانب ابيه في اتجاه اسفل الهضبة، وبعد ذلك صعوداً في الطريق الخلفية. وكان المطر منهمراً وقد لف الضباب رؤوس الشجر. وجاءت الشاحنات تحمل الجنود بأحذيتهم الثقيلة. وانطلق سيل من الاسئلة:

هل سمع احد شيئاً خلال الليل؟ اي انفجار؟ اي صوت على الاطلاق؟ كلا! ماذا هناك في اسفل المرتفع؟ أكمات فقط وبركتان صغيرتان! وماذا في الاعالي؟ أهي كثيفة الى حد يتعذر خروج المرء حتى بالزحف؟

اني اسمع ضجيجاً ولا أرى طحناً... كلام، كلام، ولا فعل! وعيل صبر سليم فتسلل، من غير ان يحس به احد، الى الغابة ليكتشف بمفرده مكان الحادث. وتهيأ له ان الطائرة لا بد من ان تكون قد كسرت رؤوس الاشجار العالية، مما يحتم سلوك ميمنة الطريق. ولذلك انفصل سليم عن ابيه والجنود الذين راحوا يضربون عصيهم ليشقوا طريقهم في الغابة. وكانوا ينادون بعضهم بعضاً ويصيحون وسط الغابة الكثيفة المجللة بالضباب. وأخذ المطر يهطل على نحو اشد الآن، فانسرب الماء داخل حذاء سليم، كما تصبب على ذراعيه وساقيه.

خفايا الغابات — حافظ سليم بادىء الامر على هدوئه، وهو ما زال على مدى سماع اصوات الحرس، كما كان شأنه في حملاته السابقة. أولم يختبر مئات الحملات من هذا القبيل في سابق ايامه؟ ما الداعي الى ان تتميز هذه الحملة بشيء خاص؟ أو لم يتعلم كيف يكون مرهف السمع، حاذقاً في كشف خفايا الغابات، ماهراً في استغلال بعض الاساليب الخاصة — الى جانب الفطرة — في اللحاق باعدائه وكشف مخابئهم؟ هذه الامور كلها اكتسبها سليم خلال السنوات الطويلة المضنية. ولذلك لن يصعب عليه العثور على بضعة رجال وطائرتهم التي سقطت في الغابة. وكادت هذه الافكار ان تحمله على المشي بخيلاء وسط النباتات الشائكة، ضارباً بيديه وذراعيه الاغصان وهو يشق طريقه عبرها بلامبالاة ويترك بعضها ينطبق على بعض كالمنجنيق.

لكنه، بعد ان توغل في عمق الغابة وانحسرت اصوات الجنود مع بعد المسافة، أحس بأن الغابة بدأت تطوقه وتحاصره. فخفف من غلوائه وغدا اكثر حرصا وحذرا، وبدأت شجاعته تنكمش رويداً رويداً.

"النجدة!"

وفجأة جمدت في مكاني. لقد خاطبني شخص من مكان قريب بصوت ضعيف وهادىء، وناداني من مكان ما من خلال الخضرة المبللة. فتجمدت اوصالي وصعقت حواسي وشعرت بدوار، فأسندت يدي على جذع شجرة. وأحسست بنعومة قشرتها كأنها مطلية بالزيت، فخطفت يدي بعيداً عنها. ونظرت اليها فوجدتها مصبوغة بلون احمر. ثم نظرت الى جذع الشجرة لأجده أحمر هو الآخر.

وسمعت الصوت من جديد، يستغيث بنبرات مكتومة: "النجدة". وعرفت

انه صادر من فوق رأسي. ورفعت عيني بصعوبة لأرى فوق رأسي مباشرة، وعلى علو تسعة أمتار أو عشرة، طائرة مقلوبة على ظهرها ومشدودة كأنها وسط ملزمة من الجذوع والاغصان المنحنية والملتوية. وقد انخلع احد جناحيها واختفى محركها، بينما تدلى من احد الابواب المنبعجة المشوهة رجل معلق بأحزمته، وجهه الى أسفل وذراعاه ملتويتان ومعقوفتان. وكان الدم ينحدر من وجهه ويتساقط على جذع الشجرة، وينساب في خيط احمر على طول الجذع حتى يلامس الارض. وقد كسا الدم وجهه ما خلا بياض عينيه اللتين اطلتا علي بأقسى نظرة مؤلمة متضرعة يمكن أن ترتسم على وجه انسان. وتحركت شفتاه فوق فتحة سوداء تكسرت عليها كلمة "النجدة" بتنهد جديد.

نظرة سرمدية — لم أقو على الحركة ولم أستطع الرد عليه. وتلاقت أعيننا في نظرة خلتها سرمدية: ها هو من فوق غير قادر على الكلام وفي حاجة الي، وها انا من تحت لا أستطيع ان أفعل شيئاً من أجله.

وتمكنت اخيراً من تحويل عيني عنوة بعيداً عنه. وفي تلك اللحظة سمعت أنيناً خافتاً من مكان ما على الارض، أنيناً أجش ملؤه الالم. فتسمرت مكاني مرة أخرى، ولم يتحرك فيّ شيء سوى عيني اللتين أجالتا النظر في الاغصان ونباتات السرخس التي يقطر منها المطر بحثاً عن ذلك الصوت المخيف. واذا كان مصدر الصوت على الارض، ففي امكاني الوصول اليه وتقديم العون له. وكل ما يجب فعله هو أن أخطو بضع خطوات، لا أكثر!

غير اني لم أستطع ذلك، بل ادرت ظهري وهربت، محطماً كل ما اعترض طريقي، ضارباً الاغصان بقوة والخوف يهز اعماقي من هول ما رأيت. وسمعتني أصرخ بصوت غير صوتي. ألم يعد في الغابة احد غيري وغير هؤلاء الذين تركتهم ورائي؟ وبلغت منفرجاً بين الاشجار. وهناك ابصرت احد الحراس، فرفعت ذراعي في الهواء لألفت انتباهه، وشددته من قميصه وأشرت بيدي الى الناحية المعنية، واستطعت أن أقول:"هناك... انها هناك!"

استدار الحارس وانطلق يركض. وما هي الا لحظة حتى دوت الصفارة وخرج الجنود من بين الاشجار. وسرعان ما سمعتهم يصيحون بالرجل المتدلي من طائرته بأن يصمد لحظة واحدة حتى يتسلقوا الى حيث هو. وسمعت تقصف الاغصان والرجال يتسلقون الشجرة. ثم انطلقت صرخة الم مدوية.

اين أبي؟ — يجب ان اجد أبي. وظللت أركض بحثاً عنه. وتعثرت بشجرة ملقاة فوق الارض وجرحت ذقني، لكنني نهضت وواصلت الركض الى أسفل الغابة حتى أبصرت والدي واقفاً بجانب احد الحراس في الطريق. فتوقفت عن الركض واقتربت منه ماشياً، وفيّ حاجة شديدة الى ان أكون قربه وألمسه. وقال:"ها انت اخيراً. لقد بحثت عنك في كل مكان وكدت ان أموت قلقاً عليك... لقد عثروا على الطائرة، ويقولون ان صبياً ارشدهم اليها!"

كان والدي يعلم ان ذاك الصبي ما هو الا أنا. أما أنا فاكتفيت بهز رأسي. وعلى رغم اني حاولت اخفاء الرعب، الا ان والدي أدرك مدى خوفي. ومكثنا فترة نراقب الشاحنات البنية اللون المغطاة بالقماش تجيء وتذهب، وشاهدنا وصول سيارات الشرطة والاسعاف. وهممت بأن أقص على والدي ما جرى، لكنني لم استطع. ومع ذلك أيقنت ان والدي يعرف وانه مدرك ان ما حدث قد حدث وانتهى، ولهذا لم يسألني عن اي تفاصيل. وبدلا من ذلك، قال انه يحمد الله على وجود شخص مثلي يعرف الغابة معرفة واسعة.

أما انا فكنت اعرف الوجه الآخر لتلك الحقيقة. وفيما كنا واقفين نراقب الشاحنات، اصغيت الى اصوات النجدة من عمق الغابة وصياح الرجال الشجعان على رؤوس الاشجار وهم يعملون في جسم الطائرة نفسها ويدلون ذلك الرجل المعلق الى الارض. وتساءلت: "ترى كيف سينظر اليهم؟" وراودني احساس فطري بأن الغابة لن تعود، منذ تلك اللحظة، كما عهدتها.

ولم ارد البقاء في ذلك المكان، لكني لم أستطع مغادرته. وأخيراً، قبل ان يبدأ الرجال حمل اي جريح على النقالة، قال والدي ان وجودنا هناك لم يعد ذا فائدة، بل قد يعوق الرجال. فحملنا أنفسنا وعدنا ادراجنا معاً في المطر بصمت وتؤدة حتى بلغنا البيت.

■ فيليب كونهارت

حاجات الانسان

الدين الذي يكون من الوضوح بحيث نفهم كل تفاصيله هو من الضآلة بحيث لا يفي بحاجاتنا.

ا.ب.

الهدية القبيحة

تسلمت سيدة هدية مرسلة اليها من خارج البلاد. وبينما هي تفتح الصندوق الكرتوني، اكتشفت فيه اناء زهر ظاهر القبح على رغم انه كسر قطعاً. ولان الطرد كان مؤمناً عليه، فقد حملته الى مكتب البريد حيث القى موظف المكتب نظرة خاطفة على الاناء ثم قال برزانة: "ما حصل يشبه قتل الحيوان المعذب رأفة به".

س.هـ.

الحيوانات الناطقة

بينما كنت اتنزه مع زوجتي في احدى الحدائق العامة، رأينا عائلة تتناول طعامها في الهواء الطلق وقد اقتربت منها ستة من حيوانات الراكون الصغيرة تتلمس ما تجود به ايديها من طعام. فأخذت العائلة تلقي اليها قطع الطعام وهي تخاطبها بالاسبانية: "تعالوا هنا ايها الصغار". وقد اعترفت لزوجتي لاحقاً بأن رد فعلي الاول لما رأيته كان: "ما هذه الغرابة؟ ان حيوانات الراكون لا تتكلم الاسبانية".

ر.س.

تفاؤلي ساعدني على دحر السرطان

مهما بلغت فعالية الابتكارات الطبية الحديثة تبقى القدرة العظمى على الشفاء كامنة في ارادة الانسان

في فبراير (شباط) ١٩٧٤ شعر نيل فيوري للمرة الاولى بورم في وعاء خصيتيه يعادل حجمه حبة الحمص، وذلك بينما كان يستحم في منزله؛ فظن للوهلة الاولى ان الامر ليس سوى التهاب بسيط لن يعتم ان يزول. لكن "الالتهاب" لم يختف، واستمر علىحاله ثلاثة اشهر، مما حمل نيل، البالغ من العمر ٣٢ عاماً والمتخصص في علم النفس، على مراجعة الطبيب.

وكان الطبيب المختص في المجاري البولية، الذي اختاره فريق الاطباء الذين استشارهم نيل، مشهوداً له بالخبرة والكفاية. وما ان كشف على الورم حتى فاجأ نيل بقوله: "استعد لجراحة استكشافية في الاسبوع المقبل، فربما كان ذلك سرطاناً".

ويصف نيل فيوري ما راوده من افكار ومشاعر في تلك اللحظة: "كنت مقبلا على عملية استئصال نسيج من منطقة الورم لدراسته مجهرياً. وكان الاحتمال وارداً بأن يستأصل الطبيب الخصية القريبة من الورم لفحصها كي يحدد نوعية النمو غير الطبيعي في الخلايا. وتملكني الخوف. لكن ما اقلقني فعلا كان احتمال اجراء ذلك

من دون موافقتي، فقد سمعت عن نساء عديدات افقن من جراحات "استكشافية" ليجدن انهن فقدن الرحم او احد الثديين، وكنت في وضع مشابه".

ويسترجع نيل ذكرياته فيقول انه لا يدري ماذا دفعه الى التصرف كما فعل، فقد اعتزم، وهو ممدد على الطاولة في غرفة العمليات، ان يفعل شيئاً قبل الاستسلام لمبضع الطبيب، فسأله عما اذا كان من الافضل اجراء فحوص مخبرية او تصوير بالاشعة لتشخيص حالته، فأجاب الطبيب بتعال: "سأطلب اجراء تلك الفحوص اذا شئت، لكنها لن تغنيك عن استئصال عينة من ذلك الموضع".

– لماذا لا نحصل على رأي طبيب آخر؟

"ذلك عائد اليك".

وشعر نيل بان الطبيب كان يخيره بين الاستسلام الكامل لرأيه والتصرف كما يريد، فغادر العيادة وهو في حال اضطراب شديد، ووجد نفسه في حاجة الى بعض الوقت للسيطرة على مشاعره والتروي في تقرير مصيره، وبصفته اختصاصياً في علم النفس، يتعامل بانتظام مع اشخاص مضطربين، فانه يؤمن ايماناً راسخاً بالاعتكاف والتأمل من أجل صفاء الذهن، وبرياضة العدو لاسترخاء الجسم، مما يساعد على اتخاذ القرارات الصائبة.

وبينما كان نيل في خلوته تلك الليلة اتضحت له الامور، فالموضوع يتعلق بجسمه، وهو في حاجة الى آراء وخبرات طبية اخرى لحل مشكلته البالغة الخطورة، لكنه شعر في الوقت نفسه انه هو المسؤول الاول والاخير عن مصيره، وان تقرير الوقت والمكان والاجراءات كلها عائد اليه وحده.

وخلال الايام القليلة التي تلت لقاءه لذلك الطبيب حدد نيل موعدين مع اختصاصيين اخرين في المسالك البولية، وجاءت نتيجة تشخيصهما مطابقة لتشخيص الطبيب الاول، واضافة الى ذلك، كشفت احدى صور الاشعة التي اخذت لصدره، كجزء من الفحص الشامل الذي طلبه، عن وجود بقعة قطرها ٢،٥ سنتيمتر في اسفل رئته اليسرى فاستنتج الاطباء ان الورم في وعاء خصيته هو من النوع الخبيث، وانه امتد الى رئته.

ويقول نيل: "وافقت في النهاية على اجراء جراحة استكشافية، ولكن بعد استيفائي بعض الشروح، وأردت ان اعلم سلفاً، وبالتفصيل، جميع الخيارات وطرق العلاج الممكنة في ما لو كشفت الجراحة عن وجود السرطان، ان معرفة ما على المريض ان يتوقعه تساعده على السيطرة على نفسه، وهو امر بالغ الاهمية".

قد يتسم موقف نيل بكثرة التبرم والتذمر، لكن عدداً وافياً من الاختصاصيين في امراض السرطان يرون ذلك من الدلائل السليمة، ويقول الدكتور بول هاملتون الابن، الرئيس السابق لوحدة علاج الاورام في المركز الطبي البرسبيتيري (تابع للكنيسة البروتستانتية) في دنفر في ولاية كولورادو الامريكية: "ليس في امكان الطبيب سوى اعطاء الادوية، فالقدرة على مقاومة المرض تكمن في نفس المريض، وينحصر دور الطبيب في مساعدته على اكتشاف تلك القدرة واستخدامها".

لكن نيل فيوري نقل بعد ذلك الى غرفة العمليات في ١٣ يونيو (حزيران) ١٩٧٤، في اليوم الذي سبق عيد ميلاده الثالث والثلاثين. وكشفت الجراحة عن وجود ورم سرطاني جنيني. ونظراً الى ان هذا الورم كان السبب في انتشار الخلايا السرطانية في رئة نيل، فقد رأى الجراح ان لا بد من استئصال الخصية.

ويقول نيل:"باستثناء بعض الانزعاج الذي اصابني بعد الجراحة، شعرت بأني ما زلت في صحة جيدة. وكان من الصعب علي ان اصدق ذلك، فقد كنت في واقع الامر اعاني علة طالما ربطتها بالامراض المستعصية التي تودي بحياة صاحبها لا محالة. وكنت اعلم ان الخلايا السرطانية هي خلايا غير طبيعية وموضع التباس، وان المناعة الذاتية للجسم كفيلة بمكافحتها".

ويضيف:"بينما كنت مستلقياً على سريري في المستشفى خطر ببالي اني مريض بنسبة واحد في المئة فقط وان الـ٩٩ في المئة الباقية من صحتي سليمة تماماً وعلى اتم الاستعداد لدحر "الخلايا الفاسدة" في رئتي. وتراءت لي "جحافل" خلايا الدم البيضاء وهي تهب للقضاء على الخلايا السرطانية الهزيلة. وأخذت افكر: كيف يمكنني ان اساعد على هذا الصراع؟ وتوافرت لدي قناعة بان لمعتقداتي وتصرفاتي الخاصة تأثيراً كبيراً على مجرى المرض. فعقدت العزم، اياً يكن رأي الاطباء في جهودي الشخصية، على تسخير جميع طاقاتي في الصراع المقبل".

وكانت احدى هذه الطاقات التي عزم نيل على تسخيرها توقه النهم الى معرفة كل ما كتب عن علاج السرطان. وما ان خرج من المستشفى حتى توجه الى احدى المكتبات الطبية حيث اطمأن الى ان طبيبه كان يتبع في معالجته احدث الطرق وأقلها اذى. لكنه وقف ايضاً على بعض المعلومات المزعجة، منها ان تشريح العقد اللمفاوية بقصد دراستها، وهو ما اعتزم الاطباء اجراءه، ربما ادى الى تثبيط قدرته على القذف المنوي، وأن العلاج الكيميائي وعلاج الاشعة قد يتسببان في العقم. وكان نيل يتصور دائماً انه سيتزوج يوماً ويصبح اباً.

ويقول في ذلك: "كان هدفي ان اقاوم السرطان بأقل الاضرار التي تهدد نوعية حياتي المستقبلية. وبدا لي، من ناحية اخرى، ان هم الاطباء محصور في ابادة الخلايا السرطانية. فقبل ان اوافق على اي تدبير استشرت عدداً من المتخصصين في المعالجة الكيميائية وبأشعة كوبالت القوية لمعرفة ما اذا كانت طريقة معالجتهم تغني عن المزيد من الجراحات. وأخذت اقرأ كل ما وقعت عليه يدي حول استئصال العقد اللمفاوية وجدوى ذلك وآثاره.

"وقد أظهرت الفحوص ان العقد اللمفاوية لدي كانت سليمة. فتساءلت: ماذا يوجب استئصال جزء نظيف من العقد اللمفاوية طالما يستطيع جسمي استخدامه في مكافحة السرطان؟ وافادني طبيبي المختص في المسالك البولية انه على

رغم نتائج الفحوص فهناك احتمال بوجود خلايا سرطانية في غاية الدقة، وان الاحصاءات تشير الى وجوب استئصال العقد اللمفاوية في مثل تلك الاحوال.

"لكن المراجع الطبية التي قرأتها حول نوع الورم الذي اعانيه تنصح بتجنب الجراحة بعد انتشار السرطان؛ فمن شأن ذلك ان يؤخر بدء العلاج الكيميائي. ولو استطاع الاطباء اقناعي بضرورة اجراء الجراحة، لكنت مستعداً لتلك العملية الدقيقة ،التي تستغرق ثماني ساعات لكني كنت ايضاً على استعداد لأن اناقش ضد الجراحة لمصلحة العلاج الكيميائي.

"لكن صور الاشعة كشفت عن وجود بقعة ثانية على رئتي، مما دل على ان السرطان اخذ ينتشر بسرعة عبر الدورة الدموية. واقترح علي طبيب المسالك البولية البديل (كان طبيبي الاصيل في اجازة) ان انتظر حتى اذا ما ظهرت بقع سرطانية اخرى امكن عندئذ استئصال الرئة المصابة. ولحسن الحظ كنت قد درست هذا الموضوع من جميع جوانبه. فقلت للطبيب انه على رغم ظهور بقعة ثانية على جدار الرئة فالامر لا يستدعي اجراء جراحة طالما ان العقد اللمفاوية سليمة. وانما يجب بدء العلاج الكيميائي فوراً. وشد ما كانت دهشتي عندما وافق الطبيب على رأيي قائلا انه الحل المعقول البديل من الجراحة. ثم اتخذ الترتيبات اللازمة على هذا الاساس".

انا سيد نفسي – في ٥ يوليو (تموز) ١٩٧٤، اي بعد ثلاثة اسابيع من الجراحة اخذ نيل الحقنة الاولى من عقار الادرياميسين السام اضافة الى حقنتين اخريين من الادوية الفعالة ضد السرطان. وواظب على اخذ هذه الحقن واجراء الفحص اللازم لدمه مرة كل اسبوع وعلى مدى سبعة اشهر. وتقلصت الاوردة في ذراعيه وبرزت عليها علامات الحقن بهذه العقاقير الاكالة. وتزايدت الصعوبة في الاهتداء الى عرق صالح للحقن.

ووقع نيل فريسة التحدي المتعاظم كل اسبوع في مواجهة الالم والخوف المرافقين لهذا العلاج. لكنه، بدلا من ان يفكر في سموم هذه الادوية أخذ يتخيلها كحليف جبار له هب لنجدة خلايا دمه البيضاء في حربها ضد السرطان. وبذل جهداً متواصلا لوقاية قواه العقلية والجسدية من الانهيار. فظلت سليمة لا تشوبها شائبة وساعدته خلوات التأمل على الحد من شعوره بالقلق والتوتر.

وحافظ نيل على نظام غذائي جيد. وثابر على العدو مسافة ثلاثة كيلومترات في اليوم. وكلما استحال عليه ذلك بسبب التعب او الغثيان كان يختصر المسافةأو يستعيض عن الركض بالمشي. وكان يأخذ قيلولة كلما شعر بالتعب، ويتجنب الخوض في المشاكل العرضية ويتبع المصارحة المباشرة في تعامله مع الناس. وعندما اقترحت عليه الممرضة العاملة عند طبيبه ان يؤجل موعداً الى يوم الاثنين" لان يوم الجمعة شبه عطلة"، اصر نيل على مقابلة طبيبه في الموعد المضروب. ولما سألته الممرضة لماذا لا ينتظر بضعة ايام اخرى اجابها:"ذلك يعني لي عطلة نهاية

اسبوع يسودها القلق· وأنا لا اريد اضاعة طاقتي بهذه الطريقة"·

ويستطرد:"عندما بدأ شعري يتساقط بغزارة هبطت معنوياتي الى الحضيض· ومع ان صور الاشعة اوضحت اختفاء البقع عن رئتي - وهي دلالة على ان الادوية ومناعة جسمي بدأت تربح الصراع - الا ان الطبيب رأى انه يستطيع تحقيق مكاسب اخرى بزيادة عدد الحقن، وراح يتحدث عن استكمال العلاج الكيميائي بعلاج الاشعة وعن احتمال استئصال جزء من العقد اللمفاوية، وهي الجراحة التي ظننت اني تملصت منها·

"وفي منتصف سبتمبر (ايلول) ١٩٧٤، اي بعد شهرين من العلاج الكيميائي، دخلت المستشفى على اثر نوبة من الحمى لم اعرف سببها ولم تلبث الحمى ان تلاشت من دون عناية طبية تذكر· لكن هذا الحادث كان نقطة تحول في علاجي من السرطان· ذلك لان الحمى اضطرت الاطباء الى التوقف عن حقني بالمواد الكيميائية مدة ثلاثة اسابيع· وقد أدت فترة التوقف تلك، التي اراحتني من الآثار الجانبية للعقاقير، الى رفع معنوياتي وشحذ عزيمتي فقررت اذ ذاك اني اذا ما اردت الاستراحة من الحقن مرة اخرى فسوف اعرب عن رغبتي في ذلك بصراحة، كما قررت ان يكون رأيي انا هو الرأي المرجح في هذا الموضوع"·

هل اختفى حقاً؟ - لقد بدأ عدد قليل، لكنه مهم، من المختصين في امراض السرطان يدركون ان السر في العلاج الفعال يكمن في الاصغاء الى المرضى واتاحة المجال لهم للمشاركة في معالجة انفسهم· وكان نيل فيوري يعلم ان الطبيب الذي اشرف على معالجته كان اختصاصياً بارعاً، غير انه، في الوقت نفسه، اصر على ان مكافحة السرطان تستوجب اقتناع الطبيب والمريض معاً بان عقل المريض وجسمه هما عاملان فعالان في هذا الكفاح، وان عدم الاستعانة بهذين الحليفين قد يؤدي الى الاكتئاب ومقاومة العلاج وفقدان الرغبة في الحياة·

وقد تحدث نيل مراراً الى الطبيب الاختصاصي في العلاج الكيميائي حول امكان عرض حاله على لجنة من الاطباء الخبراء، غير ان ذلك لم يتحقق· فأصر على تحديد موعد لذلك· ولدى اطلاع تلك المجموعة من الاطباء على حاله ابدوا ارتياحهم الى التقدم الذي احرزه، ولم يروا اي حاجة الى استئصال العقد اللمفاوية او العلاج بالاشعة·

ويقول نيل في هذا الصدد:"في اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٤ اوصت لجنة الاطباء المتخصصين في دراسة الاورام ان استمر في اخذ حقن اسبوعية مدى سبعة اشهر، على ان تعقبها سنة من تناول عقاقير "الصيانة"، كل ستة اسابيع· وفي ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٥، بعد سنة ونصف سنة من بدء العلاج، سألت طبيبي عما اذا كان للعقاقير التي اتناولها كل بستة اسابيع مفعول اقوى من مقاومة جسمي الطبيعية اذا لم تعقه الآثار الجانبية التي تخلفها تلك العقاقير· فاستشار احد الخبراء الذي افاده بانه على رغم ان نصيبي من

الشفاء بلغ ٩٠ في المئة فمن الافضل ان اواصل العلاج كي أصبح في مأمن تام من المرض. ومع هذا فقد اتخذت القرار الصعب بان اتحمل مسؤولية التوقف عن العلاج الكيميائي".

كان ذلك منذ اربع سنوات ونصف سنة. أما اليوم فقد عاد شعر نيل وجلده الى حالهما الطبيعية، وان لم تزل بعض عروقه بادية التقلص وتحمل آثار وخز الحقن.

والسؤال الآن هو:هل اختفى سرطان نيل الى غير رجعة؟

لا أحد يستطيع التأكيد على ان نيل شفي تماماً او ان مرضه هو الان في حال سكون طويلة الاجل.

لكن نيل يشعر بانه تعافى وبان حياته اصبحت اكثر هدوءاً وخصباً. فاذا خطر له ان يقضي ساعة جالساً على تلة او محدقاً الى طائر يحلق في الافق، فقد بات في وسعه ان يفعل ذلك. وهو يجتمع بمن يحب ويتجنب كل من لا يروقه معشره. لقد تعلم الآن ان يحب الحياة من وجوه عدة لم تتفتح له من قبل. ولا شك في ان نيل فيوري يعد مثالا لأولئك الذين يعرفون كيف ان تحمل المسؤولية تؤتي ثماره مهما تراكمت المصاعب.

ويقول نيل:"عندما شارف العلاج على نهايته، طلب مني طبيبي المتخصص في العلاج الكيميائي ان اسجل شريط فيديو اطلع فيه مرضى السرطان على سلوكي مع المرض وعلى الآثار الجانبية للعقاقير التي حقنت بها. فرغبت في ابراز النقاط الآتية:

○ ان لك مطلق الحق في مناقشة طبيبك. فاذا شعرت بان هناك اجراء يقلقك او يتعارض مع قناعتك، فاسأل الطبيب عن الدواعي التي تحمله على اتخاذه، ولا تتردد في السؤال عن الطرق البديلة.

○ لا تبدد جهدك وطاقتك في التفكير الدائم في حالك. واذا اقلقك الم متواصل فاستدع طبيبك. لا تخش جدوله الحافل بالمواعيد ولا تحسب نفسك متطفلا عليه.

○ اذا لم يبال الطبيب بمشاعرك فعليك استشارة طبيب آخر.

○ لا تسلم حياتك الى الطبيب او تجبره على التصرف بمصيرك كأنه خالقك. احترم رأيه، ولكن احترم جسدك وحكمتك كذلك. وربما رغبت في ترك اتخاذ قرار ما لطبيبك، فذلك امر عائد اليك انت.

○ اياك واليأس بسبب نتائج الاحصاءات. فلا معنى للقنوط لان عشرة في المئة فقط من المصابين بمرضك بقوا على قيد الحياة. بل تذكر ان الذين كتبت لهم الحياة عاشوها كاملة.

■ **ستانلي انغلبارت ونيل فيوري**



قبعة الوزن الخفيف

نسي ابرهام لينكولن في احدى الليالي قبعته الطويلة على مقعد في حجرة الاستقبال في مكتب وزير الدفاع. ولدى عودته لاستردادها، قامت سيدة سمينة عن المقعد، وانحنت لتحية الرئيس الذي رد عليها بانحناءة مماثلة. ثم مشى خلفها والتقط ما تبقى من قبعته، وقال وهو يهز رأسه بأسى:"كان علي ان اخبرك ان قبعتي لا تناسبك قبل ان تجربيها".

ديفيد هومر بيتس، كتاب "اقوال لينكولن"

المكسيك:

أمة أم بئر نفط؟

بعد اكتشاف صاعق لكميات نفط هائلة
في المكسيك، هل تحل المشاكل التي تتخبط فيها البلاد؟

المكسيك بلد منتج للنفط منذ عشرات السنين. وعندما أممت شركات النفط الاجنبية عام ١٩٣٨ كانت البلاد تشغل المقام الثاني بين البلدان المنتجة للنفط، بعد الولايات المتحدة مباشرة. لكن الفساد وقلة الكفاية تسببا في تحويل المكسيك عام ١٩٧١ الى دولة مستوردة.

ولكن عندما رفعت منظمة الدول المصدرة للنفط (اوبيك) اسعارها في العام ١٩٧٣ الى اربعة اضعاف ما كانت قبلها، لم يسع مؤسسة "بيمكس"، وهي الهيئة الحكومية المهيمنة على النفط المكسيكي، الا ان تنتهز الفرصة لجني الارباح. وهكذا تم اكتشاف حقول النفط الجديدة في ولايتي تاباسكو وتشياباس، وأخذ الانتاج في الارتفاع. وأصبحت المكسيك تنتج، عام ١٩٧٨، ١،٤ مليون برميل يومياً يستهلك منها مليون ويصدر الباقي. وتقدر مؤسسة بيمكس احتياط النفط المكسيكي بـ٨٥ مليار برميل، مما يضع المكسيك في صف الدول المنتجة الرئيسية بالتساوي مع ايران والكويت.

يبدو نفط المكسيك، للوهلة الاولى، هبة من الله الى جارتها العملاقة في الشمال ومنبعاً مأموناً للطاقة من الناحية الاستراتيجية. لكن التدقيق في الحقائق السياسية والاجتماعية ينذر بأن هناك مشاكل تلوح في الافق.

ليس النفط، بالنسبة الى

المكسيكيين، نتاجاً فحسب، وانما هو رمز كفاح طويل مرير، لم تؤت ثماره بعد، ضد السيطرة التي تفرضها دول اخرى في طليعتها الولايات المتحدة. اضف الى ذلك ان المكسيك، على نقيض حال الدول المصدرة للنفط في الشرق الاوسط، بلد يتزايد فيه عدد السكان سريعاً ويتنامى فيه القطاع الصناعي. ومن المنتظر ان يتجاوز الاستهلاك المحلي في المكسيك، عام ١٩٨٨، ضعف ما هو اليوم، مما يحتم على البلاد ان تضع حاجاتها الداخلية في الاعتبار قبل حاجات عملاق الشمال (الولايات المتحدة).

ويشارف الرئيس المكسيكي خوسيه لوبيز بورتيو على الستين (ولد في ١٦ يونيو/ حزيران ١٩٢٠). وهو استاذ سابق في القانون، ويتمتع بخبرة ٢٠ سنة في الادارة العامة. وقد اعاد العافية الى الاقتصاد المكسيكي بعد ست سنوات من التبذير في عهد سلفه لويس اتشيفيريا الفاريز. فتمكن، عن طريق اجراءات صارمة ضد الفساد وخطط تحديد الاجور، من تثبيت سعر البيزو المكسيكي وتخفيف حدة التضخم واستحثاث الاستثمار الخاص والحؤول دون تسرب رؤوس الاموال المكسيكية الى الخارج.

الا ان الاقتصاد المكسيكي لا يزال متصدعاً. وبلغ معدل التضخم ١٨ في المئة عام ١٩٧٩ تبعاً لتقديرات مصرف المكسيك. أما المعدل الحقيقي فربما تجاوز الـ٢٥ في المئة. ومن شأن الزيادة الهائلة المتوقعة في عوائد النفط ان تزيد نار التضخم لهيباً، فتؤدي الى تعديل قيمة البيزو، فيصبح من الصعب على المكسيك ان ينمي اقتصاداً يستطيع الصمود عندما ينفد النفط من البلاد. وقد اشار الرئيس المكسيكي مراراً الى ان كميات النفط التي تستخرج للتصدير سوف تحددها حاجات المكسيك واولوياتها وليس حاجات الولايات المتحدة.

وهناك اخيراً تخوف، ينجم معظمه عن احداث ايران، من ان المبالغة في عقد الامال على تدفق اموال النفط ربما افضت الى زعزعة الاستقرار في امة تشتد حاجة بنيتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية الى التجديد والاصلاح.

عش بدولارا – ليست الامور في المكسيك كما تبدو تماماً، بل هي اسوأ من ذلك عادة. فالمكسيك بلد ديموقراطي من الناحية النظرية، الا انه في الواقع دولة يسودها نظام الحزب الواحد ويتمتع فيها الرئيس، الذي ينتخب لمدة ست سنوات، بسلطة مطلقة.

وربما بدا هذا النظام مثالا مسخاً للديموقراطية، الا انه اصاب مقداراً كبيراً من النجاح. فمنذ العام ١٩٣٤ لم يحدث ان تجاوز اي من رؤساء المكسيك مدة ولايته. ولم يحصل اي عصيان خطير منذ العام ١٩٣٨. وعلى خلاف بقية بلدان امريكا اللاتينية، فالجيش المكسيكي لا يتدخل في السياسة. ومع ذلك تكاثرت الدلائل، خلال السنوات الاخيرة، على ان النظام مشرف على الانهيار. فقد استولى بعض الفلاحين المحرومين، الذين يتجاوز عددهم الاربعة ملايين، على مساحات واسعة من الاراضي الزراعية. وتعددت الاضطرابات وسط

الاحياء الفقيرة في مدينة مكسيكو حيث يعيش نحو ١٣ مليون في ظروف مروعة.

ورغبة من الرئيس بورتيو في منح المعارضة فرصة التعبير عن رأيها، وان لم يأخذ به، اجاز العمل عام ١٩٧٨ لثلاثة احزاب جديدة، بينها الحزب الشيوعي، وأفرد لها مئة مقعد في البرلمان الذي يضم ٤٠٠ عضو. لكن الاصلاحات السياسية لم تجد في حل المعضلة المكسيكية الحقيقية الا وهي الفقر.

ان الدخل السنوي للفرد في المكسيك يعادل ١٢٦٨ دولاراً، وهو يبدو وافياً نسبياً. لكن المكسيك، حسب قول فيكتور اوركيدي رئيس كلية مكسيكو، "يشكو سوء توزيع للدخل رهيباً يفوق مثيله في معظم البلدان النامية". ففي اواكساكا، قلب ولاية المكسيك الهندي حيث يعيش ٧٤ في المئة من سكان الولاية البالغ عددهم مليونين ونصف مليون نسمة، لا يتجاوز دخل العائلة الشهري الثمانية دولارات.

لقد وصل معدل انتاج المكسيك من النفط عام ١٩٧٨ الى ١،٤ مليون برميل يومياً. ومن المنتظر ان يرتفع هذا الانتاج الى ٢،٢٥ مليون برميل يومياً في نهاية ١٩٨٠، منها ١،١ مليون برميل للتصدير. ولو صدرت هذه الكمية كلها الى الولايات المتحدة لغطت نحو ١٣ في المئة من وارداتها النفطية، اي ما يفوق قليلا ما تستورده من نيجيريا، المصدر الثاني لنفطها بعد المملكة العربية السعودية.

ولكن هل ستحصل الولايات المتحدة على المقدار الذي تنشده من نفط المكسيك؟

يبدو ان ذلك بعيد المنال. فالولايات المتحدة تحصل حالياً على ٨٠ في المئة من نفط المكسيك المصدر. غير ان المكسيكيين يحرصون على بيع نفطهم لجهات اخرى كي يحدوا تبعيتهم الاقتصادية لجارتهم الشمالية التي تبتاع نحو ٧٠ في المئة من صادراتهم وتزودهم بأكثر من ٦٠ في المئة من وارداتهم. والمكسيك تأتي في المرتبة الخامسة في قائمة التبادل التجاري مع الولايات المتحدة، وقد بلغت قيمة التبادل بين البلدين ١٢،٧ مليار دولار عام ١٩٧٨. اضف الى ذلك ان عدداً من البلدان، بينها اسبانيا وفرنسا وكوبا وأسوج واليابان، ابدت اهتماماً شديداً بثروة المكسيك النفطية الجديدة، ووقع عدد منها على اتفاقات مع مؤسسة بيمكس.

والواقع ان المكسيكيين لن يكونوا على استعداد لأي محاباة تجاه الولايات المتحدة الامريكية، في ما يتعلق ببيع النفط، قبل ان تحل المشاكل القائمة بين البلدين على اسس تعتبرها المكسيك منصفة. وتتناول هذه المشاكل ما يأتي:

□ **المكسيكيون المقيمون في الولايات المتحدة بصفة غير شرعية:**

لا أحد يعلم عدد هؤلاء، وانما هو يقدر بسبعة ملايين. فهل يعتبر وجودهم نعمة ام لعنة؟ ان الآراء تختلف تماماً في هذا الصدد. فاتحادات العمال الامريكية ترى فيهم خطراً على سبل عيش العمال الامريكيين. غير ان عدداً لا يحصى

من المزارع والفنادق والمطاعم الامريكية ربما سبب بالافلاس لولا تلك الايدي العاملة المكسيكية الرخيصة التي تتولى اعمالا يتأباها الامريكيون.

ومع ان الحكومة المكسيكية تصر على انها تفضل تصدير البضائع على تصدير الناس، الا ان بقاء الحدود مفتوحة عامل اساسي في الحفاظ على استقرار المكسيك. فذلك يوفر فرص العمل لاولئك الذين يقعون لولاه فريسة التيارات المعادية للحكومة. كما ان الاموال التي يرسلها هؤلاء المهاجرون الى ذويهم، وهي تقدر بثلاثة مليارات دولار سنوياً، تعادل ضعف دخل المكسيك من نشاطها السياحي.

ولهذا الفيض من الايدي العاملة المكسيكية اسباب عدة. فضحالة انتاج القطاع الزراعي وشح المياه يشكلان سببين من هذه الاسباب. الا ان اهمها هو اكثرها بساطة: كثرة عدد سكان المكسيك. فهو يبلغ اليوم ٦٩ مليون نسمة، وسوف يرتفع الى مئة مليون، وربما ١٢٠ مليوناً، في نهاية هذا القرن. وفي كل عام ينضم نحو مليون مكسيكي الى سوق العمل التي لا تتحمل زيادة تفوق الـ٦٠٠ الف عامل سنويا. وهذا يعني ان ٤٠٠ ألف آخرين مخيرون بين الموت جوعا والاتجاه الى الشمال.

فما العمل لتسوية هذا الوضع؟ ان احد الاساليب التي يمكن اتباعها للحد من التدفق غير المشروع عبر الحدود هو العودة الى برنامج "براسيرو" الذي كان نحو ٤٠٠ الف مكسيكي يدخلون بمقتضاه الولايات المتحدة سنوياً بتأشيرات موقتة للعمل في الحقول. وقد جمد هذا البرنامج منذ ١٩٦٤ نتيجة معارضة النقابات. وهناك حل آخر هو منح الشركات الصناعية الامريكية امتيازات ضريبية اذا ما رغبت في اقامة مصانع في الولايات المكسيكية الثماني التي ينزح منها اكثر من نصف المهاجرين غير الشرعيين.

وعلى كل حال فان اي زيادة في مقادير النفط المكسيكي المتاحة للولايات المتحدة تتوقف الى حد بعيد على موقف السلطات الامريكية من دخول العمال المكسيكيين اليها، شرعياً كان او غير شرعي، وعلى حسن معاملة هؤلاء المهاجرين بعد ان يجتازوا الحدود.

□ المخدرات:

بعدما تم القضاء على "حلقة التهريب الفرنسية" بين تركيا والولايات المتحدة عام ١٩٧٢، ارتفع نصيب المكسيك في تزويد سوق الهيروين الامريكية بما يراوح بين ٤٠ و٨٩ في المئة من استهلاكها خلال ثلاث سنوات، كما ارتفع نصيبها في تجارة الماريوانا من ٣٠ الى ٧٠ في المئة. وقد خلفت هذه الممارسات غير المشروعة، والتي قاربت حصيلتها الملياري دولار، موجة طاغية من التمرد على القانون والعنف والفساد في كلا البلدين.

ولقد قدمت الولايات المتحدة الى المكسيك مساعدة بقيمة ٧٧ مليون دولار، اشتمل معظمها على طائرات هليكوبتر وطائرات صغيرة وتدريب للطيارين، وذلك لاتلاف آلاف الهكتارات من الخشخاش والماريوانا

٢٠٠ مليون دولار للغرض نفسه. وجاءت النتيجة مرضية، اذ انخفض نصيب المكسيك في سوق الهيروبيين الامريكية الى ما دون الـ٥٠ في المئة، وفي سوق الماريوانا الى نحو ٢٥ في المئة.

لكن المعضلة لا تزال قائمة. فكثير من المكسيكيين يرون في تجارة المخدرات مشكلة تخص الولايات المتحدة وحدها، ويمتعضون من الخسارة الناجمة عن ابادة المخدرات، مدعين ان هذه التجارة تعود على الولايات المتحدة بأرباح تفوق حصة المكسيك منها.

□ الخضر والمياه:

هناك مشكلة اخرى ذات اهمية بالنسبة الى البلدين، وان تكن اضيق نطاقاً، هي تسهيل ادخال الخضر الشتوية المكسيكية السوق الامريكية. وهناك الى جانب ذلك المشاكل المتعلقة بالمياه مثل القاء النفايات المكسيكية من دون رقابة في مجاري المياه العامة المتجهة الى الولايات المتحدة، وملوحة نهر كولورادو لدى دخوله المكسيك، والخلاف على اقتسام مياه ريو غراندي.

ان اياً من تلك القضايا لم تحل على نحو يرضي كلا الجانبين. غير ان هناك لجاناً ثنائية تعقد اجتماعات دورية في مدينتي مكسيكو وواشنطن سعياً الى معالجة تلك المسائل.

انه لمن الواضح ان حلول مشاكل المكسيك لا تكمن في اكتشاف حقول نفط جديدة. فالمكسيك لا يزال، منذ عهد الامبراطور مونتيزوما، بلداً غنياً يسكنه شعب فقير ابي. ويقول الروائي المكسيكي في هذا الصدد: "ان المكسيك امة وليس بئر نفط".

■ سميث هيمستون

ظهر العنوان الآتي على احدى الوثائق الاشتراعية لولاية نيويورك: "التقرير السنوي السادس عشر للجنة التحقيقات الموقتة في ولاية نيويورك".

و.م.

تخطيط في محله

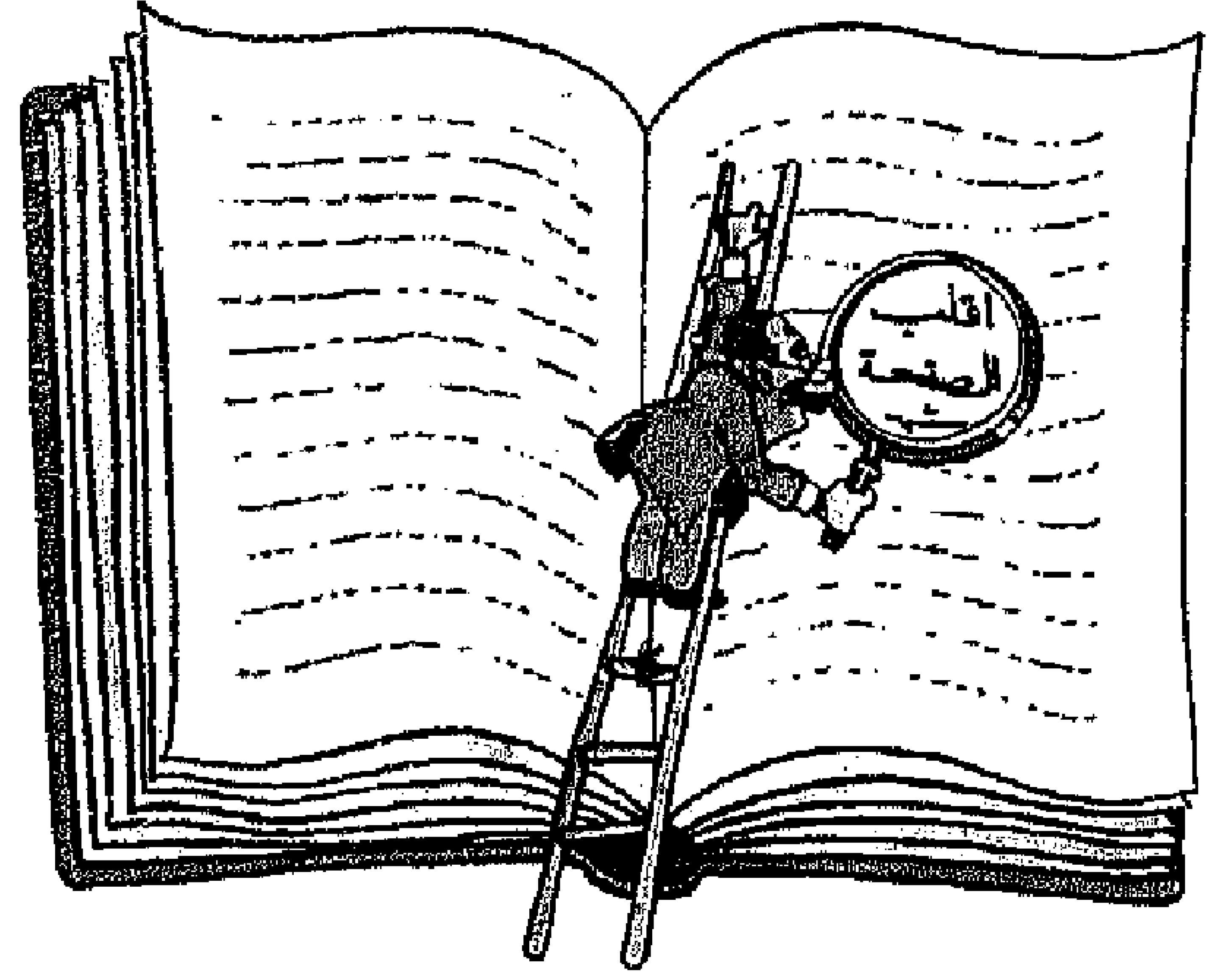
ظهر العنوان الآتي في مجلة "التخطيط" الاسبوعية: "نعتذر عن عدم صدور "دليل التخطيط" حتى الآن، وذلك لان الدليل سيكون اضخم كثيراً مما كان مخططاً له اصلا، وستستغرق طباعته وقتاً اطول مما كان متوقعاً".

صحيفة "ديلي تلغراف"، لندن

توقيت ابدي

حاول بول هنسيكر، رئيس دائرة التربية السابق في جامعة ميشيغان الامريكية، الاجابة عن السؤال الآتي: "ما هي اشق الرياضات؟"، وذلك بمقارنة ٤١ رياضة بدنية مختلفة من حيث تلبيتها شروط التناسق والجلد والمرونة وخفة الحركة والتوازن والذكاء والابداع. وكانت اجابته: اليا ليه.

ك.و.



دائرة المعارف

كلمات الدائرة في هذا العدد اصطلاحات طبية وردت في "المختار".

وقد وضع امام كل كلمة أربعة معان، واحد منها فقط صحيح. والمطلوب من القارىء ان يختار المرادف او المعنى الذي يعتبره صحيحا، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. **عقّار**: صيدلي - دواء - انبوب زجاجي - طبيب.

٢. **حِمْية**: حمّى - حرارة الدم - علاج - نظام غذائي.

٣. **مِبضَع**: آلة حادة - حقيبة الطبيب - مرآة - مُخدِّر.

٤. **دُوار**: مستشفى - أزمة قلبية - دوخة - ديدان صغيرة.

٥. **بُيَيْضة**: دَرَنة - خلية تناسلية - خصْية - مؤخر القدم.

٦. **مسامّ**: شرايين - سُموم - شعيرات في القصبة الهوائية - ثقوب.

٧. **نِقْرِس**: جَرَب - ربو - حكاك - ورم في القدم.

٨. **وِحام**: شهوة الى الطعام - تسمّم - استئصال عضو - ولادة.

٩. **نَسيج**: غشاء الخلية - ورم - مجموعة خلايا - قطْب الجرح.

١٠. **استسقاء**: فقر دم - تجاويف مصلية - اسهال - نقل الدم.

١١. **سَعْرة**: حمّى - التهاب - داء الكَلَب - سعال.

١٢. **فِطام**: سن البلوغ - منازعة - توقف الرضاعة - قطع حبل السُرّة.

١٣. **غثَيان**: مرض قلبي - تقيؤ - تخدر العضلات - غيبوبة.

١٤. **مُجْهِر**: ميكروسكوب - نور قوي - مُمرّض - صورة بالاشعة.

١٥. **رُعاف**: نزيف - زكام - سمّ قاتل - اغماء.

١٦. **شقيقة**: امعاء - اصابع اليد - صُداع - عضو اصطناعي.

١٧. **هرمون**: مصل - فيتامين - خلية تناسلية - افراز.

١٨. **مَخاض**: اسهال - طَلْق - صوت من المعدة - لُعاب.

١٩. **عُنّة**: عجز جنسي - عنين - ألم - حقنة.

٢٠. **سحايا**: ديدان - مرض عضال - فطر - اغشية الدماغ.

٢١. **تشنُّج**: ارتخاء العضلة - ارتعاش - خلل عصبي - شلل.

٢٢. **سلى**: خَرَف - سلّ - غلاف الجنين - سويداء.

٢٣. **وريد**: رئة - عرق - صمام في القلب - عصَب.

٢٤. **نَدبة**: اثر الجرح - ثؤلل - كفن الميت - جراحة.

٢٥. **جُذام**: طاعون - حكاك - تساقط الشعر - داء كالبرص.

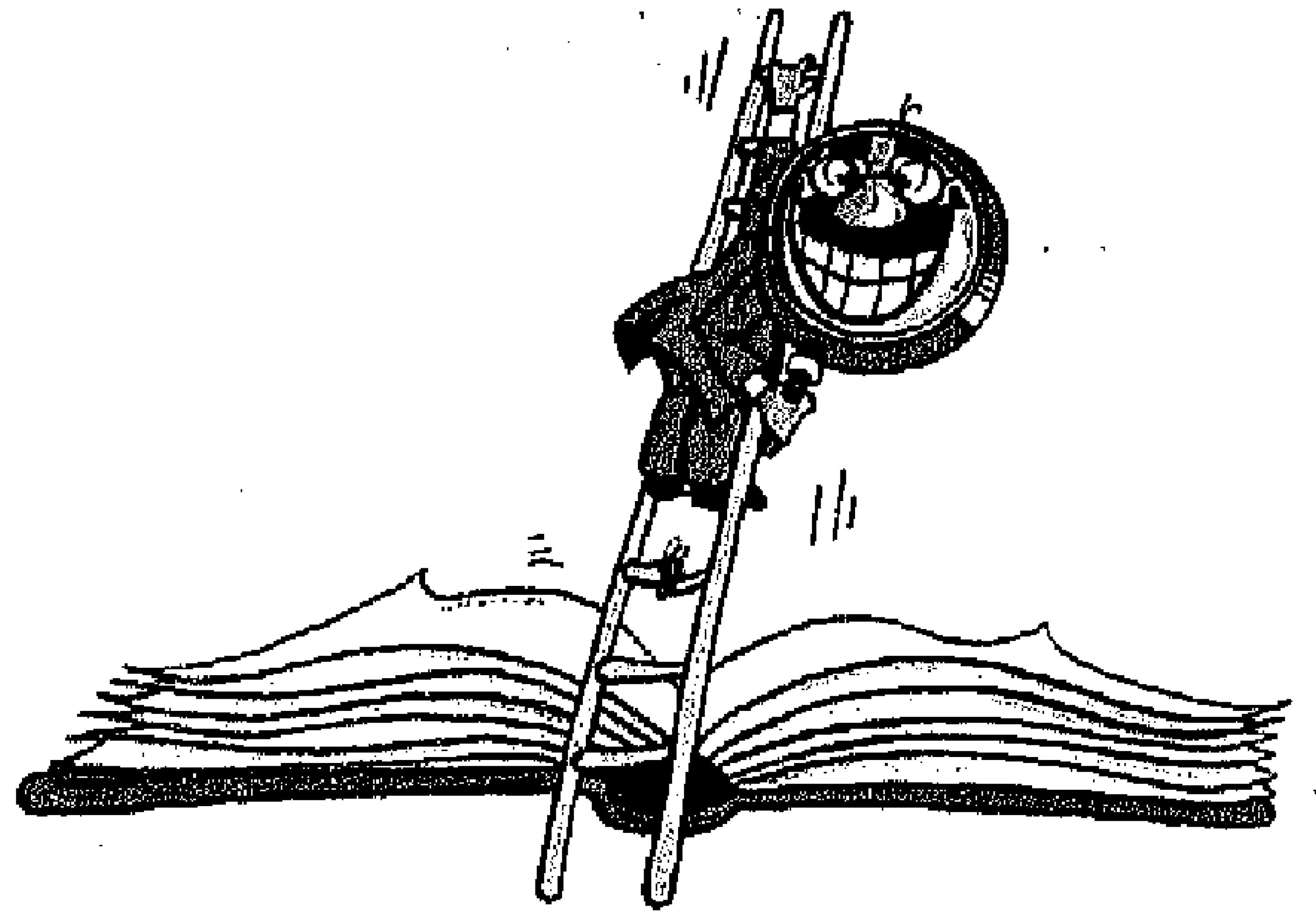
٢٦. **دَرَقية**: حنجرة - عظمة في الاذن - غدّة - كلية.

٢٧. **تشخيص**: تمييز المرض - تصوير بالاشعة - معاينة - انفصام الشخصية.

٢٨. **يَرَقان**: أرق - ديدان - تصبب العرق - اصفرار.

٢٩. **فَصْد**: جنون - شق العرق - تمزّق العضل - تخثر الدم.

٣٠. **زَرَق**: اختناق - مرض في العين - افراز - بؤبؤ.



الأجوبة الصحيحة

١٠ عقّار: دواء، وتعني الشجر احيانا، جمعه عقاقير.

٢٠ حِمية: منع المريض عما يضره من طعام. يقال: المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء.

٣٠ مِبْضع: آلة يشق بها الجلد وما شاكله من الانسجة.

٤٠ دُوار: شبه دوران يأخذ بالرأس ويعرف بالدوخة.

٥٠ بُيَيْضة: خلية تناسلية انثوية تنشأ في المبيض.

٦٠ مسامّ: ثقوب ومنافذ في الجلد، مفردها سمّ.

٧٠ نِقْرِس: ورم يحدث في مفاصل القدم، خصوصا في ابهامها.

٨٠ وِحام: اشتداد شهوة الحبلى لبعض المآكل.

٩٠ نسيج: مجموعة خلايا ذات وظيفة مشتركة.

١٠٠ استسقاء: تجمع المصل في تجاويف الجسد او خلاياه.

١١٠ سَعْرة: سُعال، سَعْرة: وحدة حرارية.

١٢٠ فِطام: فصل الولد عن الرضاع، فهو فطيم.

١٣٠ غَثَيان: ميل الى التقيؤ - غثي الكلام: خلطه.

١٤٠ مُجَهِر: آلة بصرية تشتمل على عدسات وترى فيها الدقائق مكبرة. أيضا مجهار.

١٥٠ رُعاف: نزف الدم من الانف، الرواعف: الرماح لسيلان الدم منها.

١٦٠ شقيقة: ألم في منتصف الرأس، الشقيق: نصف الشيء اذا شق نصفين.

١٧٠ هرمون: مادة تفرزها الغدد الصماء فسري في الدم وتؤثر على عمل الاعضاء.

١٨٠ مخاض: طلْق أو وجع الولادة، امتخض الجنين: تحرك في بطن أمه.

١٩٠ عُنّة: عجز جنسي.

٢٠٠ سحايا: أغشية الدماغ، مفردها سحاءة او سحاية.

٢١٠ تشنّج: تقلص يصيب العصب فيمنع العضلة من الانبساط.

٢٢٠ سَلى: غلاف يضم الجنين، جمعها أسلاء.

٢٣٠ وريد: وعاء دموي ينقل الدم من الجسم الى القلب.

٢٤٠ ندبة: اثر الجرح على الجلد، ايضا ندَب.

٢٥٠ جُذام: داء كالبرص يسبب تساقط اللحم والاعضاء، سمي بذلك لتجذّم الاصابع وتقطعها.

٢٦٠ درَقية: غدّة صمّاء في العنق.

٢٧٠ تشخيص: تمييز المرض عن سواه.

٢٨٠ يرَقان: مرض يرافقه اصفرار الجلد. يرقان: دود يسطو على الزرع.

٢٩٠ فَصْد: شقّ عرق المريض، ايضا فصاد، تفصّد الدم: سال.

٣٠٠ زرَق: مرض يصيب العين.

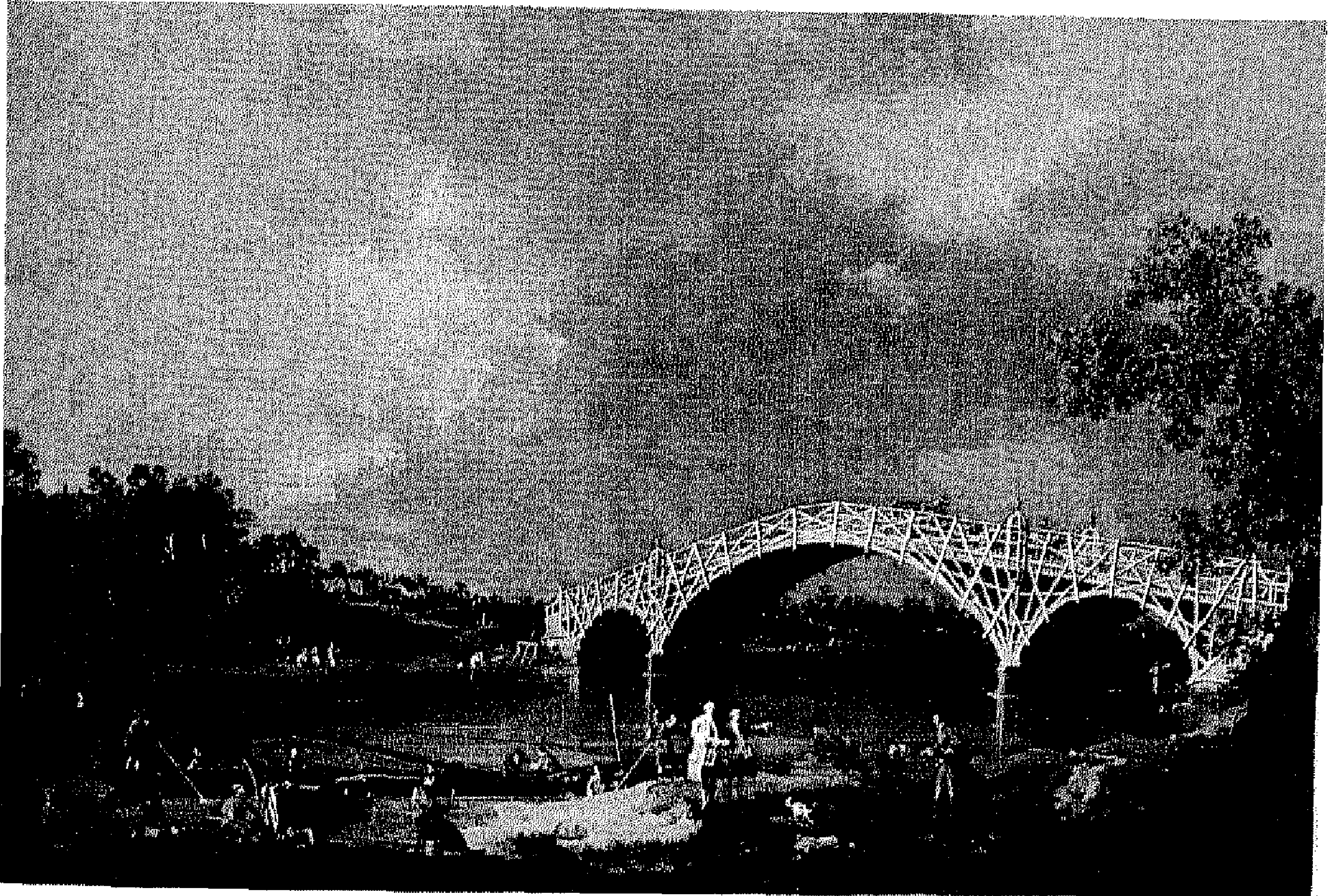
المستوى	
	٢٥ - ٣٠: ممتاز
	١٩ - ٢٤ جيد
	١٣ - ١٨: مقبول

من روائع الكبار

في أروقة هذا المعرض العظيم، يستطيع أي كان ان يتعلم تذوق الفن

في احدى ليالي ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٦، اقتحم لصوص صالة عرض اللوحات التابعة لكلية داليتش جنوب لندن، وتمكنوا من تحقيق أكبر عملية سطو فني. لقد أخذوا معهم ثلاثاً من لوحات رمبرانت وثلاثاً من روبنس وواحدة من إلشايمر وواحدة من جيرار دو، تتجاوز قيمتها مجتمعة مليوني جنيه استرليني. لكن معلومات سرية من مخبرين مكنت رجال سكوتلانديارد من اعادة ثلاث لوحات، وبعد فترة وجدت اللوحات الاخرى متروكة في مكان مهجور.

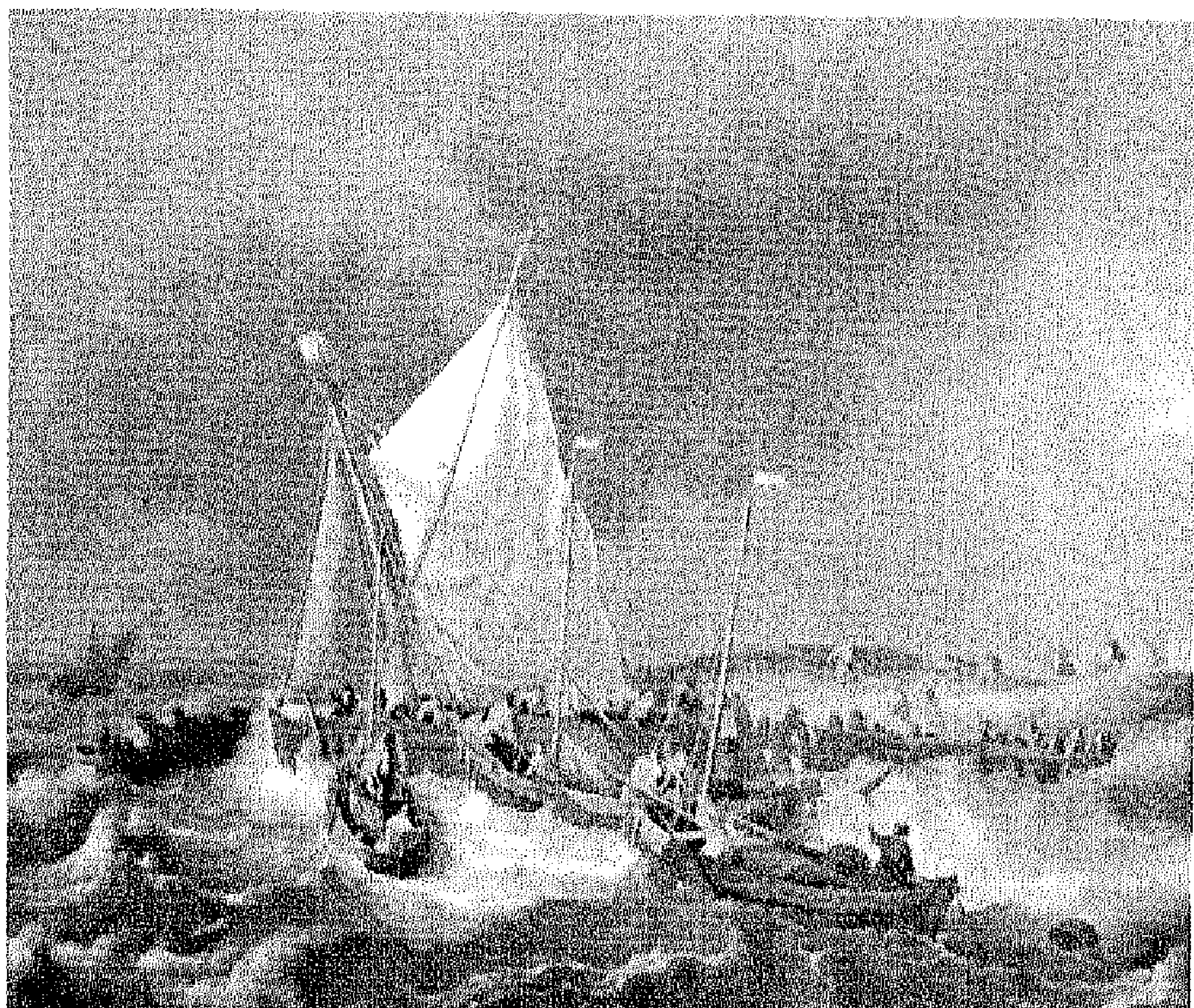
"كانت تلك اللوحات حارة جداً ◀



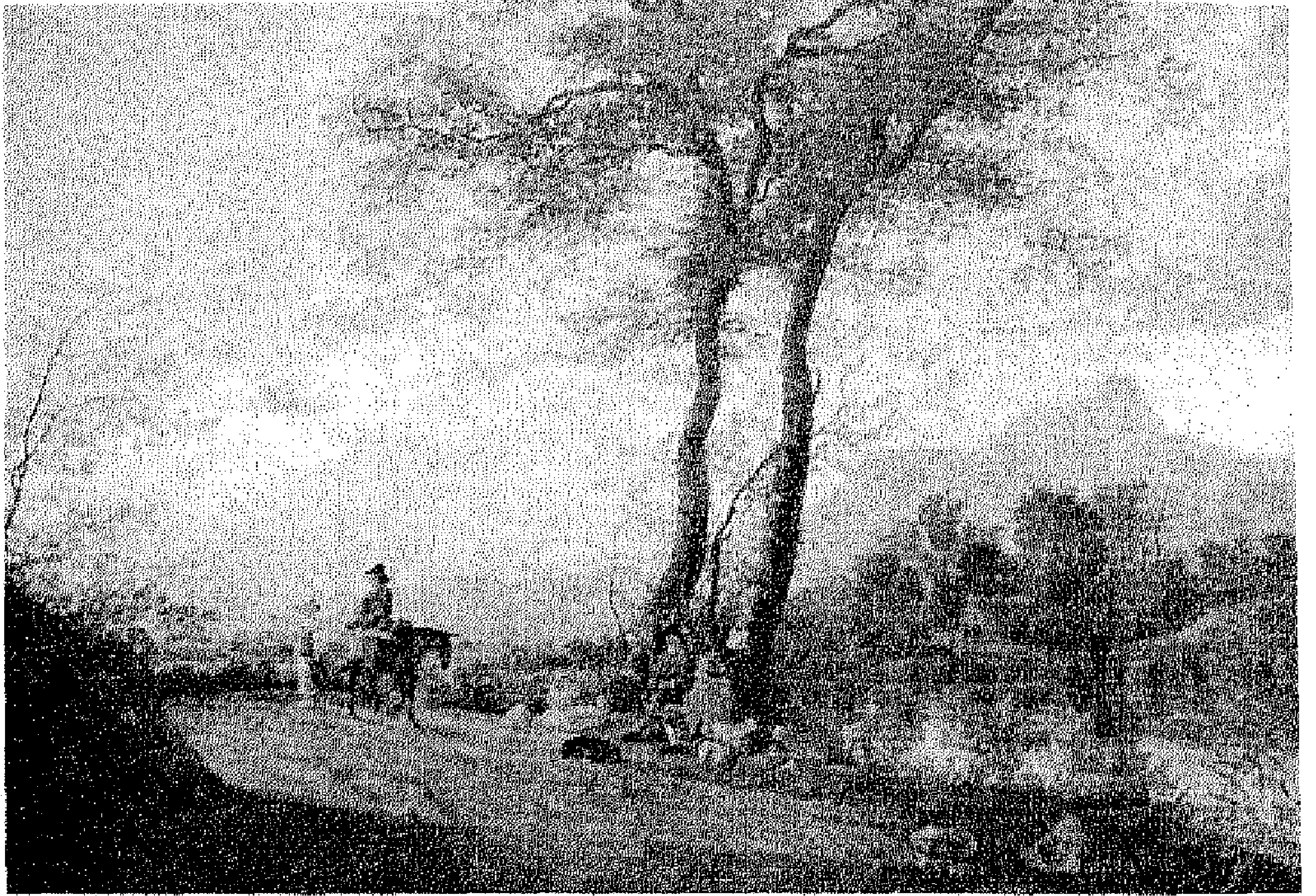


"فتاة على النافذة" لرمبرانت فان رين (١٦٠٦ – ١٦٦٩)، أعظم رسامي المدرسة الهولندية. هذه اللوحة تعتبر واحدة من الدراسات النادرة لوجوه الاطفال التي قام بها الفنان. وهي كانت من بين الروائع الثماني التي سرقت من معرض داليتش عام ١٩٦٦.

"جسر والتون القديم"، من أعمال كاناليتو (١٦٩٧ – ١٧٦٨).
والفنان الذي اشتهر بالمناظر التي رسمها لموطنه الاصلي في البندقية،
عمل أيضاً في لندن مدة تسع سنوات، رسم خلالها مناظر عدة لنهر التايمس.



"قوارب في العاصفة"، للرسام لودولف بوخيزن (١٦٣١ - ١٧٠٨)، المشهور بالمناظر البحرية الهولندية. ومن المعتقد أن تيرنر، الرسام الانكليزي المعروف، تأثر بهذه اللوحة المليئة بالحركة والجو المأسوي.



"طريق النهر"، لألبرت جيب (١٦٢٠ ـ ١٦٩١) الذي سحرته مناظر الريف الهولندي.



"العودة من مصر"، واحدة من سبع لوحات يملكها المعرض لنيكولاس بوسان (١٥٩٤ ـ ١٦٦٥)، وهو الرسام الفرنسي الاول، بلا منازع، للمواضيع الانجيلية والكلاسيكية.

"حفلة قروية"، لانطوان واتو (١٦٨٤ ـ ١٧٢١)، رسام البلاط في عهد لويس الخامس عشر. هذه اللوحة كانت من أفضل ما استحوذ على الرسام كونستابل.

تحرق يد حاملها، مما جعل انتقالها من يد الى يد متعذراً"· هذا التشبيه استعمله ديفيد بانويل، سكرتير الكلية وامين صالة العرض، واصفاً الوضع· وأضاف:"من غير الممكن بيع لوحات كلية داليتش، لأن لكل تاجر لوحات يعرفها· فصالة عرض الكلية تحتوي على أجمل مجموعة فنية وأكثرها أهمية بين جميع المعارض الخاصة"·

الى هذا، فالصالة من أقدم المعارض الفنية الخاصة، اذ افتتحت عام ١٨٤١· وكان من روادها الدائمين الكتاب جون راسكين ووليم هازليت وروبرت براونينغ وتشارلز ديكنز· ويروى ان رئيس الوزراء البريطاني بنجامين دزرايلي، لشدة ما استحوذت عليه لوحات موريللو، أصر على صديق له كي يزور معرض داليتش بقوله:"أسرع يا صديقي! وللمرة الاولى في حياتك اعرف كيف يكون الفنان الكبير"·



"بائعة الزهر"، واحدة من أربع لوحات لبارتولوميو استيبان موريللو (١٦١٨ - ١٦٨٢) موجودة في داليتش· وموريللو من مؤسسي أكاديمية سيفيل· وقد اكتسبت رسوم الاطفال التي وضعها شعبية واسعة، مما جعل منافسيه يقتبسون سريعاً ما دعي "اسلوب موريللو الدافىء"·



"السيدة سيدونز في خلوة فكرية"، للسير جوشوا رينولدز (١٧٢٣ - ١٧٩٢)، وهو خلف فان دايك كأشهر رسام للوجوه في انكلترا، والرئيس الاول للأكاديمية الملكية·

اما الكثيرين ممن يزورون المعرض اليوم فيدهشهم ان يشاهدوا مجموعة فنية معروفة عالمياً، تتجاوز قيمتها ٤٠ مليون جنيه استرليني، معلقة على جدران كلية خاصة تقبع فيضاحية هادئة. ومن فرط دهشتهم، تسمعهم يهمسون وهم ينتقلون من لوحة الى اخرى: "رائع! رائع!" وليس هذا غريباً حين نعرف ان غرف المعرض الاثنتي عشرة تزهو بلوحات لرسامين كبار أمثال كانا ليتو وغينزبورو



وهوغارث ورافايل وورومني وفان دايك.

وبين صور الاشخاص والمناظر الطبيعية الحالمة والمشاهد البحرية، تبرز قطع فنية نادرة، لكل منها قصة، مثل لوحة بوسان "العودة من مصر" التي يظهر فيها المسيح طفلا ينظر الى صليب يحمله ملاك، ولوحة واتو "حفلة قروية" التي تصور مشهداً معبراً عن اناقة القرن الثامن عشر، والتي وصفها الرسام كونستابل بقوله: "كأنها ملونة بالعسل، رقيقة وناعمة وشهية".

تم جمع هذه اللوحات النادرة من هدايا وهبات عبر ٣٥٠ سنة. وكانت الخميرة ٣٩ لوحة تخص مدير مسرح يدعى ادوارد ألين، وتشتمل على صور شخصية لرسميين مثل وليم الفاتح وهنري الثامن. وقد أمر ألين في وصيته بمنحها للكلية "المخصصة لاثني عشر طالباً فقيراً" التي كان أوجدها في داليتش.

ملك بولونيا – وفي مطلع القرن التاسع عشر، حصل المعرض على هبة من ٣٧٠ لوحة لرواد كبار، كان تاجر اللوحات نويل ديزنغان اشتراها لملك بولونيا ستانيسلاوس الذي أراد اقامة متحف بولوني قومي. لكن الملك، لسوء حظه، اضطر الى التنازل عن العرش قبل تحقيق أمنيته. فتحولت اللوحات الـ٣٧٠ الى معرض داليتش، مضيفة الى مجموعته قطعاً فنية تعتبر من أجمل ما يملك وأثمنه، بينها لوحة

"وليم رصل، دوق بدفورد الاول"، لوحة للرسام الفلمنكي السير أنطوني فان دايك (١٥٩٩ – ١٦٤١). انتقل فان دايك ليستقر في انكلترا عام ١٦٣٢، ومنحه تشارلز الاول لقب فارس، كما عينه رساماً للبلاط.

رمبرانت الشهيرة "فتاة على النافذة".

ورغبة منه في ايجاد مكان لائق بهذه المجموعة الفنية المتنامية، وضع السير جون سون، استاذ العمارة في الاكاديمية الملكية، تصميم مبنى جديد للمعرض. وافتتح المبنى عام ١٨١٤، وهو يضم الآن ٦٠٠ لوحة. ويصف رئيس الاكاديمية الملكية السير هيو كاسون هذا المبنى الكلاسيكي البسيط بأنه "تحفة فنية فريدة".

هناك أجيال من الفنانين تعرفت عن قرب الى لوحات معرض داليتش. ففي الفترة التي كان اقتباس لوحات الفنانين الكبار يشكل جزءاً من تعليم الفن، كانت مجموعة من اللوحات ترسل دورياً الى الاكاديمية الملكية.

ومع ان نقل اللوحات لم يعد الاسلوب المتبع في التعليم منذ ثلاثينات القرن الحاضر، فلا يزال فنانو اليوم مدينين لمعرض داليتش وعلى استعداد لرد الجميل. فحين احتفل ٧٠٠ من أصدقاء المعرض الخلص في نوفمبر (تشرين الثاني) الماضي باليوبيل الفضي لتأسيس هيئتهم، عرضوا للبيع أعمالا من انتاج ٢٥ فناناً بريطانياً معاصراً. وسيعود ريع المبيعات لصيانة اللوحات وادخال تحسينات على المعرض. ومن الفنانين الذين اشتركوا في هذه الحملة هنري مور وديفيد هوكني ورولاند هيلدر واكثر رسامي بريطانيا شهرة.

■ جون هارمان

خاص ﷺ

رجوع الرُّوح

ملخّص من كتاب
بقلم رايموند مودي

رجوع الروح

مؤلف هذا الكتاب دكتور في الفلسفة وفي الطب. وهو كرس معظم جهده لدراسة "خبرة الموت" لدى اناس اعيدوا الى الحياة بعد تأكيد وفاتهم طبياً. وقد سجل مقابلاته لاولئك الناس في عدد من الكتب والمقالات (راجع "المختار"، يوليو/ تموز ١٩٧٩)، وخرج بتحليلات ومقارنات ونتائج طريفة.

حول هذا الكتاب تقول الدكتورة اليزابيث كوبلر - روس، مؤلفة كتاب "في الموت والنزاع" والمختصة في العناية بالاشخاص الذين ينازعون الموت: "اهنىء الدكتور مودي لجرأته على نشر النتائج التي توصل اليها".

في السنوات الاثنتي عشرة الماضية، قابلت عدداً كبيراً من الاشخاص الذين اختبروا ما اسميه "مشارفة الموت".

التقيت اول هؤلاء عام ١٩٦٥ عندما كنت طالب فلسفة في جامعة فرجينيا وكان هو استاذاً للطب النفسي في الجامعة. وكان للطفه ومودته ومرحه اثر كبير في. وعلمت في ما بعد انه "مات"، وسمعته يقرأ وصفاً مذهلا لما حل به على مجموعة من الطلاب المهتمين بالامر. وكان لما سمعته وقع قوي في نفسي، ولكن لم تكن لدي آنذاك الثقافة التي تؤهلني للحكم على خبرات من ذلك النوع. غير أني حفظت ما سمعته في ذاكرتي، كما سجلته على شريط.

وبعد مضي سنوات على ذلك اللقاء - وكنت قد نلت درجة الدكتوراه في الفلسفة واصبحت محاضراً في احدى

جامعات ولاية كارولينا الشمالية - اقترح احد الطلاب ان نبحث مسألة خلود الروح. وكان اهتمامه بالامر عائداً الى ان جدته "توفيت" خلال عملية جراحية، ثم وصفت خبرة مدهشة مرت بها تكاد تطابق ما رواه استاذ الطب النفسي قبل سنوات.

هذا حملني على اختيار قراءات تدور على بقاء الحياة البشرية بعد الموت واضافتها الى مواضيع الفلسفة التي اعلمها، مع حرصي على عدم ذكر التجربتين الآنفتين. ولشد ما دهشت حين وجدت في معظم الصفوف التي اعلمها، والتي يضم الواحد منها ثلاثين طالباً او اكثر، ان طالباً واحداً على الاقل كان يأتي الي بعد الدرس ليقص علي خبرة شخصية من هذا القبيل.

وفي العام ١٩٧٢ عدت الى الجامعة طالباً بهدف الحصول على درجة في الطب. وكنت قد جمعت عدداً من التقارير حول خبرات "مشارفة الموت" ودرستها لماماً. ودعاني صديق الى تقديم حديث عنها امام جمعية طبية. وتلا ذلك احاديث عامة أخرى. وبعد كل حديث كان يأتي الي شخص ليروي كيف "مات" وعاد.

وقد تجمع لدي نحو ١٥٠ تقريراً من هذا النوع، تقع في ثلاث فئات مختلفة:

١. خبرات الاشخاص الذين اعيدوا الى الحياة بعدما قرر الاطباء المشرفون عليهم انهم ماتوا.

٢. خبرات الاشخاص الذين كانوا على قيد خطوة من الوفاة بعد حادث او مرض او جرح بليغ.

٣. خبرات رواها اشخاص على أسرة الموت لاناس كانوا يلازمونهم. وقد قص علي هؤلاء ما سمعوه لاحقاً.

وتبين لي ان التقارير المدرجة تحت النوع الاخير تتلاءم والتقارير المدرجة تحت النوعين السابقين وتكملها. لكن النتائج التي توصلت اليها تكاد تكون مستمدة جميعاً من التقارير الاولية، أي التي رواها اصحابها لي مباشرة.

وعلى رغم تنوع الظروف المحيطة بخبرات الاشراف على الموت والاختلاف بين الاشخاص الذين يعانونها، الا ان هناك شبهاً لافتاً بين الروايات التي تصف الخبرات نفسها. وبناء على نقاط الشبه هذه، سأحاول تصميم خبرة نموذجية تحوي هذه العناصر. ويجدر التنبيه الى اني لم اجد بين الاشخاص الذين قابلتهم واحداً اجتمعت العناصر كلها في روايته. ولكن، من ناحية اخرى، ليس في روايتي اي عنصر لم يرد في روايات عدة. واليكم الرواية النموذجية:

هناك شخص على سرير الموت، يبلغ الحد الاقصى من العياء الجسدي فيتناهى الى سمعه كلام طبيبه معلناً وفاته. وللحال يسمع اصواتاً مزعجة يخالطها طنين، وفي الوقت نفسه يحس بأنه يتحرك مسرعاً عبر نفق طويل مظلم.

وفجأة يجد نفسه خارج جسده المادي، ويجد ذلك الجسد على مسافة منه. ويراقب عملية اعادة الحياة الى جسده. أما هو نفسه فلديه "جسد"، ولكن ذو طبيعة مختلفة كلياً وذو طاقات بعيدة جداً عما كان للجسد الذي انفصل عنه.

ولا يلبث ان يأتي خرون لنجدته. ويلمح ارواح الاقرباء والاصدقاء الذين ماتوا قبله. وتظهر قبالته روح ودودة محبة تشع من كائن نوراني. ويطرح عليه هذا الكائن سؤالا من غير كلام، يحضه على تقييم أفعاله ويساعده باعادة الاحداث البارزة التي ميزت حياته.

ثم يجد نفسه مقترباً من حاجز يبدو انه الحد الفاصل بين الحياة الارضية والحياة الاخرى. ويشعر بانه يود العودة الى الارض وان ساعة وفاته لم تحن بعد. لكنه يقاوم ذلك الشعور لأنه يكون قد استطاب ما عاينه في العالم الآخر الى حد لا يريد معه العودة. ويغمره شعور قوي بالغبطة والمحبة والسلام. ولكن على رغم موقفه هذا، يجد انه، بطريقة ما، عاد الى جسده وعاش من جديد.

ويحاول في ما بعد ان يخبر الآخرين بما عاينه وعاناه، لكنه يجد صعوبة في ذلك، ويعجز عن وجود الكلمات الملائمة لوصف تلك الخبرة المنعتقة من المادة. كما يكتشف ان الآخرين يهزأون بما يقوله، فيكف عن روايته. الا ان الخبرة التي عاشها تبقى ذات اثر عميق في حياته.

احاسيس غريبة

في حالات كثيرة، روي عن اصوات متعددة غير عادية رافقت الوفاة او سبقتها. واحياناً كانت تلك الاصوات غاية في الازعاج. ويقول رجل بقي ٢٠ دقيقة "ميتاً" خلال جراحة لبطنه: "سمعت طنيناً آتياً من داخل رأسي جعلني في ذروة الانزعاج".

وروت امرأة انها، وهي تفقد الوعي، سمعت "صوتاً قوياً يمكن ان يسمى طنيناً".

لكن هناك حالات يكون فيها الصوت رائعاً وذا نغم أنيس. ومن هذا القبيل ما يرويه رجل اعيد حياً بعدما قيل انه مات فور بلوغه المستشفى، وهو انه، خلال "موته"، سمع "رنين اجراس آتياً من البعيد".

وقد قابلت اشخاصاً لازم سماع الاصوات في خبرتهم شعور بأنهم يسحبون بسرعة ضمن حيز مظلم. وسمعت بعضهم يصف هذا الحيز بأنه كهف او بئر او حوض او حظيرة مسيجة او نفق او معبر لتصريف الماء أو واد. ولكن كان واضحاً ان جميع الاشخاص المعنيين ارادوا التعبير عن الفكرة نفسها.

ومن الذين اشرفوا على الموت واحد ربط خبرته تلك بعقائده الدينية:

"فجأة وجدت نفسي في واد شديد الظلمة والانحدار. وبدا ان هناك معبراً أو طريقاً يشق الوادي وأني اتجه نحوه. وبعد صحوي راودتني الفكرة الآتية: "حقاً اني اعرف الآن ما يسميه الكتاب المقدس وادي ظل الموت".

ان الشخص المائت، بعد عبوره النفق، قد يجد نفسه ناظراً الى جسده المادي من مكان آخر، كما لو كان هو "شخصاً آخر في الغرفة"، او كما لو كان يراقب اشخاصاً "يتحركون على خشبة مسرح". وتتذكر امرأة ما يأتي:

"قبل نحو سنة أدخلت المستشفى بسبب اضطراب في القلب. وفي الصباح التالي، بينما كنت مستلقية على السرير، أحسست بألم حاد جداً

في صدري· ولم أقو على تحمل هذا الالم وانا نائمة على ظهري، فنمت على بطني· وللحال انقطع نفسي وتوقف قلبي عن الخفقان· وسمعت الممرضات يصرخن:"لقد ماتت! لقد ماتت!" وبينما هن يعلن ذلك، شعرت بأني اخرج من جسدي وانزلق بين الفراش وحافة السرير لأصل الى الارض· ثم بدأت انهض ببطء حتى بلغت المصباح الكهربائي الذي شاهدته بوضوح من جانبه· وبعد ذلك استقر بي المقام تحت سقف الغرفة مباشرة· ورحت انظر من عل، وخيل الي اني ورقة صغيرة نفخها احدهم الى السقف·

"وتابعت النظر اليهم وهم يحاولون اعادة الحياة الي· ورأيت جسدي ممدداً على السرير وهم يحيطون به· وسمعت ممرضة تقول:"لقد ماتت!" وانحنت اخرى لنقل الهواء من فمها عبر فمي، بينما كنت انظر الى مؤخر رأسها وهي تفعل ذلك· وفي تلك اللحظة شاهدتهم يجرون آلة الى الغرفة ويسحبون منها أسلاكاً يصلونها بصدري لاعطائي صدمة كهربائية· وحين فعلوا ذلكرأيت جسدي يقفز من السرير، وسمعت كل عظمة فيه تقرقع· وكان ذلك امراً رهيباً للغاية!"

ووصف شاب في التاسعة عشرة ما حدث له قبل سنتين وهو يوصل صديقه في السيارة الى منزله:

"وقفت ونظرت يميناً ويساراً، غير اني لم ار شيئاً· وما ان تابعت السير حتى سمعت رفيقي يصرخ بأعلى صوته· ورأيت الاضواء العالية لسيارة تسرع نحونا· ثم سمعت صوتاً مخيفاً لدى اصطدام سيارتينا· ولم تكد تمضي هنيهة حتى وجدت نفسي في مكان مظلم مغلق· وخيل الي اني أرتفع نحو متر ونصف متر فوق الشارع وأربعة أمتار ونصف متر بعيداً عن السيارة، فيما كان صدى الاصطدام يخفت ويتلاشى· وشاهدت الناس يتقاطرون حول السيارة، ورأيت صديقي يخرج منها والصدمة ظاهرة عليه· كما نظرت الى جسدي نفسه وسط الحطام وضمن ذلك الحشد من الناس وهم يحاولون ان يسحبوه خارجاً· وكانت ساقاي مرتخيتين والدم يغطيني ويملأ المكان"·

ويسهل ان يدرك المرءان أفكاراً ومشاعر لا مثيل لها في الاحوال العادية تنتاب الاشخاص الذين يختبرون الموت· وهناك عديد من الناس يجدون فكرة الانفصال عن الجسد غير منطقية، حتى وهم يختبرون ذلك، الى حد انهم لا يربطون تلك الفكرة بظاهرة الموت· ويقفون متعجبين أمام ما يحصل لهم: كيف يمكنهم فجأة النظر الى انفسهم من مكان آخر كما لو كان الواحد منهم اثنين؟

وتتباين ردود الفعل النفسية حيال هذه الحال الغريبة تبايناً كبيراً· فمعظم الذين خبروها أخبروا ان الشعور الاول الذي راودهم كان رغبة جامحة في العودة الى أجسادهم، ولكن لم يعرفوا كيف يحققون ذلك· ويتذكر آخرون انهم شعروا بخشية بلغت حد الذعر·

"الجسد الروحي"

على رغم استثناءات قليلة، كان هناك اجماع بين معظم الذين قابلتهم

على انهم وجدوا انفسهم في جسد آخر لدى انعتاقهم من جسدهم المادي. وجدير بالذكر ان هذا "الجسد" هو أحد مظهرين او ثلاثة من مظاهر مشارفة الموت التي تكاد اللغة تعجز تماماً عن وصفها. ومعظم الذين اخبروني عن هذا الجسد بلغوا نقطة شعروا عندها بالخيبة لعجزهم عن المتابعة واعترفوا بأنه لا يمكن وصفه. ولكن مهما يكن الامر، فالروايات المتعددة عن هذا الجسد يشبه بعضها بعضاً الى حد بعيد. ولكي اجمل عناصر الشبه في عبارة واحدة، اتبنى تسمية استعملها اثنان من الذين قابلتهم، وهي "الجسد الروحي".

ويبدو أن الاشخاص المائتين يدركون وجود هذا الجسد اول الامر وهم في محدودياتهم المادية. وبعد الانفصال عن الجسد المادي يحاولون ان يطلعوا الآخرين على محنتهم، ولكن من دون ان يسمعهم او يراهم احد. ويقول احدهم:

"كان الناس يتوافدون من جميع الجهات للوصول الى الحطام. لكنهم كانوا يصلون من غير ان يبدو أنهم يلاحظون وجودي، اذ كانوا يتابعون السير وأعينهم شاخصة الى الامام. ولدى اقترابهم مني كنت احاول الهرب من طريقهم، لكنهم كانوا يتجاوزونني ويتابعون".

والظاهر ان المضي في هذه الحال، بعد التعود عليها، يغدو امراً سهلا للغاية. فالاشياء المادية لم يعد لها وجود لتعوق اي حركة، والذهاب من مكان الى آخر يضحي فورياً. الا ان جميع الذين اختبروا الجسد الروحي يجمعون على انه شيء او كيان من نوع ما، وان يكن وصفه مستحيلا. ومن التعابير التي استعملها بعضهم لوصفه: "غمامة"، "غيمة"، "قطرة بخار"، "قوة". وهناك اجماع على ان للجسد الروحي هيئة او شكلا، وكذلك اجزاء مماثلة لليدين والرجلين والرأس.

اما "السمع" في تلك الحال الروحية فلا تجوز تسميته سمعاً الا من قبيل المقارنة. ويقول معظم الذين قابلتهم ان ما سمعوه لم يكن حقاً اصواتاً مادية، من بشرية وسواها، بل كانوا يلتقطون افكار الناس الذين حولهم. وقد صرحت واحدة بالآتي:

"رأيت الناس من كل جانب وفهمت ما كانوا يقولونه لكني لم اسمعهم باذني كما اسمعك الآن، بل عرفت افكارهم بعقلي وليس بكلامهم. وكانت تبلغني في اللحظة التي يفتح احدهم فاه لينطق".

وليس غريباً انه بعد مضي وقت في هذه الحال، تنتاب المرء مشاعر عميقة بالانعزال والوحدة. وفي تصريح لاحدهم انه رأى كل من كان حوله في المستشفى، من غير ان يمكنه الاتصال بهم عن اي طريق. ويقول: "شعرت بوحدة موحشة". لكن هذه الافكار لا تلبث ان تضمحل، لأنه بعد حين يأتي آخرون لنجدته في مرحلة الانتقال تلك التي يجتازها. وتقول امرأة:

"اختبرت تلك التجربة حين كنت على سرير التوليد. وكان المخاض عسيراً جداً ونزفت دماً كثيراً. ونفض الطبيب يده مني وقال لأقربائي اني مائتة. لكن عقلي كان صاحياً طوال

الوقت. وحين سمعت ما قاله الطبيب شعرت بأني على وشك الموت. ودخلت غيبوبة تميزت بحضور كثيرين، بل رأيت حشوداً من الناس يحومون حول سقف الغرفة. وكانوا كلهم اشخاصاً عرفتهم، ولكن ماتوا قبلي. وكان بينهم جدتي وواحدة من زميلات الدراسة وأنسباء واصدقاء كثيرون. وخيل الي اني ارى وجوههم واحس بحضورهم، وانهم بدوا جميعاً مسرورين. وكان ذلك لقاء بهيجاً، شعرت فيه بانهم جاؤوا لحمايتي وارشادي. وكان ذلك شبيهاً بعودتي الى البيت وترحيبهم بقدومي. والحق انها كانت لحظة مفعمة بالجمال والمجد".

الكائن النوراني

من بين جميع العناصر التي دونتها، هناك واحد هو اكثرها عصياناً على التصديق، وفي الوقت نفسه ذو اعظم اثر في الشخص الذي اختبره، وهو الوقوف امام نور عميم. هذا النور يبدو اول الامر باهتاً، لكنه يقوى بسرعة حتى يصبح لمعانه غير مادي. ولم يشك اي من الذين قابلتهم في ان ذلك النور كيان او كائن حقيقي، وانه ذو شخصية واضحة جداً. وكان يفيض محبة وحناناً يغمران الشخص المائت على نحو تعجز عن وصفه الكلمات، حتى ليشعر بأنه محاط تماماً بذلك النور وذائب فيه.

وهناك اجماع على حضور هذا الكائن النوراني. لكن تحديد صفاته يختلف من شخص الى آخر. ويبدو أن هذا الاختلاف راجع الى ثقافة الشخص الدينية. فمعظم المسيحيين وصفوه بأنه المسيح، بينما قال شخص مطلع على التوراة انه "ملاك". وهناك شخص لم تكن لديه اي عقيدة او تربية دينية سابقة لخبرته تلك، وقد اكتفى بالقول انه رأى "كائناً من نور".

وبعد ظهوره بقليل يبدأ هذا الكائن الاتصال بالشخص المعني. ويتم هذا الاتصال مباشرة عن طريق انتقال الافكار العفوي. ومعظم الذين قابلتهم قالوا انهم تلقوا أفكار هذا الكائن في شكل سؤال: "هل انت مستعد لكي تموت؟" او "ماذا تريد ان تريني من الامور التي فعلتها في حياتك؟" او "هل حققت شيئاً كافياً في حياتك؟"

ويصر الجميع على ان السؤال الموجه اليهم لا يحمل طابع الادانة او التهديد. وأياً كانت اجاباتهم، فقد شعروا بالمحبة والقبول الكاملين من الكائن النوراني. ويبدو ان الهدف من السؤال كان حثهم على التفكير في حياتهم من اجل مساعدتهم على سلوك طريق الحق. ومما قاله أحدهم:

"سمعت الاطباء يقولون اني فارقت الحياة. وأحسست بأني أخبط او اطوف في ظلام مطبق علي. وكان كل شيء مظلماً جداً، غير اني أبصرت ذلك النور على مسافة مني. وكان نوراً قوي اللمعان، لكنه كان صغيراً في البداية. واخذ يكبر شيئاً فشيئاً وانا أدنو منه. لقد كانت تجربة رهيبة حقاً، لكنها كانت ممتعة".

وقال آخر:

"كان النور جميلا ولماعاً ومتألقاً، لكنه لم يخدش عيني. وهو لا يشبه

أي نور نعرفه على الارض· والحق اني لم أر شخصاً معيناً وسط هذا النور، ولكن ما من شك في انه كان كائناً حقيقياً· لقد كان نوراً من المعرفة الكاملة والمحبة الكاملة"·

وقال ثالث:

"أول ما ظهر النور لم اكن متأكداً مما يحصل، الى ان سألني ان كنت مستعداً للموت· وكان ذلك شبيهاً بالتحدث مع شخص، من غير ان يكون هناك شخص· النور نفسه كان محدثي، ولكن كان له صوت"·

وجدير بالذكر ان ظهور الكائن النوراني والاسئلة التي يطرحها هي بداية لحظة مذهلة يعرض فيها ذلك الكائن أمام الشخص المعني مشهداً مكثفاً لجميع احداث حياته· وغالباً ما يعرف ذلك الكائن حياة الشخص كلها من دون ان يحتاج الى معلومات· وغايته الوحيدة حث الشخص على التأمل·

هذه الاحداث المعروضة هي اقرب ما تكون الى التذكر· لكنها تتميز بخصائص تجعلها مختلفة عن اي عملية تذكر عادية· ففي حضور الكائن النوراني حصل التذكر بسرعة مذهلة· وظهرت جميع الاحداث دفعة واحدة وادركها صاحبها في لمحة بصر· ولكن على رغم هذه السرعة، فقد اجمع الذين قابلتهم على ان هذه العملية مفعمة بالحياة الى حد يفوق التصور· وقالوا انهم، فيما كانوا ينظرون الى احداث حياتهم، اكد الكائن النوراني على انأهم امرين في الحياة هما محبة الآخرين واكتساب المعرفة·

غني عن القول ان جميع الذين تكلمت معهم عادوا الى الحياة بعد مشارفة الموت· والمعتاد ان يكون طرأ على مواقفهم تغير طريف بعد تلك الخبرة· ولنتذكر ان اقوى عنصر مشترك في خبراتهم هو الرغبة الملحة للعودة الى الجسد في اللحظات الاولى التي تعقب الوفاة، وأسف شديد لمبارحة العالم· ولكن ما ان يقطع المائت شوطاً معيناً في تجربته حتى تنقطع رغبته في العودة ثانية· وهذا يصح خصوصاً على اولئك الذين عاينوا الكائن النوراني· وقد قال احدهم بحماسة:"لم أشأ قط ان اغيب عن حضرة ذلك الكائن"·

أما بالنسبة الى طريق العودة، فهناك حالات غير قليلة تذكر اصحابها انهم اقتيدوا بسرعة عبر النفق المظلم الذي اجتازوه عقب "الوفاة"· لكن آخرين قالوا انهم أحسوا بالعودة الفعلية الى أجسادهم· وقال معظمهم انهم دخلوا مرحلة نوم او غيبوبة قبل ان يصحوا ليجدوا أنفسهم احياء· ان الشخص الذي مر بخبرة من هذا النوع لا شك لديه مطلقاً في حقيقة هذه الخبرة وأهميتها· وفي المقابلات التي اجريتها نقاط هنا وهناك توحي بهذا الامر على نحو دقيق· وهنا مثل على هذا:

ان الذين قابلتهم يتمتعون بشخصيات سليمة ومتزنة· وهم لا يسردون تجاربهم كما يسرد المرء احلامه، ولكن كأحداث واقعية حصلت لهم فعلا· وعلى رغم ذلك، فهم يدركون ان مجتمعنا المعاصر لا يوفر مناخاً ملائماً لقبول روايات من هذا النوع· والحق ان كثيراً من الذين قابلتهم اقروا بأنهم ادركوا منذ البداية ان الآخرين سيرمونهم

بالاضطراب العقلي اذا هم قصوا تجاربهم. لذلك قرروا ملازمة الصمت حول الموضوع او الاكتفاء باطلاع أحد الانسباء المقربين عليه.

وفي معظم المرات التي كنت اقابل فيها احدهم وأستجوبه بالتفصيل عن تجربته، ثم اقول له ان الآخرين وصفوا الاحداث والمشاعر نفسها، كان يعبر عن انفراج عظيم. ومما قاله احدهم: "اني سعيد حقاً لمعرفتي ان شخصاً آخر عانى ما عانيته... الان أعرف جيدا اني لست مجنوناً".

وهناك اتفاق بيّن في العبر التي استمدها الاشخاص المختلفون من معاناتهم الموت. فقد اكد معظمهم على اهمية المحاولة في هذه الحياة في تنمية حب الآخرين في نفوسنا على نحو فريد وعميق. وهناك شخص شعر، لدى وقوفه في حضرة الكائن النوراني، بأنه محبوب ومقبول منه، حتى بعدما رأى ذلك الكائن مشاهد مكثفة من حياة المائت كلها. وأدرك ان السؤال الذي طرحه عليه الكائن يتناول ما اذا كان في امكانه ان يحب الآخرين كما احبه هو. وها هو الآن يشعر بأن مهمته، بعد عودته حياً، هي ان يتعلم ان يحب الآخرين هكذا.

اضافة الى هذا، شدد آخرون على أهمية السعي الى المعرفة. وكان قد اوحي اليهم خلال خبراتهم بأن اكتساب المعرفة يستمر حتى في الحياة الثانية. وهناك امرأة استغلت كل فرصة متاحة للمعرفة خلال "وفاتها" الوقتية. ويعطي رجل من المجموعة النصيحة الآتية: "بغض النظر عن سنك، اياك التوقف عن تحصيل العلم. فالتعلم عملية مستمرة الى الابد".

ولا يخطىء من يظن ان لهذه الخبرة اثراً عميقاً في موقف المرء من الموت الجسدي، ولاسيما بالنسبة الى اولئك الذين لم يكونوا قبل ذلك يؤمنون بأي نوع من الاستمرار بعد الوفاة. وقد عبر معظم الذين قابلتهم عن انهم لم يعودوا خائفين من الموت. وقال احدهم:

"ليست لدي اي رغبة في الموت، ولا اود ان اموت الآن. غير اني، في الوقت نفسه، لا أخشى الموت. والسبب اني اعلم الى اين سأذهب لدى مبارحتي هذا المكان، اذ سبق ان كنت هناك".

اما أولئك الذين كانت لديهم قناعات تقليدية حول طبيعة الحياة الثانية فيبدو انهم عدلوا قناعاتهم بعد مواجهتهم القصيرة للموت. والحق انه، بين جميع المقابلات التي أجريتها، لم يأت شخص واحد على ذكر الابواب المرصعة بالجواهر او الشوارع المذهبة او الملائكة من ذوات الاجنحة التي تعزف على القيثارة او الجحيم الذي يعج باللظى وفي وسطه شياطين تحمل المذراة.

ان معظم الذين قابلتهم لم يأتوا على ذكر الثواب والعقاب في الحياة الثانية، علماً ان كثيراً منهم ربي على هذا النمط التقليدي من الاعتقاد. وقد دهشوا حين وجدوا ان رد فعل الكائن النوراني تجاه أشد خطاياهم فداحة لم يكن التذمر او الغضب، بل التفهم وحتى المرح. وتجدر الاشارة الى ان الخطايا المذكورة لم تكن من النوع الفاحش.

وبما ان اشخاصاً كثيرين قالوا انهم بقوا وقتاً طويلا منفصلين عن اجسادهم بينما كانوا يعاينون الاحداث في العالم المادي، فمن الطبيعي ان يبرز السؤال الآتي:هل يمكن دعم هذه الادعاءات من قبل اشخاص آخرين كان لهم دور في الاحداث المذكورة؟

من المدهش انه، في حالات غير قليلة، كان الجواب ايجابياً. وهناك بضعة اطباء، على سبيل المثال، اخبروني انهم دهشوا كيف ان بعض مرضاهم الذين لا يملكون اي معرفة طبية وصفوا، بدقة وتفصيل، الطرق التي استعملت لانقاذهم بعد تأكيد وفاتهم طبياً.

وهناك اشخاص اخبروني كيف ادهشوا اطباءهم أو آخرين برواياتهم عما حصل وهم منفصلون عن اجسادهم. ومن هؤلاء فتاة غادرت جسدها وهي تنازع الموت وذهبت الى غرفة اخرى في المستشفى حيث وجدت اختها تبكي وتقول:"أواه يا كاتي! ارجوك ألا تموتي! ارجوك، لا تفعلي!"وذهلت هذهالفتاة حين باحت لها اختها كاتي في ما بعد كيف بكت وماذا قالت في المستشفى آنذاك.

مقارنات

اذا شئنا وصف المراحل المختلفة لخبرة الموت بأقل ما يمكن من كلام، قلنا انها غير عادية. ولشد ما كانت دهشتي حين عثرت، خلال سنوات، على عدد غير قليل من الشواهد المماثلة جداً، وذلك في كتابات تنتمي الى حضارات وثقافات وعصور مختلفة.

في المجتمع الغربي، الكتاب المقدس هو الكتاب الذي حظي بأكبر مقدار من القراءة والبحث بالنسبة الى المسائل المتعلقة بحياة الانسان الروحية والحياة بعد الموت. الا ان الكتاب المقدس لا يتكلم باسهاب عن الاحداث الملازمة للموت او يقدم وصفاً دقيقاً للعالم الآخر. وهذا يصح خصوصاً على العهد القديم.

لكن هناك مصادر اخرى نقع فيها على نقاط شبه اقوى. ومن هذا القبيل ما تركه الفيلسوف الاغريقي افلاطون من وصف لأحداث تشبه، الى حد بعيد، ما عاناه الاشخاص الذين اختبروا الموت. وربما كان الكتاب العاشر من "الجمهورية" يحوي الوصف الاقرب الى ما نقول. ففيه يتكلم افلاطون عن موت جندي يوناني اسمه آر في احدى المعارك، وعن تسجية جثمانه على محرقة استعداداً لحرقه ودفنه. ولكن بعد مضي وقت قصير انتفض الميت واخذ يخبر عما رآه في رحلته الى العالم الآخر بعد انفصال روحه عن جسده. كان هناك نوافذ تؤدي، كما قال، من الارض الى اماكن وراءها. كما كان هناك كائنات توقف الارواح وتحاكمها بناء على ما تراه من احداث حياتها الارضية. وأخبرته تلك الكائنات ان عليه ان يعود الى الارض ليصف للناس ما شاهده في العالم الآخر. وفي تلك اللحظة استيقظ ليجد نفسه على محرقة الموتى.

وهناك وصف آخر مفصل للمراحل المختلفة التي تمر بها الروح بعد وفاة صاحبها، نقع عليه في كتاب الموتى الخاص بحضارة التيبيت الآسيوية

القديمة· وهو يحوي تعاليم للحكماء خلال العصور بقيت تنقل شفاهاً من جيل الى جيل حتى دونت اخيراً في القرن الثامن بعد الميلاد، لكنها حجبت عن الناس·

اما ما تقول به العقيدة التيبتية فهو ان عقل الانسان المائت أو روحه يفارق الجسد ويجد نفسه في الفراغ· وربما سمع اصواتاً متوعدة تشبه الزئير او الصفير او الرعد او صرير الريح· وينتابه العجب اذ يرى نفسه خارج جسده المادي· ويرى أنسباءه وأصدقاءه ينوحون عليه ويكفنون جسده للدفن· ويحاول ان يلفت انتباههم، لكنهم لا يسمعونه ولا يرونه·

ويلاحظ انه ما زال له جسد، الا انه جسد "مشع" لا تخالطه المادة· لذلك يمكنه اختراق الصخور والجدران وحتى الجبال من غير مقاومة· وحيثما شاء ان يكون، فهو يصل الى هناك في لحظة واحدة· وربما واجه نوراً جلياً وخالصاً·وينصح حكماء التيبت المائت بأن يدنو من ذلك النور بمنتهى الايمان والتواضع·

ويصف الكتاب ايضاً مشاعر السلام الغامر والرضى التام التي يختبرها المرء اذا مات "ميتة صالحة"· ويقولون ان هناك شيئاً شبيهاً بالمرآة، تنعكس عليه حياته بكل ما فيها من أفعال صالحة وسيئة ليراها بوضوح تام هو والكائنات التي تحاكمه·

وهناك، ثالثاً، شبه شائق نقع عليه في كتابات الاسوجي ايمانويل سويدنبورغ الذي عاش بين ١٦٨٨ و١٧٧٢، ولقيت كتابات المرحلة الاولى من حياته، في الفيزياء والرياضيات وعلم التشريح وعلم النفس، شيئاً من الرواج· وما لبث، في مرحلة لاحقة، ان مر بخبرات دينية متكررة جعلته يدعي انه كان على اتصال بكائنات روحية وراء العالم·

وجاءت كتابات تلك المرحلة من حياته مليئة بوصف مثير للحياة بعد الموت· وزعم انه عانى تجربة انفصال عن الجسد تم فيها اتصال بينه وبين ارواح يقول انها "ملائكة" ليست من طينة الارض· ووصف هذا الاتصال بأنه انتقال افكار:"كل شخص، بعد الموت مباشرة، يكتسب هذه اللغة الشاملة"·

وربما صادف المائت ارواح آخرين عرفهم وهو على قيد الحياة، وربما عرضت حياته الماضية امامه في ما يشبه الرؤيا· وهو، عند ذاك، يتذكرها بجميع تفاصيلها، من غير ان يكون هناك امكان للكذب او التكتم· وقد كتب سويدنبورغ:

"من طبيعة الذاكرة الباطنية ان يكون محفوراً فيها كل ما فكر فيه المرء او قاله او فعله بجميع تفاصيله، منذ طفولته الاولى حتى شيخوخته الاخيرة· والانسان يحمل معه هذه الذكريات الى الحياة الاخرى حيث يواجه بما يجعله يستعيدها"·

كذلك يتكلم سويدنبورغ عن "نور الرب" الذي يغلف العالم الآخر· وهو نور يجل عن الوصف فيض له ان يراه شخصياً· انه نور الحق والمعرفة·

ترى هل يعقل ان يكون الذين قابلتهم تأثروا بقرءات من هذا النوع؟

هناك اثنان او ثلاثة فقط من اولئك

جميعاً كانوا يعرفون شيئاً عن فكر افلاطون. غير أن احداً منهم لم يكن على علم بأعمال سويدنبورغ او كتاب الموتى التيبتي. لذلك كان لدينا ملء الحق في ان نسأل انفسنا عن سر مطابقة افكار حكماء التيبت وافلاطون وسويدنبورغ في ما بينها من ناحية، ومطابقتها من ناحية أخرى مع ما أسر به أشخاص معاصرون اختبروا الموت عن كثب.

أسئلة

في السنوات التي القيت فيها محاضرات حول خبرة مشارفة الموت، طرحت علي اسئلة كثيرة من المستمعين. وهناك مجموعة من الاسئلة تثار مرة بعد اخرى. وهنا عرض لأهم الاسئلة وأجوبتي عنها:

س: هل انت تخترع هذه الروايات وتنسبها الى اشخاص؟

ج: كلا. هذا ليس صحيحاً. والحقيقة ان لدي رغبة قوية في تدريس الطب النفسي وفلسفة الطب. وهذا الهدف لا يتحقق عن طريق اختلاق أكاذيب.

س: ما هو معدل شيوع هذه التجارب؟

ج: اني اول المعترفين بأنه ليس في امكاني الخروج بنتائج مقبولة احصائياً حول شيوع هذه الظاهرة، لأن الحالات النموذجية التي عاينتها قليلة ولا تسمح بهذا. الا أن حدوث هذه التجارب شائع الى حد لا يتوقعه اولئك الذين لم يدرسوها. والكلام عن حياة بعد الموت قد يبدو ضرباً من الرجعية بالنسبة الى كثيرين ممن قد يظنون هذه الفكرة ملازمة للماضي "الخرافي" وليس للحاضر "العلمي". وجدير بالذكر ان الاشخاص الذين خبروا الموت هم على دراية بهذه المواقف ولذلك يحجمون عادة عن نقلها الى الآخرين بصراحة.

س: كيف تعرف ان الناس لا يكذبون عليك؟

ج: يسهل كثيراً على الذين لم يسمعوا او يشاهدوا اولئك الاشخاص وهم يتكلمون عن خبراتهم ان يتبنوا نظرياً الرأي القائل بأن هذه الروايات اكاذيب. غير أني شاهدت بأم عيني اناساً بالغين ومستقرين نفسياً ينفجرون بالبكاء وهم يخبرونني عن تجارب عانوها قبل ثلاثين سنة. ولقد لمست في أصواتهم اخلاصاً وحرارة ومشاعر صادقة لا يمكن نقلها كتابة. لذلك انا مقتنع - ويؤسفني الا أستطيع اقناع الآخرين - بأن نعت هذه الروايات بأنها مختلقة أمر مرفوض من اساسه.

واضافة الى صدق شهادتي، هناك اعتبارات قوية ضد الرأي القائل باختلاق الروايات. وأهم هذه الاعتبارات صعوبة تفسير عناصر الشبه القوي بين الروايات المختلفة. اذ كيف يعقل ان يأتي هؤلاء القوم كلهم لاخباري الكذبة نفسها؟

ربما قال احدهم ان هناك تواطؤاً او مؤامرة من نوع ما في هذه الحال. وهذا غير مستحيل منطقياً. فربما حدث قبل سنوات أن اجتمعت امرأة في منتصف العمر من شرق ولاية كارولينا الشمالية وطالب طب من ولاية نيوجيرسي وطبيب بيطري من ولاية جورجيا وكثيرون غيرهم، وقرروا في ما بينهم التآمر علي وخداعي. غير اني لا أقيم وزناً كبيراً لهذا الاحتمال.

س: هل سبق لك ان سمعت رواية شخص "توفي" على اثر انتحار؟

ج: نعم. وهذه التجارب كانت دائماً غير مفرحة لاصحابها. ومن هؤلاء واحد دفعه غمه على وفاة زوجته الى اطلاق النار على نفسه. وأنقذ بعد ان "مات". وهو يقول: "لم اذهب الى حيث كانت زوجتي، بل وجدت نفسي في مكان رهيب. وللحال ادركت فداحة الخطأ الذي ارتكبته".

وهناك آخرون وجدوا انفسهم في هذه المنزلة غير المحددة، وعبروا عن شعورهم بأن ذلك كان عقاباً لهم لخروجهم على "المبادىء القويمة" بمحاولتهم التنصل من "مسؤولية" القيت على عاتقهم، وهي تحقيق هدف معين في الحياة.

وتتعدد الروايات التي سمعتها من اناس

حاولوا الانتحار، والمشاعر التي يعبرون عنها نجدها في أقدم النصوص اللاهوتية والخلقية التي تعرض حججاً فلسفية ضد الانتحار، والتي نقع عليها لدى فلاسفة اختلفت أفكارهم كثيراً في ما بينها، أمثال القديس توما الاكويني وجون لوك وايمانويل كانت. وفي رأي كانت ان الشخص الذي يحاول الانتحار يعارض مشيئة الله، ويمكن ان نعتبره ثائراً ضد خالقه.

س: هل هناك تجارب موت لم يتذكر اصحابها شيئاً منها؟

ج: هناك عدد غير قليل من الذين "ماتوا" وانقذوا، قالوا انهم لا يتذكرون شيئاً على الاطلاق مما حدث خلال "موتهم". ومن الطريف ان بين الذين قابلتهم اشخاصاً ثبتت وفاتهم طبياً اكثر من مرة في اوقات مختلفة، وقالوا انهم لا يتذكرون شيئاً مما حدث لهم في احدى الوفيات، بينما يتذكرون ما حدث في وفاة اخرى.

س: هل بين الاشخاص الذين قابلتهم من مات فعلا؟

ج: احد الاسباب الرئيسية لغموض هذا السؤال وصعوبة الاجابة عنه هو انه، في احد جوانبه، سؤال لغوي متعلق بمعنى كلمة "ميت".

وكل ما اريد قوله، في التحليل الاخير، هو الآتي: مهما تكن طبيعة الموت المحتم، فان الذين قابلتهم كانوا جميعاً أقرب اليه من معظم اخوانهم في الانسانية. ولهذا السبب وحده، أجد نفسي على استعداد لسماع ما لديهم.

تفسيرات

يقول بعضهم ان تجربة مشارفة الموت ان هي الا ضرب من الاحلام التي تحقق عبرها الامنيات، او أخيلة وأوهام اثارتها جميعاً عوامل مختلفة، كالعقاقير التي تعطى للمصاب لدى حصول حادث ونقص الاوكسيجين والاجهاد الجسدي. وبناء على هذا التفسير، تضحي خبرة الموت ضرباً من الوهم. وهناك تفسيرات اخرى تنطلق من مقدمات عصبية او نفسية لتخرج بالنتيجة نفسها، وهي ان هذه الخبرات أوهام.

وفي اعتقادي ان هناك عوامل عدة تدحض هذه الآراء. اولا، دعونا نتذكر الشبه الكبير فيمحتوى هذه الخبرات وتعاقب أحداثها، على رغم ان معظم ما تنطوي عليه لا ينسجم مع الاعتقادات السائدة في المجتمع والثقافة الغربيين بالنسبة الى ما يحدث بعد الموت.

ثانياً، ان الاشخاص الذين قابلتهملم يكونوا ضحايا اضطراب عقلي من نوع انقطاع الصلة بالواقع او من اي نوع آخر، بل هم يحتلون مناصب ومراكز رفيعة ويؤدون واجباتهم على خير وجه. كما ان زيجاتهم مستقرة وهم مخلصون لعائلاتهم واصدقائهم. ومعظم هؤلاء لم تتيسر له هذه الخبرة الخارقة سوى مرة واحدة. وأهم ما في الامر ان هؤلاء الاشخاص جميعاً اناس يمكنهم التمييز بين الخيال والواقع. وقد اكدوا لي مراراً خلال حديثهم ان الخبرات التي مروا بها لم تكن حلاما، لكنها كانت، بكل تأكيد، حقيقية.

غير اني درست ايضاً حالات عدة اثيرت فيها الرؤى والخيالات بطرق نفسية وعصبية. ووجدت بعض عناصر تجربة الموت مكررة هنا، ولكن على نحو غير تام، تنقصه الواقعية والانفعالات.

اني لا اقترح اي تفسيرات جديدة من عندي. وكل ما اريد قوله هو هذا: دعونا، على الاقل، لا نلغي احتمال كون تجربة الموت تمثل ظاهرة غير مألوفة تحتم علينا ابتكار اشكال جديدة من التفسيرات.

لقد كنت، خلال تأليف هذا الكتاب، مدركاً تمام الادراك انه من السهل اساءة فهم غايتي ووجهة نظري. واود، في الاخص ان اقول للقراء ذوي التفكير العلمي اني اعي كلياً ان ما أنجزته ليس دراسة علمية. لكني، في الوقت نفسه، أعتقد ان الروايات التي تصف خبرة الموت بالغة الاهمية. وما اريد فعله هو اعطاء تفسير لهذه الخبرات يكون وسطاً بين نقيضين: واحد يرفضها لحجة افتقارها الى الشاهد العلمي وآخر يتبناها لحجة كونها تقدم برهاناً على وجود حياة بعد الموت.

وها انا اخرج ليس بنتائج او ادلة او براهين، ولكن بمشاعر وتساؤلات ومقارنات ووقائع محيرة تحتاج الى تفسير. لكني أعتقد انه من الجدير القاء ضوء، مهما كان، على طبيعة الموت. فما نتعلمه عن الموت قد يحدث تغيراً مهماً في طريقة حياتنا. واذا كانت الخبرات التي وصفتها حقيقية فعلا، فهي تنطبق انطباقاً عميقاً على ما يفعل كل منا بحياته. لذلك يصح القول انه لا يمكننا ان نفهم هذه الحياة حق الفهم حتى تقع أعيننا على قبس مما هو وراء الحياة.

■ **رايموند مودي**

لا تقل أصلي وفصلي...

الحق اني لا اعلم كيف كان جدي. وما يهمني اكثر هو معرفة ما سيكون عليه حفيده.

ابرهام لينكولن

الاقوال والافعال

بينما كانت امرأة تحضر اجتماعاً في نادي مراقبة البدانة وتخفيف الوزن، سطا احد اللصوص على سيارتها وسرق منها كمية من الشوكولاته واقراص الحلوى يقدر ثمنها بستة دولارات.

ف.ك.

كيف نطرد سنجاباً

استيقظت ذات ليلة لاجد ان سنجاباً تحايل حتى دخل البيت. فحاولت طوال ساعة ان اخرجه، ولكن لم تفلح حتى ضربات مكنستي في زحزحته من مكانه.

وشعرت بالخوف، واتصلت بادارة الحريق. فقال لي اطفائي انه سيستشير زملاءه في الامر. وسمعته يقول لهم: "هذه سيدة دخل سنجاب بيتها ولا تستطيع اخراجه". وسمعت صوتاً آخر يصرخ من بعيد: "اخبرها ان تخرج الى فناء البيت وتتظاهر بأنها حبة بندق".

ا.ب.


كتاب الشهر
المعركة
الكبرى
الجزء الثاني
بقلم كورنيليوس ريان

المعركة الكبرى

كانت على الممر الضيق الذي سيحمل اندفاع القوات المدرعة خمسة جسور لا بد من الاستيلاء عليها سليمة عن طريق مهاجمتها بقوات محمولة جواً. وكان خامس تلك الجسور، وهو الجسر البالغ الاهمية الذي يمتد عبر مجرى نهر الراين الادنى عند بلدة تسمى آرنهيم على مسافة ١٠٣ كيلومترات وراء الخطوط الالمانية، هو مثار قلق اللفتنانت جنرال فريدريك براونينغ، نائب قائد جيش الحلفاء الاول المحمول جواً. فقد أشار براونينغ الى جسر آرنهيم على الخريطة وسأل:"كم من الوقت ستستغرقه القوات المدرعة حتى تصل الينا؟" فأجابه الفيلد مارشال برنارد مونتغومري بلهجة قوية حاسمة:"يومين!" فواصل براونينغ النظر الى الخريطة وأجاب:"في استطاعتنا ان نظل محتفظين بها مدة أربعة أيام". وأضاف:"لكني أعتقد يا سيدي أننا ربما كنا مستهدفين هنا جسراً أبعد مما يجب". هذا ما يرويه الميجور جنرال روبرت أوركوهارت في المذكرات التي كتبها بعنوان "آرنهيم".

وفي هذا الجزء الثاني الاخير من كتابه الملحمي عن كبرى المعارك الاوروبية في الحرب العالمية الثانية، يصور كورنيليوس ريان الصعوبات الهائلة التي أحاطت بعملية "ماركت غاردن"، أضخم عملية مظلية في الحرب كلها، في مسيرتها المحتومة نحو خاتمتها المخفقة.

في المساحة المعشبة الخضراء التي تتوسط طريق يوسيبيوس بويتن سينغل - الشارع العريض المؤدي الى الجسر الممتد عبر نهر الراين في بلدة آرنهيم الهولندية - وضع الميجور جنرال هاينز هارمل خطته الاخيرة اليائسة لمواجهة الموقف الخطير. ففي ١٧ سبتمبر (أيلول) ١٩٤٤، هبطت في المنطقة بالمظلات عصبة صغيرة من الجنود البريطانيين واستولت على طرف الجسر الشمالي، فأغلقت الطريق أمام فيلق دبابات ألماني بأكمله يقوده الجنرال هارمل، ومنعته من التقدم نحو الجنوب حيث كانت قوات مظلية بريطانية أخرى تهدد بتحرير هولندا والاندفاع منها الى قلب الرايش الثالث.

والآن، في ١٩ سبتمبر (أيلول)،

بعد يومين من القتال المرير، كان الجنرال هارمل يعرف أن البريطانيين المتمركزين على الجسر، والذين لم يزد عددهم أبداً على ٧٠٠ رجل، أوشكت مؤنهم وذخيرتهم على النفاد، وأن اصاباتهم، اذا كان يمكن قياسها باصابات رجاله، بلغت معدلا شديد الارتفاع. ومع ان البريطانيين كانوا في البداية يحتلون ١٨ منزلا تطل على الجسر، الا أنهم اصبحوا الآن يحتلون أقل من اثني عشر منزلا.

ويقول هارمل: "كنت صممت على توجيه قذائف الدبابات والمدفعية لتدمير كل مبنى استولوا عليه تدميراً تاماً. غير ان شجاعتهم الرائعة في القتال جعلتني أشعر بان من واجبي ان اطلب منهم التسليم أولا".

وكان رد البريطانيين: "اذهب الى الجحيم".

وبناء على ذلك، أصدر هارمل الى قادة الدبابات والمدفعية المجتمعين أمامه اوامر واضحة محددة: "نظراً الى ان البريطانيين يرفضون الخروج من جحورهم، فاننا سننسفهم حتى يتطايروا معها مزقاً. صوبوا قذائفكم الى ما تحت السقوف تماماً وتابعوا الضرب متراً متراً وطابقاً طابقاً حتى ينهار كل منزل تماماً، ولا يبقى بعد تنفيذنا هذه المهمة سوى كومة حجار".

وبدأ القذف واستمر بلا شفقة ولا هوادة. وكان، كما يتذكره الجندي هورست فيبر: "أشد نار رأيتها في فعاليتها. فقد أخذت المباني تنهار ابتداء من سقوفها مثل بيوت الدمى. وبدا لي انه يستحيل على اي انسان البقاء حياً وسط هذا الجحيم. وانتابني أسف حقيقي على مصير البريطانيين".

ويتذكر الجندي نفسه مبنى كان قائماً عند ناصية: "انهار سقفه الى الداخل وبدأ طابقاه العلويان يتهاويان، ثم سقط جداره الامامي كله الى الشارع، كأنه شريحة جلد تنفصل عن هيكل عظمي، كاشفاً كل طابق من داخله حيث كان البريطانيون يندفعون في كل اتجاه كالمجانين". ويتذكر فيبر ان التراب والحطام لم يلبثا ان جعلا الرؤية مستحيلة. وكان الضجيج مريعاً. ولكن على رغم ذلك، فقد فاقه ارتفاعاً صراخ الجرحى الذي تناهى الى أسماعنا".

كان الليفتنانت كولونيل جون فروست، الذي استولى رجاله على الجسر، يدرك ان كتيبته الثانية انتهت الى كارثة محققة، لأن قوات العون والغيار لم تتمكن من اختراق صفوف العدو. وأيقن فروست بأنها لم تعد تستطيع معاونته. وكانت ذخائر كتيبته نفدت تقريباً، وارتفعت نسبة الاصابات بين رجالها الى حد أن كل ملجأ متاح بات مليئاً بالجرحى. كما أن الرجال واصلوا القتال بلا هوادة لفترة تزيد على خمسين ساعة متواصلة.

وكان فروست يدرك أنهم لن يستطيعوا تحمل هذا العناء الرهيب لفترة أطول كثيراً. فالمنازل القائمة حول قطاعه من كل جانب تشتعل فيها النار، والمباني تنهار، والمواقع يجتاحها العدو. لكن فروست لم يكن على استعداد لتسهيل مهمة الاعداء. فصمم تصميماً لا أمل منه على منع

الالمان من الاستيلاء على الجسر حتى آخر لحظة ممكنة.

ولم يكن فروست متفرداً بهذه المشاعر فقد بدا أن رجاله تأثروا بمحنتهم تأثراً مماثلا. فكان الجنود يقتسمون ما لديهم من ذخيرة ويأخذون القليل الذي يجدونه مع الجرحى كي يتأهبوا للمصير الذي بدأ يحيق بهم. ولم يظهر عليهم من امارات الخوف سوى القليل، وبدا ان ما أصابهم من ارهاق وجوع وألم أيقظ لديهم احساساً بالفكاهة تجاه أنفسهم وأوضاعهم. وراح هذا الاحساس ينمو مع تعاظم تضحياتهم.

وثقلت وطأة القذف بالقنابل على قصر قيادة فروست مع غياب العصر. وهبط الاب برنارد ايغان، قسيس الوحدة، الى الملجأ لتفقد الجرحى، حيث لاقاه الرقيب جاك سبرات الذي كان يعتبر ممثل الفكاهة في الكتيبة. وقال الرقيب: "حسناً يا أبانا. انهم يقذفوننا بكل شيء لديهم ما عدا موقد المطبخ". ولم يكد ينهي جملته حتى أصابت البناء فوق رؤوسهم قذيفة مباشرة، فانهار سقف الملجأ وأمطرهم بالاقذار وقطع الملاط الصلبة. وعندما استجمعوا شتات انفسهم، رأوا أمامهم على الارض موقد مطبخ بين الحطام الساقط عليهم. فنظر اليه الرقيب سبرات وهز رأسه قائلا: "كنت أعرف ان أولاد الزنا هؤلاء على مقربة منا، ولكن لم أكن أحسب أنهم يستطيعون سماع حديثنا!"

ومع هبوط الليل، رأى فروست بلدة آرنهيم كأنما اشتعلت كلها بالنار. ولاحظ "أن قرقعة الخشب المحترق والاصداء الغريبة لأصوات المباني المنهارة توحي بأنها آتية من عالم آخر".

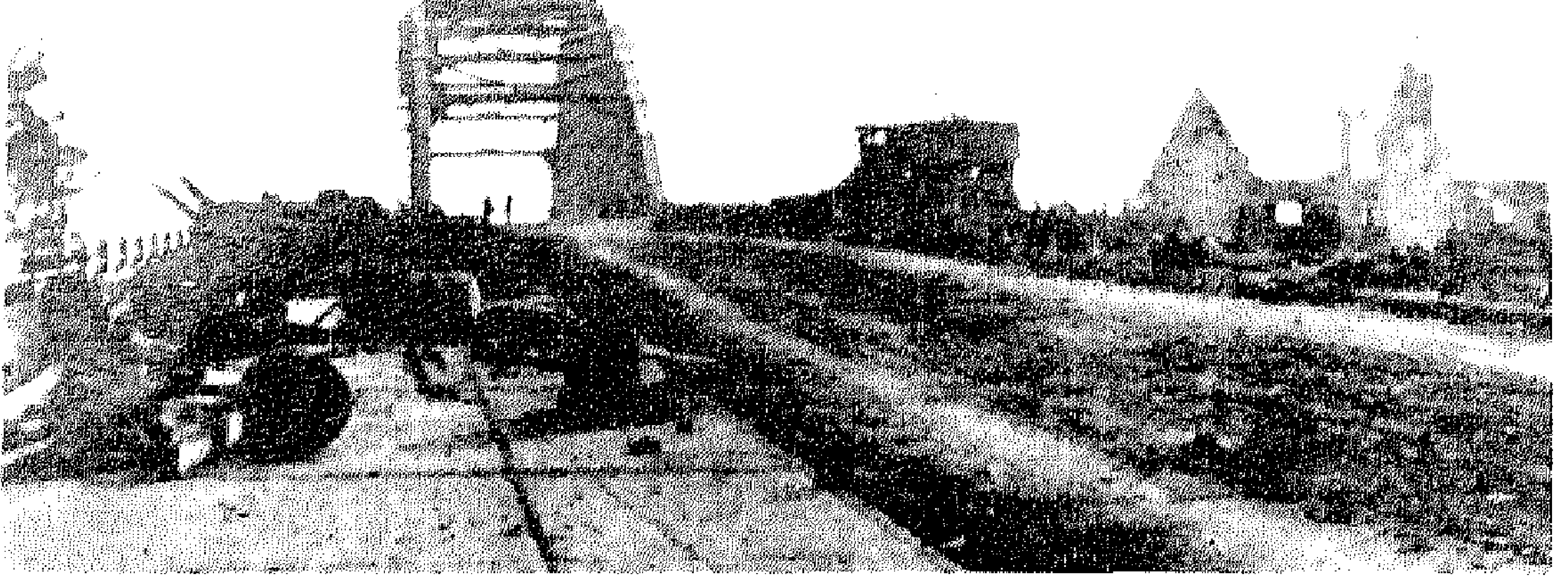
وكانت الخطة الاصلية تقضي بأن تتولى كتيبة فروست مع الكتائب الغائبة الاخرى مهمة الاستيلاء على الجسر، في حين تتولى وحدات أخرى من المظليين والجنود المحمولين بالطائرات الشراعية الاستيلاء على معابر مياه أخرى جنوب هولندا، ثم تنطلق دبابات الجيش الثاني البريطاني لتزأر على طول ممر ضيق ممتد من الحدود البلجيكية في هجوم مفاجيء يمكن ان يواصل اندفاعه حتى برلين.

أما الآن فان رجل الاشارة ستانلي كوبلي، الذي كان جالساً في أعلى المبنى القائم فوق رأس فروست، وجد نفسه، في يأسه وحزنه، مضطراً الى التخلي عن ارسال الاشارات الرمزية والبث باللغة الصريحة، فمضى يكرر دونما انقطاع: "رد علي أيها الجيش الثاني... رد علي أيها الجيش الثاني". لكنه لم يتلق أي رد على الاطلاق.

تحذيرات أغفلت

في مقره الصغير في بروكسل عاصمة بلجيكا، كان صاحب الامير برنارد (زوج ولية العهد الاميرة جوليانا، والتي اصبحت ملكة في ما بعد) يتابع كل تطور جديد بمزيد من القلق، وهو يرى بلاده تتحول ساحة قتال شاسعة.

وسأل رئيس أركان حربه: "لماذا رفض البريطانيون الاصغاء الينا؟" فقد كانت الخطة التي وضعها



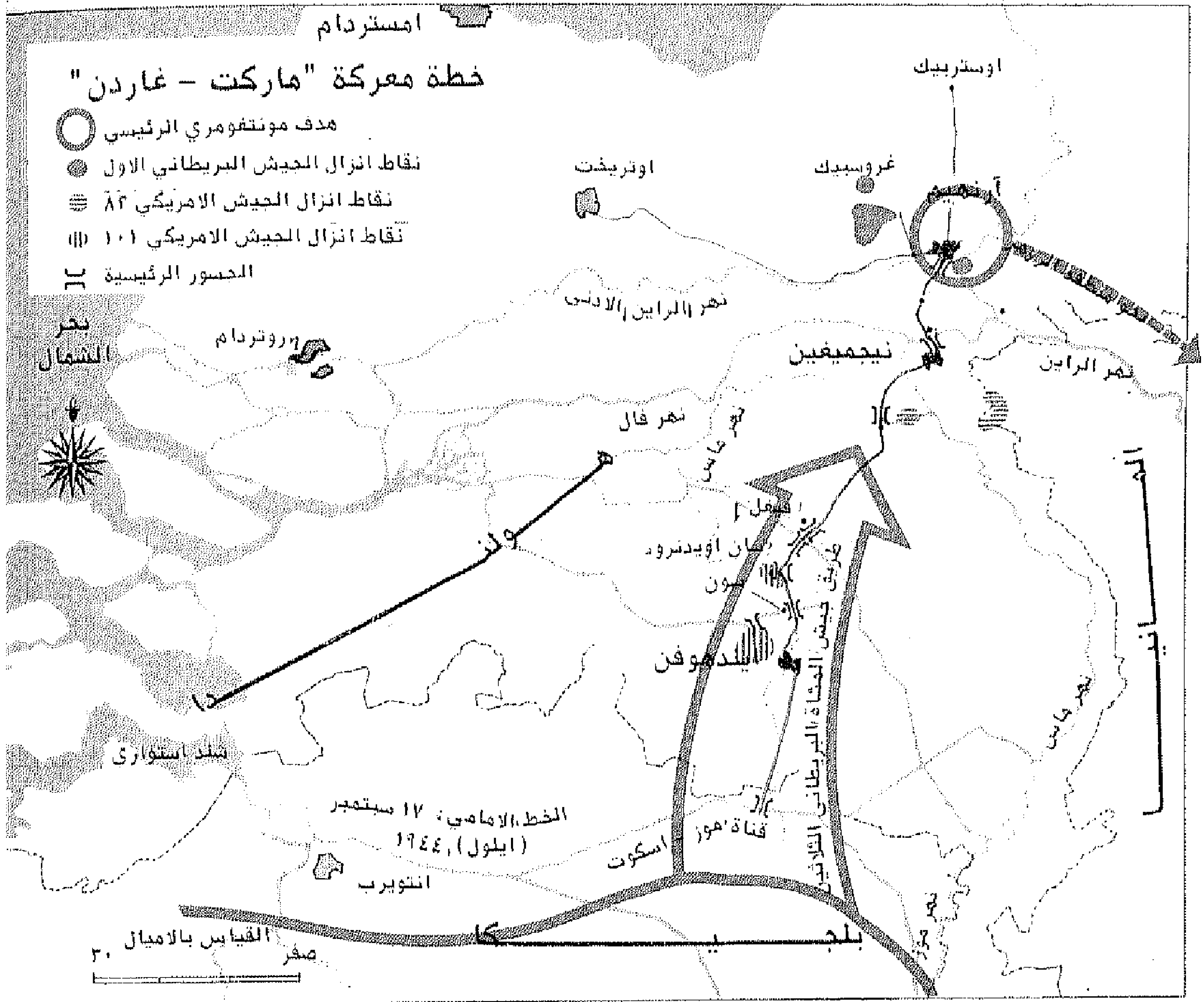
صورة التقطها الالمان لجسر ارنهيم خلال المعركة.

الفيلد مارشال البريطاني برنارد لو مونتغومري تقضي باستخدام أكبر قوة مظلية في التاريخ، وهي مؤلفة من ٣٥ ألف جندي. وكان مونتغومري يتوقع بثقة ان يؤدي هذا الهجوم المفاجيء الى انهاء الحرب. ولم يكن الفيلد مارشال وحيداً في تفاؤله هذا، لأن حمى النجاح سيطرت على جميع القادة الميدانيين على امتداد الجبهة. وكانت عمليات الانزال التي تمت على ساحل النورماندي قبل ثلاثة أشهر فقط قد أعقبها اكتساح مذهل عبر فرنسا وبلجيكا، وكان الالمان يتقهقرون عبر هولندا. وبدا ان استراتيجية مونتغومري في هذه العملية التي عرفت باسم "ماركت غاردن - "ماركت" للوحدات المحمولة جواً و"غاردن" للقوات الارضية - هي بالضبط الضربة السريعة الحاسمة التي تتطلبها الحال.

لكن الامور سارت على نحو بطيء منذ اليوم الاول للعملية. ولم يكن الامير برنارد يوجه اللوم الى أحد. فالامريكيون والبريطانيون كانوا يقدمون حياتهم قرباناً لتحرير هولندا من قاهريها القساة. غير ان الامير، مع ذلك، لم يلبث أن استاء من مونتغومري وهيئة أركان حربه، لأن كبار المستشارين العسكريين الهولنديين استبعدوا تماماً من تخطيط العملية، على رغم أن مشورتهم كان يمكن ان تكون عظيمة القيمة.

وعلى سبيل المثال، فان مناطق انزال المظليين والقوات المحمولة بالطائرات الشراعية في قطاع آرنهيم، وهي حلقة الاتصال الحاسمة في خطة مونتغومري، كانت تبعد عن جسر آرنهيم مسافات تراوح بين عشرة كيلومترات و١٣ كيلومتراً، مما يجعل المباغتة مستحيلة تماماً.

ويسترجع الامير برنارد ذلك بقوله: "لو عرفنا في الوقت المناسب اختيار مواقع الانزال والمسافات التي تفصلها عن جسر آرنهيم، لكان رجالنا أبدوا رأياً في هذا الصدد من دون شك". أما الطريق المقترح للدبابات التي تمثل رأس الحربة في الهجوم



الارضي فلم يكن أكثر من طريق رئيسي واحد، يمتد كثير من قطاعاته فوق قمة السدود البحرية. ومنذ علم الجنرالات الهولنديون بأمر هذه الفكرة، بذلوا قصارى جهدهم لكي يثنوا عنها كل من قبل الاستماع اليهم، محذرين من أخطار الاعتماد على الطريق الممتدة فوق السدود البحرية المكشوفة. ويقول الامير برنارد: "لقد أجرينا في كليات أركان الحرب لدينا دراسات لا حصر لها على هذه المشكلة. ونحن نعرف، بكل بساطة، ان الدبابات لا يمكنها ان تعمل على طول هذه الطرق من غير عون المشاة".

وفضلا عن ذلك، فان مصادر حركة المقاومة الهولندية ضد الالمان أخطرت البريطانيين بأن في منطقة آرنهيم وحدتين من الدبابات الالمانية، هما فرقتا الصدام المدرعتان "س - س" التاسعة والعاشرة، اللتان تحملتا خسائر كبيرة في القتال في فرنسا وبلجيكا، ولكنهما لا تزالان على درجة كبيرة من القوة. غير ان هذه المعلومات قوبلت، كما يبدو، بالاهمال التام من جانب

مونتغومري والقادة الآخرين.
ويقول الامير برنارد: "ان البريطانيين لم يأبهوا لموقفنا السلبي. وعلى رغم ان جميع الذين لقيناهم عاملونا بأدب جم، الا ان البريطانيين فضلوا ان يتولوا التخطيط بأنفسهم. وكان الموقف السائد بينهم يلخص بالآتي: "لا تقلق أيها الصديق القديم، فسوف ننجز هذه المهمة".

ونتيجة لذلك، فان البريطانيين الذين هبطوا الى الارض في آرنهيم سرعان ما وجدوا أنفسهم يواجهون مقاومة شديدة من فرقة الصدام المدرعة "س - س" التاسعة. ولم يتمكن أحد من بلوغ الجسر سوى الكولونيل فروست وكتيبته، بينما احتجزت كتيبتان أخريان عند مشارف البلدة.

وكان الامير برنارد يرسل من مقره في بروكسل تقارير مستمرة الى الحكومة الهولندية في المنفى في لندن والى حماته الملكة ولهلمينا ذات الاربعة وستين عاماً، التي كانت تكره النازيين بشدة. وكان الامير برنارد أخبرها في مرحلة مبكرة من العمليات "بأن القوات لن تلبث ان تجتاح عدداً من القصور والضياع الملكية"، فكان رد الملكة: "أحرقوها من اساسها". وفوجىء الامير برنارد بهذا الرد، فقال متلعثماً: "سامحيني، اذ لم أسمع جيداً ما قلت". فقالت الملكة ولهلمينا: "اني لن أضع قدمي أبداً في مكان شهد جلوس النازيين في غرفي وقاعاتي. أحرقوا هذه الاماكن حتى تترمد".

وكانت الملكة، مثلها في ذلك مثل زوج ابنتها، تتوقع أن يتم تحرير هولندا بسرعة. أما الآن فان احتمال اخفاق عملية ماركت غاردن جعل الاسرة المالكة تخشى "الانتقام الرهيب الذي سيفرضه الالمان على الشعب الهولندي لترحيبه بقوات الحلفاء". وكان كل ما يستطيعه الامير برنارد وأركان حربه "الانتظار والامل، بعد ان ملأ سير الاحداث نفوسنا مرارة واحباطاً. فلم يدر في أذهاننا أبداً أن مثل هذه الاخطاء الباهظة الثمن يمكن ان ترتكب في القمة، على يد القيادة العليا". وكان مصير هولندا نفسها يزيد من مخاوف برنارد، "لأنني كنت أعلم أنه اذا اضطر البريطانيون الى التراجع عند آرنهيم، فستكون النتائج التي يتحملها الشعب الهولندي على ايدي الالمان رهيبة ومخيفة".

قرار مرير

كان واقع الحال عند آرنهيم أسوأ كثيراً مما يتصوره أي انسان، لأن جميع الاتصالات اللاسلكية انقطعت لأسباب غير مفهومة منذ الساعات الاولى للمعركة، فانعدمت وسائل السيطرة على المعركة لدى قائد الفرقة المظلية الاولى التي اسندت اليها المهمة الحاسمة الخاصة بالاستيلاء على جسر آرنهيم، وأصبح هذا القائد، وهو الميجور جنرال روبرت أوركوهارت، العملاق الاسكوتلندي الذي يتجاوز طوله ١٨٣ سنتيمتراً ويزيد وزنه على ٩٠ كيلوغراماً، غير قادر على توجيه وحداته المختلفة. وزاد الامور سوءاً ان الجهود التي بذلها لمعرفة ما يجري على أرض المعركة انتهت به

الى الانحصار وسط معمعان القتال، فلجأ الى غرفة عليا في منزل صغير. وعندما تمكن في آخر الامر من الافلات، صباح يوم ١٩ سبتمبر (أيلول)، كان اتصاله بقواته قد بقي مقطوعاً طوال ٣٩ ساعة حاسمة.

ووصل الجنرال أوركوهارت الى مقر قيادته في فندق هارتنستاين في ضاحية أوستربيك، وحاول، بأقصى ما لديه من جهد، انقاذ من بقي من رجاله. وكانت نظرة واحدة الى الخريطة كافية لتنبيء بالموقف اليائس. فلم يكن هناك أي خط أمامي، وكانت الاسهم الحمراء في كل مكان تشير الى ما تحمله التقارير الاخيرة من أنباء التجمعات الجديدة لدبابات العدو وجنوده. وبدا أن بعض هذه التجمعات يتخذ مواقعه فعلا خلف الوحدات البريطانية.

وكان يوم ١٩ سبتمبر (أيلول)، الذي وصفه أوركوهارت بأنه "مظلم ومميت"، نقطة التحول. فقد أخفقت كل محاولة: قوات الدعم لم تصل من انكلترا بسبب سوء الاحوال الجوية في المطارات. اسقاطات المؤن والذخائر تمت وفقاً للخطة الموضوعة، لكن معظمها سقط في المناطق التي يحتلها الالمان. الكتائب الاخرى لحقت بها خسائر باهظة في محاولتها بلوغ كتيبة فروست. وكان احصاء قوات أوركوهارت الباقية ينبيء بوضع مخيف:فطوال ليلة ١٩ سبتمبر (أيلول)، أخذت الكتائب التي لا تزال على اتصال بالقيادة تقدم تقارير عن أحوالها. وعلى رغم ان الارقام كانت تقريبية وغير دقيقة، الا أنها أعطت صورة قاتمة. فقد بدا منها ان فرقة أوركوهارت على وشك ان تباد.

وكانت كتيبة فروست الثانية وحدها هي التي تقاتل كوحدة منسقة متماسكة، وان يكن أوركوهارت لا يعلم عدد الرجال الباقين فيها. وكان قد بقي في الكتيبة الثالثة خمسون رجلا وقتل قائدها، وانخفض عدد أفراد الكتيبة الاولى الى ١١٦ رجلا، بينما جرح قائدها وأسرة الالمان. أما الكتيبة الحاديةعشرة فتضاءل عديدها الى ١٥٠ رجلا، ولم يبق في كتيبة ساوث ستافورد شير الثانية سوى ١٠٠ رجل، وقد جرح القائدان في كلتا الوحدتين. وأصبحت قوة الكتيبة العاشرة ٢٥٠ رجلا، وقوة الكتيبة ١٥٦ اقتصرت على ٢٧٠ رجلا. ومع أن القوة الاجمالية لفرقة أوركوهارت - بما فيها وحدات المهندسين والخدمات - كانت تضم أكثر من ذلك، الا ان كتائب الهجوم فيها أوشكت على التلاشي. وفضلا عن ذلك، فان جنود هذه الوحدات المهاجمة كانوا متناثرين في جماعات صغيرة نال منها العياء والصدمة واختفاء قادتها في أحيان كثيرة.

وكان القتال دامياً وعنيفاً الى حد انهار معه رجال من المحاربين القدماء الذين صقلتهم المعارك الكثيرة. وشعر أوركوهارت ورئيس أركان حربه بأن هناك جواً من الذعر يتسرب الى مقر القيادة عندما راحت جماعات صغيرة من الجنود الذين تاهوا عن وحداتهمتجري عبر الحشائش المنبسطة في ساحة فندق هارتنستاين وهي تصيح:"الالمان قادمون!" وكان أولئك الجنود، في معظم الاحيان، من صغار السن

"الذين خانتهم موقتاً السيطرة على النفس"، كما قال أوركوهارت لاحقاً.

وتتابعت الاوامر طوال ليل ١٩ سبتمبر (ايلول)، صادرة الى القوات كي تنسحب داخل قطاع اوستربيك. وفي الساعات الاولى من صباح ٢٠ سبتمبر (أيلول)، صدرت التعليمات الى البريغادير جون هاكيت بالتخلي عن هجومه المعتزم في اتجاه جسر آرنهيم. وقال أوركوهارت في ما بعد: "لقد كان اتخاذ ذلك القرار أمراً بالغ الايلام، لأنه كان يعني التخلي عن الكتيبة الثانية التي تقاتل عند الجسر. لكنني كنت أعرف ان فرصة الوصول اليهم مستحيلة تماماً، مثل فرصة الوصول الى برلين". وكان رأيه هو ان الامل الوحيد ينحصر في اقامة حاجز دفاعي ومحاولة الصمود فيه حتى تبلغهم دبابات الجيش الثاني.

وفي الثامنة من صباح ٢٠ سبتمبر (ايلول)، اتيحت الفرصة لاوركوهارت كي يوضح الموقف أمام فروست والميجور فريدي غاو عند الجسر. فقد استخدم غاو توصيلة راديو ارتجالية تمكن عن طريقها أخيراً من الاتصال بقيادة الفرقة. وكانت تلك المرة الاولى التي يتحدث مع أوركوهارت منذ ١٧ سبتمبر (أيلول). ورسم غاو صورة سريعة للموقف عند الجسر، وقال: "ان الروح المعنوية لا تزال عالية، ولكننا نفتقر الى كل شيء". وبعد ذلك، كما يتذكر اوركوهارت، "سأل غاو ما اذا كان يمكنهم ان يتوقعوا قوات دعم".

ولم يكن الرد سهلاً. ويتذكر اوركوهارت: "قلت له اني لست واثقاً مما اذا كانت المسألة هي ان نصل نحن اليهم او أن يصلوا هم الينا". ثم جاء فروست على الخط، فطلب منه أوركوهارت "ابلاغ كل فرد في القوة خالص تهنئتي وتقديري لما بذله من جهد رائع". ولم يكن ثمة ما يقال بعد ذلك.

"سأقتلك فوراً"

حدث ما توقعه الهولنديون، ووجدت دبابات الجيش الثاني — الفيلق الثلاثين — ان المتاعب أخذت تحيق بها منذ البداية، لأن المدافع الالمانية المستورة جيداً جعلت التقدم السريع الذي توقعه مونتغومري أمراً مستحيلا ما لم يؤت بالمشاة الى المقدم ليتولوا تطهير الارض من مكامن العدو. وأضيف الى ذلك ان الالمان نسفوا الجسر الذي يعبر قناة ولهلمينا عند بلدة زون، ولم تتيسر اقامة جسر موقت من قطاعات معدنية لتواصل عليه الدبابات تقدمها الا صباح ١٩ سبتمبر (أيلول)، وهو اليوم الذي دخلت قوات أوركوهارت أحرج مراحل القتال. وكان معنى ذلك ان فترة تأخر القوات المدرعة عن موعد تقدمها بلغ ٣٦ ساعة كاملة.

ولم يكن في استطاعة أحد في هذا القطاع من الممر أن يتصور آنئذ مدى تأثير ذلك التأخير على العملية كلها، كما ان المستقبل القريب كان يخفي ما هو أسوأ من ذلك. فقد كان الجسر الكبير الممتد عبر نهر فال عند بلدة نيجميغين على مسافة ٥٥ كيلومتراً الى الشمال، لا يزال في أيدي الالمان. وكان قادة قوات المظلية يخشون ان ينسفه الالمان هو الآخر ما لم يتم الاستيلاء عليه بسرعة. وكان السبب الوحيد الذي أقعد الالمان عن

نسفه حتى ذلك الوقت ان الفيلد مارشال الالماني فالتر موديل أمر بابقائه مفتوحاً لتيسير القيام بهجوم مضاد.

وتتابع مرور الدبابات الهادرة، تراقبها أعين جنود الميجور جنرال ماكسويل تيلور، قائد الفرقة المظلية (١٠١)، وقد ملأ صدورهم الفخر بما أنجزوه. فقد تمكن الامريكيون بعد هبوطهم بالمظلات من احتلال قطاع يبلغ طوله ٢٥ كيلومتراً من الطريق الممتد من ايندهوفن الى فيغيل، وحمايته ضد مقاومة عنيفة غير متوقعة. وكان الرجال على طول الطريق يلوحون ويهتفون للكتلة الجبارة من مدرعات الفيلق الثلاثين البريطاني وهي تندفع أمامهم في سبيلها. وخلال دقائق معدودة، كان طابور الفيلق قد تحرك من بلدة زون الى بلدة فيغيل، وواصل سيره بتلك السرعة التي توقعتها خطة مونتغومري للعملية كلها. فمضى رأس الحربة المدرعة في سبيله وسط جموع الهولنديين الهاتفين الملوحين بالاعلام، حتى بلغت بلدة غرافي في الثامنة والنصف صباحاً. وهناك تحقق الاتصال بين قوة الدبابات وقوة البريغادير جنرال جيمس غافين التي تتألف من الفرقة المظلية ٨٢. ويتذكر العريف وليم شينيل الامر قائلا: "عرفت أننا وصلنا اليهم لأن الامريكيين أوقفونا باطلاق نار الانذار، احتياطاً لأي مفاجأة غير مستحبة".

وواصلت القوات تحركها بسرعة، فبلغت أولى الدبابات ضواحي بلدة نيجميغين عند الظهر، وبذلك تم فعلا عبور ثلثي مسافة الممر الحيوي.

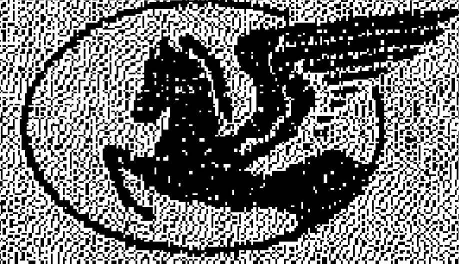
لكن الضغوط كانت تتصاعد على طول الكيلومترات الخمسة والعشرين التي تحميها الفرقة (١٠١)، المسماة "النسور الصارخة"، التي يقودها الجنرال ماكسويل تيلور، الى حد ان جنود الفرقة أطلقوا على قطاعهم هذا اسم "الطريق الجهنمي". وكان واضحاً أن العدو يهدف الى عزل الدبابات التي تؤلف رأس الحربة المدرعة، معتمداً في ذلك اتخاذ بلدة بيست قاعدة له. وفي النهاية، قام الجنرال تيلور عصر ١٩ سبتمبر (أيلول) بدفع الفوج ٥٠٢ بأكمله ليتولى تطهير القطاع من الالمان. وبوغت العدو بهذا الهجوم الذي خسر فيه الالمان أكثر من ٣٠٠ قتيل وما يزيد على الالف أسير.

وحدثت خلال معركة بيست احدى الوقائع التي لا تنسى في العملية كلها. فبينما كانت الصفوف الطويلة من أسرى الالمان تساق الى قيادة الفرقة، راح الرقيب تشارلز دوهن، الذي يبلغ من العمر (٣١ عاماً)، يبحث عن ضابطه، النقيب ليغراند جونسون. وكاد دوهن خلال وجودهم في انكلترا، قبل الانزال الجوي، ان "يفقد وعيه من القلق"، ولم يكن ضابطه النقيب جونسون، ذو الاثنين والعشرين عاماً، أحسن منه حالا.

وكان النقيب جونسون، صباح ١٩ سبتمبر (أيلول)، اندفع بسريته الى مهاجمة الالمان قرب بلدة بيست. وفي المعركة الشرسة التي اعقبت ذلك، والتي يتذكرها جونسون بأنها "كانت أسوأ ما رأيت أو سمعت به من معارك"، أصابته رصاصة في كتفه

حزيران - تموز (يونيو - يوليو) ١٩٨٠
شعبان - رمضان ١٤٠٠

المختار



من ريدرز دايجست

وفروا ٥٠٪

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون ريدرز دايجست في ١٨٠ بلداً بـ ١٥ لغة

لبنان ٤٥٠ق - سورية ٦٠٠ق - الاردن ٥٠٠ف - الكويت ٥٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٦د - قطر ٦ر - البحرين ٦٠٠ف - السعودية ٦ر - مصر ٥٠٠م - السودان ٥٠٠م - ليبيا ٦٥٠د - اليمن الجنوبية ٦ر - مسقط ٦ر - العراق ٦٠٠ف - تونس ٧٠٠م - المغرب ٣د - الجزائر ٧د - فرنسا ٧ف - انكلترا ٧٥ب - اليونان ١٠٠د - كندا واميركا الشمالية ٢د

اليسرى. وبعدما أنقصت الاصابات عدد سريته من ١٨٠ الى ٣٨ رجلا وحوصروا في حقل مليء بأكوام التبن المشتعلة، ظل جونسون يصد الالمان حتى تمكنت السرايا المعاونة من اجلاء المصابين الاحياء.

وبينما كان جونسون يستند على أحد المعاونين متجهاً الى وحدة للاسعاف الاولي، اصابته رصاصة أخرى أخترقت رأسه هذه المرة. وترتب على ذلك أنه، حين بلغ محطة الاسعاف الاولى، وضع جسمه بين المصابين بجروح مميتة،في ما يسميه جنود الخدمة الطبية "كومة الموتى". وهناك، بعد بحث طويل، عثر عليه الرقيب دوهن، فركع الى جانبه يفحصه. وما لبث ان أيقن أن في ضابطه رمقاً من الحياة.

وحمل دوهن الجسد المرتخي ومدده مع أربعة مصابين آخرين من سريته في سيارة جيب، ومضى نحو مستشفى الميدان في بلدة زون. وقطع عليه طريقه ظهور الالمان، فقاد السيارة الجيب داخل الغابة، حيث اختبأ حتى غابت الدورية الالمانية عن البصر، فخرج مواصلا طريقه.

وعندما بلغ المستشفى، وجد طوابير طويلة من المصابين الذين ينتظرون أدوارهم في العلاج. وكان دوهن موقناً من أن جونسون قد يموت في اي لحظة، فتجاوز صفوف المنتظرين حتى وصل الى أحد الجراحين، وقال له:"سيدي الرائد، ان ضابطي يحتاج الى العلاج فوراً". فهز الرائد الجراح رأسه وقال:"آسف أيها الرقيب. لا بد له من أن ينتظر دوره". فعاود دوهن المحاولة قائلا:"انه سيموت يا سيادة الرائد اذا لم تفحصه على الفور". لكن الجراح قال بحزم:"ان أمامنا هنا رجالا كثيرين. وسنعتني بضابطك حالما يأتي دوره".

عندئذ أخرج دوهن مسدسه (عيار ٤٥) ورفع زناده، وقال بهدوء:"ان ذلك لا يكفل السرعة اللازمة. وسأقتلك يا سيدي الرائد على الفور حيث تقف الآن ما لم تفحصه حالا". فحملق الجراح في وجه دوهن مذهولا، ثم قال:"أئتني به".

ووقف دوهن في غرفة العمليات ممسكاً بمسدسه، بينما أخذ الجراح، بمعاونة فريق طبي، يعمل على جروح جونسون. وبعدما أزيلت الرصاصات من جسم النقيب وضمدت جروحه، تقدم دوهن من الجراح وسلمه مسدسه قائلا:"حسناً. شكراً جزيلا. يمكنك الآن ان تقبض علي".

وأعيد دوهن مخفوراً الى قيادة الكتيبة حيث سيق أمام قائدها، فوقف معتدلا وقفة عسكرية في وضع الانتباه. وحين سئل عما اذا كان يدرك جسامة ما ارتكبه، وأن عمله ذاك يشكل جريمة تستحق المحاكمة العسكرية، أجاب:"نعم يا سيدي، أعرف ذلك". فأخذ القائد يتمشى جيئة وذهاباً، ثم توقف فجأة وقال:"أيها الرقيب، انني أضعك رهن الاعتقال". ونظر الى ساعته واستطرد:"لمدة دقيقة واحدة بالضبط". ووقف الرجلان ينتظران بصمت، ثم نظر القائد الى دوهن وقال:"انصراف! ارجع الآن الى وحدتك". فحياه دوهن تحية عسكرية

رائعة وأجاب: "نعم يا سيدي". وانصرف.

"كابوس حقيقي"

كان آخر عائق مائي بين الدبابات وآرنهيم يقوم عند نيجميغين، حيث يوجد جسران - أحدهما لمرور القطارات والثاني للسيارات - يمتدان عبر نهر فال الذي يبلغ اتساعه نحو ٤٠٠ متر. وفي ١٧ سبتمبر (أيلول)، لم يكن لدى الالمان سوى بضعة جنود يحرسون مشارف الجسرين. ولكن مع حلول عصر التاسع عشر، قدر الجنرال غافين ان في مواجهته عدداً يزيد على الخمسمئة من رماة "س - س" الالمان، يحتلون مواقع ملائمة وتعاونهم المدفعية والمدرعات.

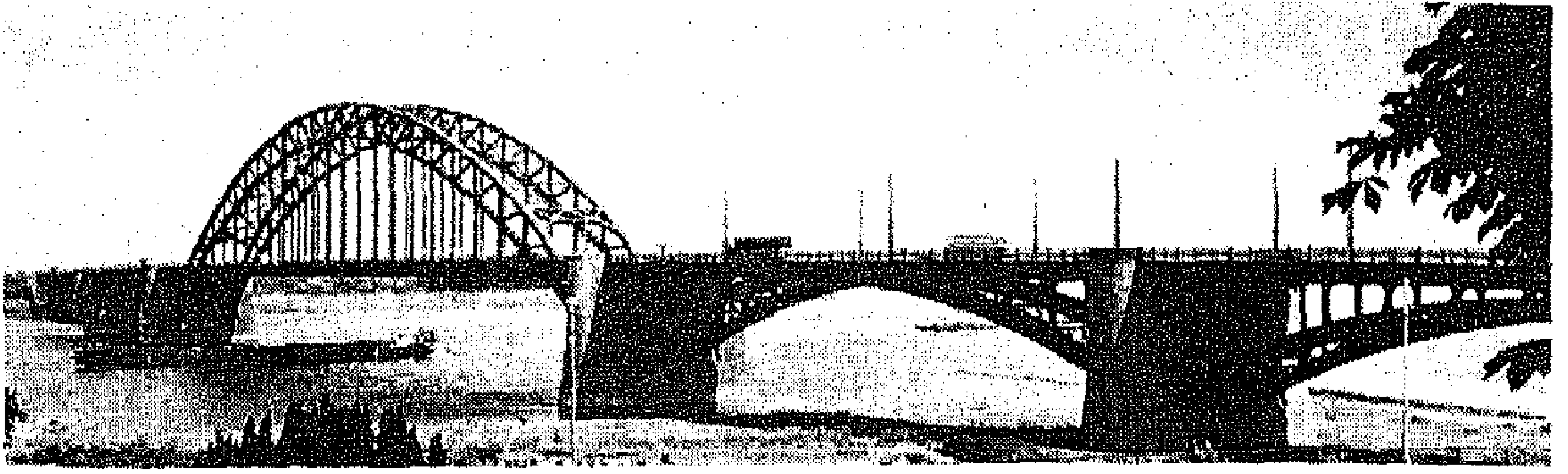
وقال غافين مخاطباً مجموعة من الضباط البريطانيين والامريكيين: "هناك طريقة واحدة للاستيلاء على الجسر، وهي أن نهاجمه من الجانبين في وقت واحد".

وكانت خطة غافين تقضي بارسال قوة تحملها القوارب عبر النهر عند نقطة تبعد نحو ٨٠٠ متر أسفل المجرى، مع مواصلة الهجوم في الوقت نفسه للاستيلاء على المشارف الجنوبية للجسر، على ان تتولى القوات العابرة بعد ذلك، تحت ستار من نار الدبابات، اقتحام خطوط دفاع العدو على الجانب الشمالي للجسر قبل ان يتمكن الالمان من ادراك ما يحدث بالضبط.

لكن المباغتة الكاملة كانت أمراً غير ممكن، اذ ان النهر أعرض من ان يتيح نقل حمولة القوارب من الرجال من غير ان يلحظهم احد. كما ان الضفة على الجانب البعيد كانت مكشوفة تماماً الى حد يفرض على الجنود، بعد العبور، اختراق مسافة عرضها ٣٠٠ متر من الارض المسطحة العارية. وعلى رغم أنه كان متوقعاً حدوث نسبة مرتفعة من الاصابات في البداية، الا ان غافين رأى أن هذه الاصابات ستكون، مع ذلك، أقل مما يمكن حدوثه اذا استمرت هجمات المواجهة ضد مشارف الجسر الجنوبية حتى يتم اجتياحه.

وكانت المشكلة العاجلة تتعلق بتأمين القوارب. وبحث الجنرال برايان هوروكس، قائد الفيلق الثلاثين، في أمر هذه القوارب مع مهندسيه، فعلم أنهم يحملون معهم ٢٨ قارباً خفيفاً مصنوعاً من القماش السميك وألواح الخشب الرقيق. وتقرر الاسراع في حمل هذه القوارب الى نيجميغين ليلا. واذا أمكن تنفيذ الخطة في الوقت المناسب، فان هجوم غافين البرمائي، الشبيه بهجوم النورماندي على نطاق صغير، سيجري عبر نهر فال في الاولى من بعد ظهر ٢٠ سبتمبر (أيلول). ولم يكن سبق لجنود المظلات أن حاولوا مثل هذه العملية القتالية. لكن خطة غافين كانت تتيح، كما يبدو، أفضل أمل للاستيلاء على جسر نيجميغين سليماً. ويمكن بعد ذلك، كما كان الجميع لا يزالون يعتقدون، القيام باندفاع آخر سريع على طول الجزء الباقي من الممر والالتقاء مع القوات المقاتلة في آرنهيم.

وفي صباح ٢٠ سبتمبر (ايلول)، كان المظليون المنتظرون يزحمون المنطقة على مسافة قليلة من موقع



صورة التقطت في العام ١٩٦٤ لجسر نيجميغين.

العبور، أسفل المجرى من جسر السكة الحديد عند نيجميغين. وكان الجنود الامريكيون والبريطانيون واصلوا العمل طوال الليل لتوسيع المساحة المؤدية الى ضفة النهر كي تتمكن دبابات الفيلق الثلاثين ومدفعيته الثقيلة من احتلال مواقع لاطلاق النار بغية دعم الهجوم. وكان من المقرر ان تحلق طائرات تيفون على علو منخفض فوق الضفة الشمالية قبل ساعة الصفر بنصف ساعة لتغرق المنطقة كلها بنار الصواريخ والرشاشات، على ان تتولى الدبابات والمدفعية من مواقعها الارضية قذف الموقع مدة ١٥ دقيقة أخرى، تنشر الدبابات بعدها ستاراً من الدخان تنطلق في ظله الموجة الاولى من الرجال بقيادة الميجور جوليان كوك البالغ ٢٧ عاماً، لتقوم بواحدة من أجرأ عمليات عبور الانهار في التاريخ.

ووقف كوك في الطابق التاسع لمحطة مجاورة لتوليد الطاقة يراقب الضفة الشمالية عبر منظار، فرأى وراء الضفة المنبسطة رصيفاً منحدراً لسد مائي يرتفع بمقدار أربعة أمتار ونصف متر الى ستة أمتار. ورأى بوضوح جنود الاعداء في مواقعهم على طول أعلى السد. ويتذكر كوك ان الفكرة التي راودته آنذاك كانت "ان شخصاً ما تفتق ذهنه عن كابوس حقيقي".

ولم تصل القوارب في الموعد المقرر، فأعيد تحديد موعد الهجوم للساعة الثالثة عصراً. لكن الساعة بلغت الثانية عصراً من غير ان يظهر اي أثر للقوارب. ولم يعد الوقت يسمح بوقف هجوم اسراب طائرات تيفون التي بدأت تقترب فعلا. وفي تمام الثانية والنصف عصراً، بدأت الطائرات ضربتها. وانطلقت تبرق في السماء فوق الرؤوس لتنقض واحدة بعد أخرى مطلقة صواريخها ونار مدافعها الرشاشة على مواقع العدو. وبعد عشر دقائق وصلت الشاحنات الثلاث التي تحمل القوارب. فرأى رجال كوك للمرة الاولى - وكان ذلك قبل موعد العبور بعشرين دقيقة فقط - الزوارق الهوائية الخضراء الهشة التي ستحملهم.

كان طول الزورق يقل عن ستة أمتار وله قاع مسطح مقوى بألواح من الخشب الرقيق العريض. وكانت

جوانبه المصنوعة من القماش السميك مثبتة في أماكنها بدعائم خشبية يبلغ ارتفاع كل منها ٧٥ سنتيمترا. وكان المفروض ان يكون كل زورق مزودا بثمانية مجاذيف. لكن عددا كبيرا من الزوارق لم يكن فيه سوى مجذافين، مما كان يعني ان على الرجال استخدام قواعد بنادقهم للتجذيف.

وسارع المهندسون الى بدء عملية تركيب الزوارق. ولدى فراغهم من تركيب أحدها، كان المظليون المختصون يحملون اليه معداتهم ويتأهبون للاندفاع به الى مياه النهر. وتم تجميع القوارب كلها أخيراً وسط ضجيج القذف بالنار الموجهة الى الضفة البعيدة. ويتذكر الملازم أول باتريك مولوي أن "شخصاً ما صاح قائلا: انطلقوا! فأمسك الجميع بجوانب زوارقهم وأخذوا يسحبونها نحو مياه النهر".

الا انه عندما وصلت الموجة الاولى، التي يبلغ عددها ٢٦٠ رجلا، الى حافة النهر، بدأت عملية العبور تتخذ شكل الكارثة. فقد وضع بعض الزوارق في مياه ضحلة أكثر من اللازم، فالتصقت بطين القاع وتعذر تحريكها. وأخذ الرجال يكافحون ويتخبطون في المياه الموحلة ليحملوها الى مواضع أعمق. ودفعوها نحو وسط المجرى ثم تسلقوا ليعتلوها، لكن بعض الزوارق انقلب خلال محاولة الجنود رفع أنفسهم اليها. وكان بعض الزوارق الاخرى المثقلة بأحمالها قد وقع في قبضة التيار وبدأ يدور حول نفسه وتعذرت السيطرة عليه. وغرقت زوارق أخرى تحت وطأة شحناتها. ووسط هذا الارتباك الشامل، فتح الالمان نارهم.

وبلغت كثافة النار وتركيزها درجة أعادت الى ذهن الملازم مولوي "ذكرى أسوأ ما واجهناه في بلدة آنزيو لدى هبوط قوات الحلفاء على ساحل ايطاليا فقد كان الالمان يطلقون نارهم بالرشاشات الثقيلة ومدافع الهاون موجهين الجانب الاكبر منها من أعلى رصيف السد على الضفة المقابلة ومن جسر السكة الحديد. وأحسست فعلا بأني هدف ثابت لهم". وأصيب القسيس ديلبرت كويهل بالغثيان لفظاعة ما شاهده. فقد انفجر رأس الرجل الجالس الى جواره، بينما ظل كويهل يردد: "لتكن مشيئتك يا رب".

وراحت شظايا القذائف تمزق الاسطول الصغير. وغرق الزورق الذي يحمل نصف قوة الملازم جيمس ميغيلاس من غير ان يترك أثراً أو ينجو من ركابه أحد. وتساقطت النار حول زورق النقيب موفات بوريس وكأنها الوابل. وأخيراً قال المهندس الذي يتولى توجيه الزورق: "أمسك الدفة، فقد أصبت". واشتبكت قدم المهندس بمؤخر الزورق خلال سقوطه الى الماء، فأخذ الزورق يدور حول نفسه. واضطر النقيب بوريس الى دفع جثة المهندس بعيداً في الماء، وقتل رجلان آخران في زورقه قبل ان يتمكن من انهاء ذلك.

وأخيراً وصلت الموجة الاولى من المهاجمين الى ضفة النهر الشمالية. وكان اللفتنانت كولونيل جايلز فاندلير يراقب عملية الانزال، فرأى زورقاً أو اثنين يصلان الى الضفة، وخلفهما ثلاثة زوارق أو أربعة اخرى.



الفرقة المظلية ٨٢ تتحرك عبر اطلال بلدة نيجميغين٠

ولم يتوقف أحد، بل خرج الرجال من زوارقهم وبدأوا يركضون على الفور نحو رصيف السد٠ لقد كان حقاً مشهداً لا نظير له من مشاهد الجسارة والاقدام! فقد مضى الرجال يعبرون تلك الارض المكشوفة باصرار، ولم أر واحداً منهم يتوقف أو ينبطح أرضاً الا اذا أصيب٠ وفي ظني أن القوة التي عبرت لم تزد على نصف أسطول الزوارق"٠ ثم رأى فاندلير ما أذهله:"فقد استدارت الزوارق عائدة لكي تحمل الموجة الثانية"٠ والتفت الجنرال فريدريك براونينغ الى الجنرال هوروكس وقال:"هذه أجرأ عملية رأيتها في حياتي كلها"٠

الى الجسرين

بينما كان زورق الهجوم الذي يستقله الرائد جوليان كوك يقترب من الضفة الشمالية للنهر، رأى كوك الى يمينه حركة في المياه الرمادية العكرة٠ "ورأيتني أنظر الى ما يشبه فقاعة هوائية كبيرة تتحرك بثبات نحو الضفة، فظننت ان خيالي جمح بي٠ وعندئذ انشق الماء عن قمة خوذة بقيت تتحرك الى الامام، ثم ظهر تحت الخوذة وجه رجل عرفت فيه الجندي جوزف جدليكا من مجموعة المدافع الرشاشة٠ ورأيته يخرج من الماء بجسمه الصغير وقد التفت حول كتفيه أشرطة من طلقات المدفع

الرشاش، وفي كل من يديه صندوق مليء بالطلقات أيضاً". وكان جدليكا سقط في مياه عمقها مترين ونصف متر قبل ان يصل زورقه الى الضفة. فما كان منه الا ان حبس أنفاسه ومضى يمشي بهدوء فوق قاع النهر حتى خرج من الماء.

ووسط الدخان والضجيج والارتباك الشامل، لم يتمكن بعض رجال الموجة الاولى من تذكر طريقة عبورهم المنطقة المكشوفة على الضفة. وعلى سبيل المثال، فان العريف جاك بومر، المختص بالاتصالات والاشارة، كان مثقلا بالمهمات، فمضى بكل بساطة يركض الى الامام، "وفي ذهنه أمر واحد: أن يظل حياً اذا استطاع". وكان يعرف أن عليه بلوغ رصيف السد وانتظار المزيد من التعليمات. وعندما بلغ قمة الرصيف رأى "الجثث في كل مكان. وكان الجنود الالمان - وبعضهم لا يزيد عمره على ١٥ عاماً والبعض الآخر جاوز الستين - الذين أمعنوا فينا قتلا قبل بضع دقائق ونحن في الزوارق، يصرخون طالبين الرحمة وهم يحاولون الاستسلام كأسرى حرب". لكن المهاجمين كانوا تحت تأثير الصدمة العنيفة والغضب الشديد بسبب المحنة التي مروا بها مع زملائهم الذين رأوهم يموتون تحت أبصارهم، فلم يأخذوا كثيراً من الإسرى. ويتذكر بومر "ان بعض الالمان قتلوا رمياً بالرصاص على الفور من مسافات قريبة جداً".

ولم تتمكن الموجة الاولى من اجتياح جميع مواقع العدو. لكن العديد من رجالها أصبحوا قابعين في مواقع المدافع الرشاشة التي كان يشغلها الالمان من قبل، مما أتاح لهم المساهمة في حماية وصول الموجات التالية. وقد فقد زورقان آخران في عملية العبور الثانية. لكن المهندسين، على رغم العياء الشديد ووابل القذائف المنصب عليهم، تمكنوا من القيام بخمس رحلات أخرى في الزوارق الاحد عشر الباقية، أنجزوا فيها نقل جميع الجنود عبر نهر فال الدامي. وأصبحت السرعة أهم عنصر بعد ذلك، اذ كان على رجال كوك الاستيلاء على أطراف الجسرين الشمالية قبل ان يتنبه الالمان لما حدث، وقبل ان ينسفوا الجسرين.

وكان الالمان آنذاك ينسحبون الى مواقع ثانوية. لكن جنود كوك لم يتركوا لهم اي فرصة بل اندفعوا وراءهم بلا هوادة ولا شفقة. ويعلق النقيب هنري كيب على ذلك: "بدا ان الباقين من رجال الكتيبة تملكتهم حمى الهياج وأفقدهم الغضب كل وعي، فنسوا معنى الخوف الى حين. ولم يحدث أن رأيت أبداً - لا قبل ولا بعد - تحولا بشرياً عنيفاً وحاداً كالذي رأيته اليوم. لقد كان مشهداً رهيباً، لكنه لم يكن جميلا على الاطلاق".

ومضى الجنود بنجاح كبير يرغمون الالمان على الخروج من جحورهم ومواقعهم ويواصلون هجومهم الساحق من دون أن يتوقفوا للراحة أو لاعادة التجمع. وواصلوا القتال في الحقول والبساتين والمنازل القائمة وراء رصيف السد، تحت نار الرشاشات وبطاريات المدافع المضادة للطائرات التي صوبت اليهم. وفي الوقت

نفسه، انطلقت بعض الوحدات من السريتين تسابق الريح في عدوها نحو الجسرين.

وعند جسر السكة الحديد، جوبهت السرية "هـ" بدفاع شديد من الالمان بدا انه يهدد الهجوم الامريكي بالتوقف. لكن استمرار ضغط الهجوم من القوات الامريكية والبريطانية عند طرف الجسر الجنوبي وفي بلدة نيجميغين نفسها جعل دفاع العدو ينهار فجأة. ودهش النقيب كارل كابل وهو يرى الالمان يتراجعون عبر الجسر "بأعداد كبيرة"... نحو مدافع الامريكيين! وتركهم الامريكيون يقطعون ثلثي المسافة، ثم فتحوا عليهم النار. وقتل من الالمان ٢٦٠ رجلا وجرح كثيرون، ووقع العشرات منهم أسرى قبل ان يتوقف اطلاق النار. وبعد ساعتين من بدء الهجوم على جسري نهر فال، سقط أول الجسرين في أيدي المهاجمين.

واتصل النقيب كابل بالرائد كوك عن طريق الراديو ليحثه على دفع الدبابات البريطانية الى العبور بأسرع ما يمكن، اذ كان النقيب كابل والنقيب بوريس يظنان ان حصولهما على دعم هذه الدبابات يكفل لهما الاستيلاء على الغنيمة الكبرى، وهي الجسر الذي يمتد فوقه طريق السيارات. وانطلق الجنود في طريقهم من غير ان يترددوا لحظة واحدة.

كان الدخان المتصاعد يحجب منظر نهر فال البعيد في ضوء الغسق عندما أخذ الجنرال الالماني هاينز هارمل يحملق عبر منظاره، محاولا رؤية ما يجري من موقعه الامامي قرب بلدة لينت حيث جاء الى الجنوب من آرنهيم. وكانت المدافع تزأر حوله في كل اتجاه، والجنود يتحركون متراجعين خلال البلدة ليتخذوا مواقع جديدة. وكانت أسوأ مخاوف الجنرال هارمل قد تحققت، اذ تمكن الامريكيون، خلافاً لكل التوقعات، من عبور نهر فال بنجاح جريء ومدهش. ومن بلدة نيجميغين نفسها كان الكابتن كارل يولينغ قد أرسل الى قائده آخر رسائله المختصرة، يخبره انه محاصر ولم يبق معه سوى ستين رجلا. ولم يعد لدى الجنرال هارمل أي شك في ان الجسرين ضاعا. ولم يكن يعلم اذا كان جسر السكة الحديد قد تم نسفه أم لا. لكنه أدرك انه اذا كان يريد نسف الجسر الذي يجري عليه طريق السيارات، فلا بد له من ان يفعل ذلك على الفور.

ولم يكن هارمل اتصل بقائده الجنرال فيلهلم بيتريتش "لأنذره مقدماً بأني ربما اضطررت الى نسف جسر السيارات. وقد افترضت ان بيتريتش هو الذي أصدر الامر باعداد التدابير لنسف الجسرين". ورأى هارمل من المنطقي بناء على ذلك — وعلى رغم أوامر مودل — "أنه لو كان بيتريتش مكاني لنسف الجسر الرئيسي. وكان رأيي ان أوامر مودل بعدم نسف الجسر أصبحت على اي حال لاغية آلياً فيضوء التطورات التي حدثت". وكان يتوقع ان تظهر الدبابات البريطانية في اي لحظة على جسر السيارات.

ووقف هارمل قرب المهندس المختص الى جوار صندوق التفجير، وأخذ يفحص المعبر بدقة. ولم


دورية ألمانية قرب آرنهيم ٠

يستطع في البداية ان يكتشف اي حركة٠ وما لبث ان رأى دبابة وحيدة تبلغ منتصف الجسر، تعقبها دبابة أخرى تسير وراءها بانحراف قليل الى اليمين٠ فقال للمهندس:"استعد"٠ وظهرت في مجال النظر دبابتان أخريان٠ وانتظر هارمل حتى وصل صف الدبابات الى منتصف الجسر تماماً، ثم أصدر امره:"انسفه!"

وضغط المهندس مقبض صندوق التفجير الى أسفل، ولكن لم يحدث شيء٠ وواصلت الدبابات البريطانية تقدمها، فصرخ هارمل:"مرة أخرى!" وعاد المهندس يضغط مقبض التفجير الى أسفل، لكن الانفجارات الهائلة التي كان هارمل يتوقعها لم تحدث٠ وهو يقول مستعيداً ذلك:"كنت اتوقع رؤية الجسر ينهار والدبابات تتهاوى الى النهر٠ لكنها، بدلا من ذلك، راحت تواصل تقدمها بلا هوادة، وأخذ حجمها يزداد ضخامة وقرباً عبر المنظار"٠ وصاح هارمل مخاطباً اركان حربه الذين استولى عليهم القلق:"يا الهي! انهم سيصلون الى هنا في دقيقتين!"

وراح هارمل يصدر أوامر متتابعة الى ضباطه، فأمرهم "باقفال الطرق بين بلدتي ايلست ولينت بكل قطعة متوافرة من المدفعية المضادة للدبابات وغيرها، لأننا ان لم نفعل ذلك فسوف يواصلون طريقهم الى آرنهيم مباشرة"٠ وانتهى الى علمه في تلك اللحظة ان جسر السكة الحديد كذلك لا يزال قائماً لم ينسف٠ فازداد أسفه وقلقه، واندفع الى وحدة للراديو في أحد مواقع القيادة

القريبة، حيث اتصل بمقر قيادته المتقدم وتحدث الى ضابط عملياته قائلا: "انبىء بيتريتش بأنهم عبروا نهر فال".

وكانت الساعة بلغت السابعة والربع من مساء ٢٠ سبتمبر (ايلول)، وكانت آرنهيم على مسافة لا تتجاوز ١٨ كيلومترا.

"حفظ الله الملك"

عند جسر آرنهيم، كان التحدي الذي قامت به قلة من الشجعان في وجه الالمان أوشك على نهايته. فقد استأنف الالمان عند الفجر وابل قذائفهم الرهيب، وأخذت أكوام الحطام العاري التي كانت بيوتا ومكاتب من قبل تستقبل من جديد نار الالمان الكثيفة.

لقد كانت الشجاعة العارية وحدها سند رجال فروست حتى تلك اللحظة. وأمدتهم هذه الشجاعة المجردة بما يكفي من عزم وقوة وثبات لصد الالمان طوال ثلاث ليال ويومين، فتمكنت كتيبتهم بمفردها من تحقيق هدف فرقة انزال جوي كاملة. وثبتت في مواقعها فترة أطول مما كان مطلوبا من الفرقة أن تفعله. وطوال الساعات الحافلة بالاستماتة والقلق، في انتظار معونة لم تصل أبدا، كانت الفكرة السائدة بينهم تلك التي لخصها العريف غوردون سبايسر حين كتب: "من المتقاعس عن أداء واجبه؟ لسنا نحن!"

وقرب الظهيرة، جرح الرجل الذي صمد في تحديه للالمان بهذا العناد الاسطوري. فقد كان فروست يقابل الميجور دوغلاس كرولي حين فوجىء، كما يذكر هو، "بانفجار هائل" اقتلعه من قدميه وألقى به منبطحا على وجهه على بعد بضعة أمتار. فقد انفجرت قذيفة مدفع هاون بين الرجلين، لكنهما أفلتا من الموت بمعجزة. غير أن الشظايا مزقت كاحل فروست الايسر وقصبة ساقه اليمنى. وقام حاملو المحفات بنقل الرجلين الى الملجأ مع الجرحى الآخرين. ورأى الملازم جون بلانت أن منظر الكولونيل ممددا على محفة كان ضربة قاصمة: "فقد كان أمرا بالغ الايلام أن نراه محمولا الى الداخل على تلك الصورة، بعد ما بقي صامدا كالطود لا يهزه شيء".

واستيقظ فروست نحو السابعة مساء وقد استبد به الضيق لانه استسلم للنوم. وكان الملجأ قد امتلأ بأكثر من ٢٠٠ مصاب، وأصبحت الحرارة فيه شديدة. وطلب فروست أن يرسلوا اليه الميجور غاو. وقال له حالما رآه: "عليك أن تتولى القيادة".

كان المبنى يحترق والجرحى معرضين لخطر "الشواء وهم أحياء". وكان الرجال في جميع أنحاء الملجأ المظلم يسعلون من فرط الدخان الخانق المتسرب اليهم. وركع الدكتور جيمس لوغان، رئيس الوحدة الطبية للكتيبة، الى جوار فروست، وقال له ان الوقت حان لاخراج المصابين. واستطرد بتصميم: "لا بد لنا من الاتفاق مع الالمان على عقد هدنة موقتة يا سيدي. فنحن لا نستطيع الانتظار أكثر من ذلك". فالتفت فروست الى الميجور غاو وأمره باتخاذ التدابير اللازمة، "ولكن مع توزيع الجنود المقاتلين على مبان أخرى ومواصلة العمليات. فقد

رأيت أنه، على رغم ضياع الجسر من أيدينا، فقد كنا نستطيع مواصلة السيطرة على مشارفه لفترة أخرى قد تكون كافية لضمان وصول مدرعاتنا".

وانصرف غاو ولوغان لاتخاذ تدابير الهدنة. ثم حمل فروست الى أعلى بمعاونة جندي مظلات مصاب بصدمة القنابل، ووضع على ضفة النهر قرب الجسر الذي بذل كل ذلك الجهد المستميت حتى يبقى مسيطرا عليه. وكانت الحرائق الشديدة مشتعلة في المباني القائمة من حوله في كل اتجاه. ورأى الجنود الالمان والبريطانيين "يعملون معا بأقصى سرعة لاخراج المصابين، بينما كان ضوء اللهب يسطع على المنظر كله".

وبعد اخراج آخر مصاب بدقائق قليلة، ارتفع زئير مفاجىء ثم انهار المبنى بأكمله واستحال كومة انقاض ملتهبة. والتفت فروست الى الرائد كرولي الراقد على محفة بجانبه، وقال بصوت متعب: "حسنا يا دوج، اننا لم نفلت بالغنيمة هذه المرة، أليس كذلك؟" فهز كرولي رأسه وقال: "كلا يا سيدي، لكننا جعلناهم يشقون من أجلها شقاء عظيما".

وكانت عيون الجرحى البريطانيين مفعمة بالدهشة والحذر وهم يراقبون الجنود الالمان الذين راحوا يتنقلون بينهم بروح زمالة غير عادية ويقدمون اليهم السجائر والشوكولاته والشراب. ولاحظ جنود المظلات البريطانيون بمرارة أن معظم تلك الامدادات بريطانية، وكان واضحا ان الالمان جمعوها من الامدادات التي أسقطتها الطائرات البريطانية، لكنها وقعت في أيدي الالمان.

غير أن اليأس لم يتطرق الى من بقي سالما من رجال فروست الاشاوس. وبينما كان آخر جريح يحمل خارج الملجأ، بدأت المعركة من جديد كأشد ما كانت قبل ساعة. ويتذكر غاو ذلك بقوله: "كان كابوسا مريعا، اذ كنا حيثما التفتنا، نجد الالمان أمامنا وخلفنا وعلى الجانبين فقد تمكنوا من تسريب قوة كبيرة الى المنطقة خلال الهدنة، وأصبحوا متمركزين في كل مبنى بلا استثناء. لقد اجتاحوا موقعنا فعلا".

وكان الالمان يعرفون أن القتال انتهى، وأن كل ما بقي منه لا يزيد على عملية تطهير. وكان مما يثير السخرية أنه، على رغم وجود دبابات لهم فوق الجسر، فان تلك الدبابات كانت عاجزة عن العبور لان الحطام المتشابك فوق الجسر كان يحتاج الى ساعات طويلة لازالته. وفي النهاية، لم يمكن فتح طريق ضيق وبدء المرور عبر الجسر الا في الساعات الاولى من صباح ٢١ سبتمبر (ايلول).

ومع أول ضوء في يوم الخميس، خرج غاو ومن بقي من رجاله المبعثرين في القطاع من مخابئهم. ان القوات الرديفة لم تصل، بينما كان الالمان يعملون منهجيا على احتلال المواقع وارغام الرجال الذين نفدت ذخيرتهم على التسليم. وأخذ الجنود البريطانيون الباقون يتبعثرون فرادى أو في أزواج، محاولين الهرب من القطاع من غير أن يلحظهم أحد. وعلى هذا النحو البطيء المتحدي، بدأت بقايا المقاومة البريطانية تنتهي.

واتجه الميجور غاو الى محطة توزيع

المياه القريبة، آملا في الاختباء والراحة بعض الوقت، لكي يتخذ طريقه بعد ذلك غربا نحو القوات الرئيسية التي يقودها الجنرال أوركوهارت. وأمام محطة المياه تناهت الى سمعه أصوات ألمانية، فأسرع نحو كومة خشب وحاول أن يختفي تحتها. لكن كعب حذائه ظل بارزا من طرفها، فرآه أحد الالمان وأمسك به وسحب غاو خارجا. ويقول غاو: "كان التعب قد بلغ مني مداه، فاكتفيت بالنظر اليهم وانفجرت ضاحكا". وقاده الالمان أسيراً.

وفي غرفة مليئة بالاسرى الآخرين، أرسل ميجور الماني في طلب غاو. وعندما جيء بالضابط البريطاني، حياه الرائد الالماني تحية هتلرية وقال له: "اعتقد أنك قائد هذه القوة". فنظر اليه غاو بحذر وقال: "نعم". فقال الالماني: "أود ان أهنئك أنت ورجالك لانكم جنود أشاوس. لقد سبق أن حاربت في ستالينغراد. ولكن من الواضح أنكم، أيها البريطانيون، تملكون مقدارا كبيرا من الخبرة في قتال الشوارع". فحملق غاو في وجه الضابط الالماني وقال: "كلا. لقد كانت هذه اول محاولة لنا. وسنكون أفضل كثيرا المرة المقبلة".

وفي لحظة ما من هذه الساعات الاخيرة، أرسل أحدهم من قرب الجسر رسالة أخيرة بالراديو لم تلتقطها قيادة أوركوهارت ولا قيادة الجيش الثاني البريطاني. لكنها وصلت واضحة الى وحدة الاستماع التي يقودها اللفتنانت كولونيل فالتر هارتسر في قيادة فرقة الصدام المدرعة "س - س" التاسعة. وبعد انقضاء سنوات طويلة على الواقعة، لم يستطع هارتسر ان يتذكر الرسالة بأكملها، وان يكن قد لفتته منها الجملتان الاخيرتان فظل يذكرهما، وهما: "نفدت الذخيرة. حفظ الله الملك".

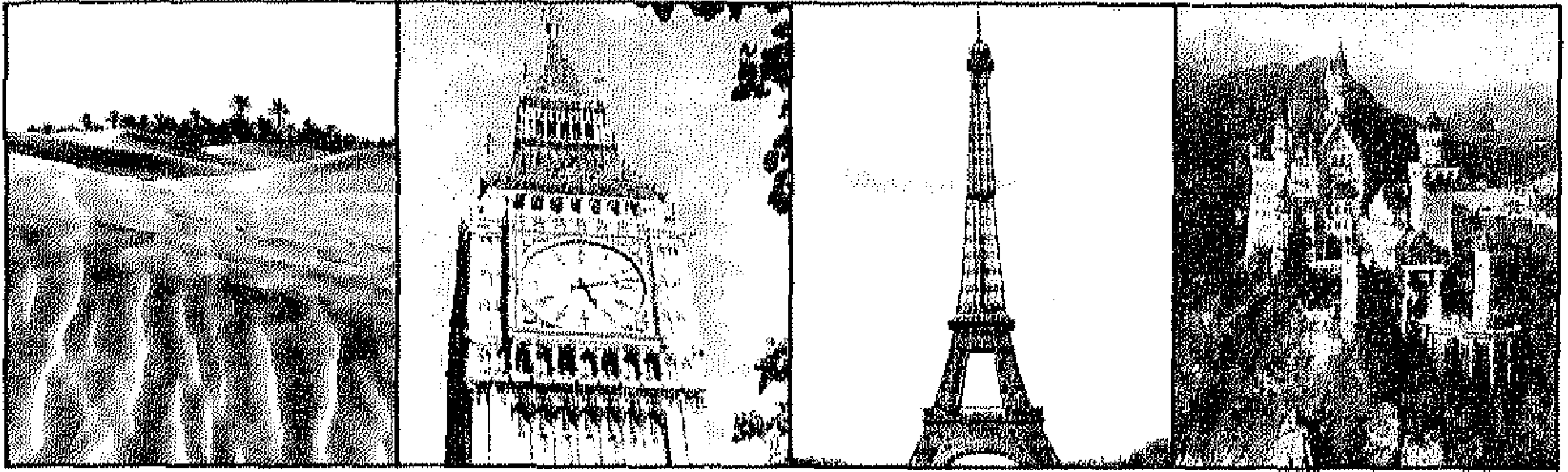
على مرمى البصر

في الساعة ١٠،٤٠ من صباح الخميس (٢١ سبتمبر (ايلول)، أبلغ النقيب رولاند لانغتون من قوة الحرس الايرلندي ان على سريته الرقم ١ أن تندفع خارجة من رأس الجسر الذي تم الاستيلاء عليه حديثا في نيجميغين كي تصل الى آرنهيم. وقال له الليفتنانت كولونيل جو فاندلير ان ساعة الصفر ستكون الحادية عشرة صباح اليوم نفسه.

وعلى رغم أن فاندلير لم يكشف عن مشاعره للكابتن لانغتون، الا أنه كان متشائما في ما يتعلق بنتيجة هذا الهجوم. فقد سبق له أن قام مع آخرين، من بينهم ابن عمه اللفتنانت كولونيل جايلز فاندلير، بعبور جسر نيجميغين لدراسة الطريق الرئيسي المتجه شمالا نحو آرنهيم. وكان الطريق في ذلك الموضع يمتد على ارتفاع ٢٥٠ سنتيمترا حتى ٣٥٠ سنتيمترا فوق أرض لينة مستصلحة من البحر على كلا الجانبين، مما جعل الامر يبدو لهؤلاء الضباط غير مبشر بأي خير. وكان أول من علق على ذلك الميجور دنيس فيتزجيرالد، الذي يلي جو فاندلير في القيادة، فقال: "سيدي، اننا لن نتمكن من التقدم مترا واحدا فوق هذا الطريق اللعين". ووافقه على كلامه جايلز فاندلير،

جنرال

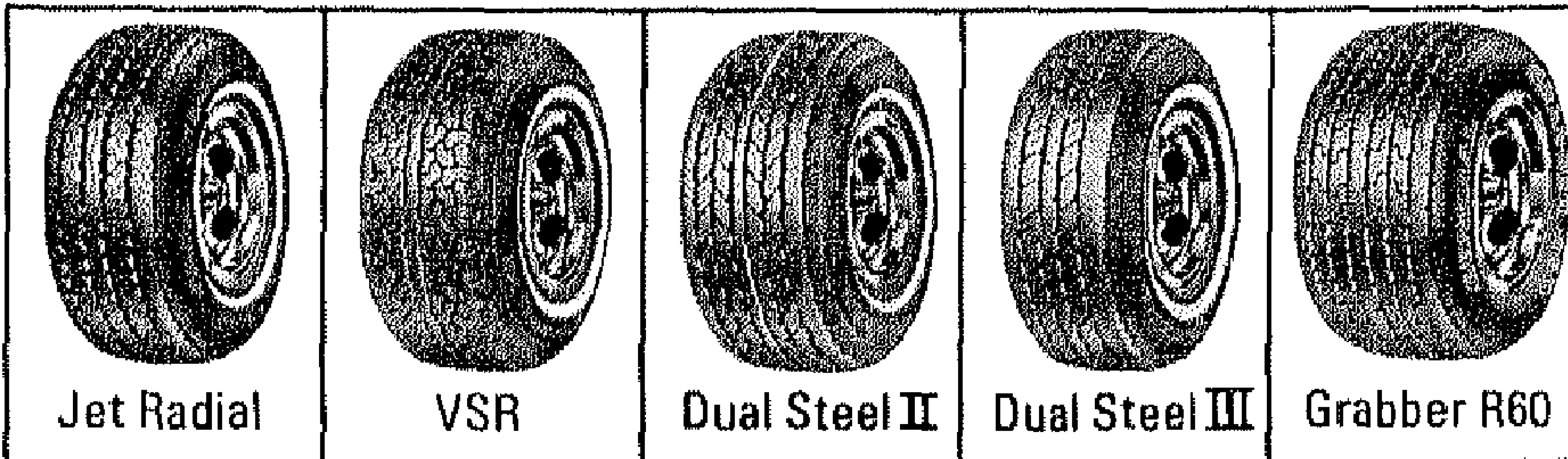
أفضل إطارات أمريكيّة
للسيّارات الأمريكيّة في كل مكان



منذ ٦٥ سنة تواصل شركة جنرال صنع الاطارات الممتازة لتلائم جميع أنواع الطرق والسيارات والاحوال الجوية في الولايات المتحدة٠
لذلك أينما وجدت نفسك في الكرة الارضية – في الشمال أو الجنوب أو الشرق أو الغرب – وأردت أن تبدل اطارات سيارتك، فكن على ثقة بأن اطارات جنرال هي الافضل٠

للحصول على معلومات وافية، تفضل بالكتابة الى:

Mr. Robert Spademan,
General Tire International Company,
One General Street, Akron, Ohio 44329.





فقال معقبا: "انه مكان لا يعقل ان يحاول أحد تسيير الدبابات فوقه".

وكان التقدم على طول الممر المراد فتحه يجري حتى تلك اللحظة في جبهة عرضها دبابة واحدة. الا انه كان من الممكن دائما اجراء المناورات والتحرك على جانبي الطريق الرئيسي. أما الموضع الذي بلغوه، فيتذكر جايلز فاندلير انه "لم يكن يتيح اي فرصة للخروج عن الطريق. فرصيف السد الذي يعلوه طريق رئيسي يوفر امكانات ممتازة للدفاع، لكنه مكان غير مناسب مطلقا للدبابات.

والتفت جايلز الى الضباط الآخرين وقال: "يمكنني أن أتخيل الالمان وهم جالسون هناك يفركون أيديهم ابتهاجا وهم يروننا قادمين". وحملق جو فاندلير في المنظر صامتا، ثم قال: "على رغم ذلك، علينا أن نحاول، مجربين حظنا مع هذا الطريق اللعين".

وفي تمام الحادية عشرة صباحا، أمسك الكابتن لانغتون بالميكروفون في سيارة الاستطلاع التي يركبها وأذاع الرسالة الآتية على وحداته بالراديو: "انطلقوا! انطلقوا! انطلقوا! لا تتوقفوا لاي سبب".

وأخذت دباباته تهدر أمام مكتب بريد بلدة لينت متجهة الى الطريق الرئيسي. وقال لانغتون لنفسه وهو يستسلم للاقدار: "إما أن نحقق ذلك الان واما لا نحققه أبداً". وبعد فترة ١٥ أو ٢٠ دقيقة بدأ يتنفس بحرية أكثر، اذ لم تصدر اي حركة من العدو. وأحس لانغتون "بشيء من الخجل لما انتابه قبل من قلق شديد".

ومضت دبابات الحرس الايرلندي تزحف باطراد. وكان النقيب لانغتون في سيارة الاستطلاع التي يستقلها يسمع صوت الملازم طوني ساموبلسون، قائد الدبابات المتقدمة، وهو يعلن أن أول عربة مصفحة تقترب الان من مشارف بلدة ايلست. ولكن عندما بلغ الحرس الايرلندي منتصف الطريق الى آرنهيم سمع لانغتون انفجارا عنيفا عن يمينه. فالتفت ورأى "عجلة دبابة شيرمان ترتفع بكسل في الهواء فوق قمم بعض الاشجار القائمة على مقربة منا". وأدرك حالا أن احدى الدبابات المتقدمة أصيبت. ولم يلبث الملازم ساموبلسون، الذي كان على مقربة من الدبابات، أن أكد حقيقة ذلك.

وتوقف الطابور فجأة. واضطربت الاقوال في رواية ما حدث، وأصبحت الاصوات التي ينقلها الراديو مشوهة ومختلطة بعدما نشبت المعركة. ويتذكر جايلز فاندلير الامر قائلا: "بدا أن هناك مقدارا كبيرا من الصياح. فأعلمت جو بأنه يحسن بي الذهاب الى الامام لارى ما يحدث".

وكان الكابتن لانغتون اتخذ طريقه نحو الامام فعلا، وهو يمر في سيارته ببطء الى جانب المدرعات الواقفة حتى بلغ منحنى على الطريق. فرأى أمامه دبابات الطليعة الاربع وقد أصيبت جميعا، بما فيها دبابة الملازم ساموبلسون وكانت تتصاعد من بعضها ألسنة النار. وكانت القذائف تأتي من مدفع ذاتي الحركة بين الاشجار الى اليسار، قرب ايلست. وما كاد جايلز فاندلير يصل حتى حاول أن يبلغ ابن عمه جو. لكن

هذا كان قد بدأ يصدر أوامره فعلا. فطلب بالراديو دعما من المدفعية، ثم رأى طائرات تيفون فوق رأسه فأمرها بالتدخل. غير ان ذلك لم يسفر عن أي نتيجة. وتبين أن جهاز الراديو معطل.

عندئذ اتخذ جو فاندلير سبيله الى الامام على الفور. وهو يسترجع الامر قائلا: "كانت الحال هناك في غاية الارتباك. وبذلنا كل المحاولات الممكنة، ولكن لم يكن هناك أي سبيل لازاحة الدبابات من الطريق والقائها على الجانب المنحدر لذلك السد اللعين. وكان دعم المدفعية الوحيد الذي استطعت الحصول عليه يتمثل في بطارية ميدان واحدة ذات بطء شديد في التصويب على الاهداف".

وقال لانغتون: "لا شك في أننا نستطيع الحصول على الدعم من مكان ما!" فهز فاندلير رأسه وقال: "أخشى أن يكون ذلك غير صحيح". فألح لانغتون بقوله: "اننا نستطيع أن نصل الى هناك، وفي امكاننا التقدم اذا حصلنا على دعم". لكن فاندلير هز رأسه مرة أخرى وقال: "آسف. عليك أن تبقى هنا حتى تبلغك أوامر أخرى".

اتضح لفاندلير أنه لا يمكن استئناف الهجوم قبل وصول وحدات جديدة من المشاة لمعاونة الحرس الايرلندي. والى أن يحدث ذلك، ستظل دبابات فاندلير منتشرة وحدها فوق الطريق العالي المكشوف.

وبذلك تمكن مدفع الماني واحد ذاتي الحركة، مصوب على الطريق العالي، من وقف طابور دبابات الاغاثة بأكمله على مسافة تقل عن عشرة كيلومترات من آرنهيم.

وفي موضع خلفي من طابور الدبابات، أمام بيت زجاجي للنبات قرب ايلست ظلت معظم نوافذه سليمة بمعجزة ما، أخذ الملازم جون غورمان يحدق بغضب الى الطريق الممتد أمامه. فقد كان غورمان، مذ بدأ طابور المدرعات تقدمه من الحدود البلجيكية، يشعر بحافز ملح على التحرك بسرعة أكبر. وقال: "لقد قطعنا المسافة كلها من النورماندي، واستولينا على بروكسل، وشققنا طريقنا بالقتال عبر نصف هولندا، وعبرنا جسر نيجميغين، وكانت آرنهيم ورجال المظلات المشتبكون فيها مع العدو على مرمى حجر منا. ومع ذلك فقد توقفنا، وها نحن على وشك أن نبلغ مرمى البصر من ذلك الجسر الاخير الدامي! انني لم أشعر قط بمثل ما انتابني آنئذ من يأس عميق".

مرجل الساحرات

كان مركز القتال قد انتقل الى بلدة أوستربيك، مقر قيادة أوركوهارت، فتلاشى هدوء البلدة الرصين وحل محله منظر ينتشر فيه الخراب وحفر القنابل وندوب الخنادق، وتنتشر في أرجائه شظايا الخشب والصلب، وتخيم عليه غمامة من تراب الطوب الاحمر والرماد. وكانت الطرق مسدودة بسيارات الجيب المحترقة وغيرها من المركبات المهشمة، وبالاشجار والابواب وأكياس الرمل وقطع الأثاث، وكذلك بأحواض الاستحمام وأجهزة البيانو. وخلف المنازل نصف المهدمة والحظائر، وعلى جوانب الشوارع وفي الحدائق المخربة، كانت تتمدد جثث الجنود

والمدنيين جنبا الى جنب. أما الفنادق التي كان يؤمها الناس للراحة والاستجمام فتحولت الى مستشفيات تقوم وسط متنزهات تتناثر فيها قطع الأثاث واللوحات الفنية والمصابيح المحطمة. وأما المظلات الملونة بالأشرطة الزاهية والتي كانت تغطي الشرفات الواسعة، فكانت تتدلى في أشرطة ممزقة قذرة.

ووسط محيط الخراب هذا، الذي أصبح الالمان يطلقون عليه اسم "مرجل الساحرات"، كان الهولنديون، الذين يراوح عددهم بين ٨٠٠٠ و١٠٠٠٠ رجل وامرأة وطفل، يكافحون للبقاء على قيد الحياة، فيزدحمون في الاقبية من دون غاز ولا ماء ولا كهرباء، وحتى من دون طعام تقريبا، مثلهم في ذلك مثل الجنود في قطاعات كثيرة. وكان هؤلاء المدنيون الهولنديون يعالجون الجرحى من المدافعين البريطانيين، ومن قاهريهم الالمان اذا دعت الحاجة ايضا.

وفي فندق شونرود، الذي استحال محطة رئيسية للعناية بالمصابين بحكم موقعه على الخط الامامي مباشرة، كتبت هندريكا فان دير فليست، ابنة صاحب الفندق، في مذكراتها:

"لم نعد نخاف، بل تجاوزنا ذلك كله. الجرحى يرقدون حولنا في كل مكان،وبعضهم يحتضر فلماذا لا نفعل مثلهم اذا طلب منا ذلك؟ لقد ضاعت كل ممتلكاتنا، لكننا لا نفكر في ذلك لحظة واحدة. واذا قدر لهذا الصراع أن يكلفنا حياتنا مثل البريطانيين، فسوف نقدم أنفسنا طوعا".

وعلى طول الطرق الصغيرة بين المزارع، وفي الحقول، وفوق السطوح، وخلف النوافذ المسدودة بالحواجز في أنقاض المنازل، وقرب الكنيسة في أسفل بلدة أوستربيك، كان جنود المظلات يلازمون مواقعهم بأعين غائرة وأعصاب متوترة. وكما يقول الكابتن بنيامين كليغ من كتيبة المظلات العاشرة: "ان ما أتذكره أكثر من أي أمر آخر هو ذلك الاحساس بالارهاق الشديد، الى حد أصبح معه الموت مرغوبا".

وكان الرجال في جميع أنحاء القطاع يقاتلون في معركة شرسة بالغة الارتباك، تختلط فيها معدات المهاجمين والمدافعين وقواتهم وتتداخل على نحو مجنون. وكثيرا ما كان الجنود البريطانيون يجدون أنفسهم يستخدمون الذخيرة والاسلحة الالمانية المستولى عليها، والدبابات الالمانية تتعرض للتدمير بفعل الالغام الالمانية، والالمان يقودون سيارات الجيب البريطانية ويشدون من عزائمهم بما استولوا عليه من مؤن كان يراد ايصالها الى المظليين البريطانيين. ويتذكر الكولونيل هارتسر الامر بقوله: "كانت تلك أرخص معركة حاربناها، اذ توفر لنا فيها مجانا كل ما احتجنا اليه من غذاء وسجائر وذخائر". وكان كل من الجانبين يعيد الاستيلاء على مواقع الآخر مرارا، بحيث أصبح متعذرا على العديد من الرجال أن يعرفوا على وجه التحقيق هوية القوة التي تشغل الموقع المجاور بين ساعة وأخرى.

وكان الالمان يرون أن التسليم هو السبيل الوحيد المعقول الذي يمكن ان

النهار العربي والدولي

الاشـــــتراك
طـريقـنـا الاســـرع الـيـــك



القسيمة

الاسم ________________

الشهرة ________________

البلد ________ المدينة ________

الشارع ________ ص.ب ________

البلد	سنة بالفرنك الفرنسي	٦ أشهر بالفرنك الفرنسي
الدول العربية	○ ٤٠٠	○ ٢٢٥
دول المغرب العربي	○ ٣١٠	○ ١٧٥
فرنسا	○ ٢٦٠	○ ١٥٠
اوروبا	○ ٣٥٠	○ ٢٠٠
اميركا	○ ٥٠٠	○ ٢٦٠
افريقيا	○ ٣٥٠	○ ٢٠٠
اليابان	○ ٥٤٠	○ ٣٠٠
اوستراليا	○ ٥٤٠	○ ٣٠٠

قيمة الاشتراك المرفقة ☐ شيك ☐ شيك بريدي ☐ حوالة بريدية

ترسل القسيمة مع قيمة الاشتراك الى "النهار العربي والدولي":

FRANCE *19, Ave. Franklin D. Roosevelt 75008 PARIS Telex 641 660 F*



شاحنة امداد بريطانية وقد اصيبت مباشرة٠

يسلكه البريطانيون، وهو ما اكتشفه الميجور ريتشارد ستيوارت من لواء المظليين الاول٠ فقد أسر الالمان ستيوارت واكتشفوا أنه يتكلم الالمانية بطلاقة، فساقوه الى مقر قيادة كبير٠ ويتذكر ستيورات القائد الذي قابله بوضوح تام٠ فقد كان الجنرال بيتريتش "رجلا طويل القامة نحيفا، في أوائل العقد الخامس أو منتصفه، يرتدي معطفا طويلا من الجلد الاسود وقبعة عسكرية"٠ ولم يتولّ بيتريش استجواب ستيوارت، "بل أخبرني ببساطة أنه يريدني ان أذهب الى قائدي وأقنعه بالتسليم لانقاذ الفرقة من الابادة"٠ ورفض ستيوارت المهمة بأدب، فألقى الجنرال الالماني "خطبة طويلة، قال لي فيها ان في امكاني انقاذ زهرة شباب الامة"٠ فكرّر ستيوارت القول انه لا يستطيع ذلك فيما كرر بيتريتش حثه على قبول المهمة٠ وسأله ستيوارت: "سيدي، لو كان كل منا مكان الآخر، فماذا يكون ردك؟" فهز القائد الالماني رأسه ببطء وأجاب: "كنت سأرفض"٠ فقال ستيورات: "وذلك هو ردي ايضا"٠

غير أن الحال كانت تختلف في مقر قيادة أوركوهارت في فندق هارتنستاين الذي كان مبناه قد تهدم وشاع فيه الارتجاج من أثر سقوط

القذائف بالقرب منه. وكان أوركوهارت يتساءل كم من الوقت يمكنهم أن يصمدوا أمام فرقة مدرعات الصدام "س-س" التاسعة التي يقودها هارتسر، مع ما يدعمها من وحدات الجنرال هانز فون تيتاو ومن رماة المدرعات بقيادة الرائد سيب كرافت. وكان العدد الكلي الاصلي للقوات المظلية البريطانية يبلغ ١٠٠٠٥ من الرجال، وهم ٨٩٠٥ من الفرقة و١١٠٠ من طياري الطائرات الشراعية، هبطوا جميعهم في مناطق الانزال عند آرنهيم. لكن تقديرات أوركوهارت أفادت بأن عدد الرجال الباقين لديه من هذه القوات لا يزيد على الثلاثة آلاف، أي انه خسر ثلثي قوة فرقته في أقل من خمسة أيام.

"ما سبب هذه الحرب؟"

تكرر بذل المحاولات لاغاثة قوة أوركوهارت، لكن النجاح فاتها جميعا. وأوفد اللواء البولوني الاول بقيادة الجنرال ستانيسلاف سوسابوفسكي، فهبط جنوده بالمظلات في المنطقة يوم ٢١ سبتمبر (ايلول)، بعدما تأخروا منذ يوم ١٩ بسبب رداءة الطقس. وكان الالمان على أتم استعداد، فلم يمكن حصر أكثر من ٧٥٠ من الجنود الالف البولونيين بعد انزالهم. وتجمع هؤلاء الرجال في بلدة دريل على ضفة الراين الجنوبية. وكانوا قد اخبروا ان هناك قاربا يمكن أن يحملهم عبر النهر الى مواقع أوركوهارت مباشرة، لكنهم لم يجدوا له أثرا. فبذلوا خلال الليلتين التاليتين جهودا مستميتة لعبور النهر في قوارب صغيرة، وأسفر ذلك عن نتائج أليمة، اذ أن عدد الذين استطاعوا الوصول الى قطاع أوستربيك منهم لم يزد على ٢٥٠ رجلا، بلغوا غايتهم تحت وابل من نار الالمان القاتلة.

وعلى هذا النسق مضت الى نهايتها المحتومة عملية "ماركت - غاردن" التي كان مونتغومري يعلق عليها الامل في انهاء الحرب سريعا. وبقي الرجال على مسافة ١٠٠ كيلومتر رهيبة متشبثين بالجسور، يقاتلون بلا هوادة من أجل طريق واحد هو "الممر". واختفت الروح التي كانت سائدة قبل أسبوع نتيجة الاعتقاد ان الحرب على وشك الانتهاء. وتكرر ظهور وحدات من قوات العدو كان يُظن انها صفيت أو أبيدت. وبدا أن آلة الحرب النازية قد بعثت بمعجزة، بعدما كان الرأي السائد في الاسبوع الاول من سبتمبر (ايلول) هو انها تترنح على وشك الانهيار.

وتشتت سير المعركة فأصبحت اشتباكات متناثرة لا يشبه واحد منها الآخر. وفي فندق شونورد كانت هندريكا فان دير فليست تنام بكامل ملابسها بضع ساعات كل يوم، وتنهض بعدها لمعاونة الاطباء والممرضين على العناية بالمصابين الجدد الذين لا ينقطع سيلهم. وذات مرة حملت الى أحد الجنود البريطانيين الجرحى نصيبه الضئيل من الحساء والخبز الجاف، وهو الوجبة الوحيدة التي كان المستشفى يستطيع تقديمها. لكنه أشار الى مصاب آخر حُمل لتوّه وقال لها: "اعطيه هذه الوجبة". وأزاحت هندريكا الغطاء عن المصاب الجديد فانكشفت ملابسه



جريح يحمل الى ملجأ فندق هارتنستاين في آخر ايام القتال٠

العسكرية الالمانية، فقال لها الجندي البريطاني: "أهو الماني؟" فهزت هندريكا رأسها ايجابا، فقال البريطاني: "أعطيه الطعام على أي حال، فقد أكلت البارحة"٠ عندئذ حملقت هندريكا في وجهه وتساءلت: "ما سبب هذه الحرب اذاً؟"٠

وحدثت لجندي الاشارة كينيث بيرس واقعة لن ينساها أبدا، كما لن ينسى الرجل الذي تطوع لمعاونته فيها٠ فقد كان بيرس مسؤولا عن بطاريات التخزين الثقيلة التي تزن كل منها نحو ١٢ كيلوغراما وتمد أجهزة الاشارة لديه بطاقة التشغيل٠ وذات مساء في وقت متقدم، كان بيرس يكافح لنقل بطارية جديدة من خندق عميق، فسمع شخصا فوق رأسه يقول: "دعني أساعدك"٠ فطلب بيرس من صاحب الصوت ان يمسك بأحد مقبضي البطارية ويجذبها الى أعلى، ثم تعاون الاثنان على جر صندوق البطارية الضخم الى خندق قيادة الموقع٠

وقال بيرس: "هناك بطارية أخرى"٠ فرد الرجل: "هيا نأتي بها"٠ وقام الرجلان برحلتهما الثانية٠ ولدى عودتهما الى خندق القيادة وثب بيرس داخله بينما دلّى الرجل الآخر الصندوقين، واحدا بعد الآخر، وهو يحمل ثقلهما بقوة عضلاته حتى تلقاهما بيرس٠ وعندما انصرف الرجلان من الخندق لاحظ بيرس فجأة أن الرجل يحمل على ياقتيه شارات أركان الحرب الحمراء٠ فجمد في مكانه وقال متلعثما: "اشكرك جزيل الشكر يا سيدي"٠ فرد عليه الجنرال أوركوهارت: "لا بأس يا بني"٠

وفي قلب الميدان، أخرج المدفعي

جيمس جونز من حقيبته الشيء الوحيد غير العسكري الذي حمله معه، وهو ناي كان يعزف عليه وهو فتى. ويتذكر جونز الامر بقوله: "كنت أريد أن أعزف على ذلك الناي مرة أخرى. وكانت السماء تمطر قذائف مدفعية طوال ثلاثة أيام أو أربعة دونما انقطاع، وكنت خائفا الى أبعد حد، فأخرجت الناي وبدأت أعزف عليه".

وكان الملازم جيمس وودز على مقربة، فطرأت له فكرة نفذها حالا، اذ ضم اليه جنديين آخرين من جنود المدفعية. وخرج الثلاثة من خنادقهم وأخذوا يسيرون وراء جونز دائرين بمواقع المدفعية، فيما كان جونز يعزف على نايه والملازم وودز يغني، وقد خلع جنديا المدفعية خوذتيهما وأخذا ينقران عليها بالعصي. وسمع الرجال المرهقون في المواقع أنغام أغنية "الرماة البريطانيين" وأغنية "اسكوتلندا الجسورة" تتسرب اليهم رقيقة في أنحاء القطاع، فبدأوا بدورهم يغنون، بصوت خافت في البداية. وعندما رفع وودز صوته الى أعلى طبقاته، تفجر الغناء عاليا من حناجر الرجال في جميع مواقع المدفعية.

وعبر الشارع، تركت كيت تير هورست أطفالها الخمسة والمدنيين الاحد عشر المختبئين في قبو منزلها الذي لا تزيد مساحته على الامتار الثلاثة طولا والمترين عرضا، واتخذت طريقها عبر الجرحى في الطابق الاعلى. وكان بيتها ذو الاربع عشرة حجرة، الذي يبلغ عمره ٢٠٠ سنة، قد طمست معالمه تماما. فقد اختفت النوافذ، "وملأ الجرحى كل شبر في القاعة الرئيسية وقاعة الطعام وغرفة المكتب وغرفة الحديقة وغرف النوم والممرات والمطبخ والمستوقد"، كما تتذكر السيدة هورست. بل كان هناك جرحى يرقدون في مرأب السيارات وتحت السلم. وكان عددهم في البيت والارض الملحقة به يزيد على الثلاثمئة، ينضم اليهم مصابون جدد كل دقيقة.

ورأت كيت تير هورست خارج البيت سحابة معلقة فوق ميدان القتال. وكتبت في مذكراتها: "السماء صفراء، وهناك سحب قاتمة ترتفع كالخرق المبتلة. وقد انشق جوف الارض". ورأت في الارض المحيطة بالبيت "الموتى، موتانا، وقد أشبعتهم الامطار بللا وتصلبت أجسادهم. وهم مستلقون على وجوههم، تماما كما كانوا البارحة وقبل البارحة، وبينهم ذلك الرجل ذو اللحية المشعثة والآخر ذو الوجه القاتم، وكثيرون سواهما". وانتهى الامر بدفن ٥٧ رجلا في حديقة البيت.

أما أسرة فان مانين - التي تتألف من أنجي وأخيها بول وعمتهما - فكانت تعمل طوال النهار والليل في فندق تافلبيرغ في اشراف والد أنجي، الطبيب غيريت فان مانين. ويتذكر بول، الذي كان وقتذاك طالب طب، "أن يوم الاحد كان رهيبا، اذ أخذت القذائف تصيب المبنى طول الوقت. وتذكرت أن من واجبنا عدم اظهار الخوف أمام مرضانا، ولكن كنت على استعداد لان أقفز خارج الغرفة صارخا. غير اني لم أفعل ذلك، لان الجرحى ظلوا متمالكين أنفسهم في هدوء تام". ويتذكر بول أنه بينما كان المصابون ينقلون من غرفة أتلفتها القذائف الى أخرى، "بدأنا نغني:

فغنينا للبريطانيين وللالمان ولانفسنا وبدا أن الجميع شاركوا في الغناء، كان بعضهم يتوقف لاختناقه بالدموع المنبثقة من عواطفه الجائشة. لكنهم لا يلبثون أن يواصلوا الغناء".

وأخيرا، يوم الاحد ٢٤ سبتمبر (ايلول) عقدت هدنة موقتة. وعلى مدى ساعتين - بين الثالثة والخامسة مساء - تم اجلاء الجرحى البريطانيين الى مستشفى ميداني يديره الالمان في آرنهيم. وبعد ذلك، كما يقول المدفعي بيرسي باركس، "انطلقت حمم الجحيم مرة أخرى".

وفي الوقت نفسه تقريبا، في موضع متأخر من الممر عند بلدة سانت أودينرودي، التقى رجال ثلاثة: الجنرال بريان هوروكس قائد الفيلق الثلاثين، والجنرال فريدريك براونينغ قائد المظليين، والجنرال مايلز ديمبسي قائد الجيش الثاني. وكانت لدى هوروكس خطة جديدة لعملية برمائية واسعة النطاق لعبور الراين عند بلدة دريل، لكن ديمبسي رفضها قائلا: "كلا، أخرجهم من هناك". ثم التفت الى براونينغ وسأله: "هل توافق على ذلك؟" فهز براونينغ رأسه موافقا في صمت حزين. وفي الساعة ٦،٤٥ من صباح ٢٥ سبتمبر (ايلول) تبلّغ الجنرال أوركوهارت أمر الانسحاب.

كان اوركوهارت عند تخطيط عملية آرنهيم تلقى وعداً بان تصله قوات العون خلال ٤٨ ساعة. وكان الجنرال براونينغ يتوقع من فرقة المظليين الأولى ان تصمد بمفردها مدة لا تتجاوز الايام الاربعة في اقصى التقديرات. لكن الفرقة قامت بعمل عسكري لم يسبق له مثيل، اذ صمدت وحدها فترة تفوق ضعفي تلك المدة القصوى. وكان الانسحاب امراً مريراً بالنسبة الى الاسكوتلندي الشجاع (اوركوهارت)، لكنه كان يعلم ان ذلك هو الطريق الوحيد، لأن عدد رجاله انخفض من عشرة آلاف الى أقل من ٢٥٠٠، ولم يعد يمكنه ان يطلب منهم المزيد من الصمود. فالوقت كان قد ازف حقاً لاخراج ابطال آرنهيم من جحيمهم.

ومن سخرية القدر ان عملية الجلاء هذه اطلق عليها اسم "عملية برلين"!

الانسحاب

لم يكن هناك سوى سبيل واحد للانسحاب، هو عبور مسافة الاربعمئة متر الرهيبة، وهي عرض الراين عند بلدة دريل. وقد قال اوركوهارت لاحقاً: "وضعت خطة للانسحاب شبيهة بانطباق كيس ورق. وهي تقضي بان تتمركز جماعات صغيرة في مواضع استراتيجية لتعطي انطباعاً باننا لا نزال موجودين، مع مواصلة الانسحاب في الوقت نفسه على طول كل جانب".

وكان على قادة الطائرات الشراعية ان يؤدوا دور الادلاء ويوجهوا الرجال على طول طريق الانسحاب المميز في بعض المناطق باشرطة بيضاء، حتى يبلغوا ضفة النهر. وهناك يتولى المشرفون تنظيم صعودهم الى اسطول الاجلاء الذي يتألف من ١٤ زورقاً من ذوات المحركات تديرها فصيلتان من سلاح المهندسين الكندي، ويتسع كل منها لاربعة عشر رجلا، اضافة الى عدد من الزوارق الاصغر حجما التي بقيت من عمليات العبور السابقة.

وكان اوركوهارت يقامر على ان الالمان سيفترضون ان الرجال يحاولون الانتقال بالزوارق الى داخل القطاع وليس الى خارجه. لكنه لم يتوقع ان تجري عملية الاجلاء من غير محاولة للتدخل من جانب العدو. وعلى رغم ان كل مدفع صالح للعمل لدى الفيلق الثلاثين سيؤدي مهمته لحماية رجاله، الا ان اوركوهارت كان يتوقع ان ينجح الالمان في ايقاع خسائر كبيرة برجاله. وكان الوقت واحداً من اعدائه، لان اتمام عملية الجلاء سيستغرق ساعات طويلة.

وفي ملجأ فندق هارتنستاين، اعلن اوركوهارت النبأ لضباطهالمحيطين به قائلا: "سنخرج من هنا الليلة"، وشرح لهم المعالم الرئيسية لخطته. ولم يكن النبأ مثار دهشة، لأن الموقف كان قد بلغ مرحلة ميئوساً منها تماما منذ وقت طويل.

وكان الالمان، طوال ذلك اليوم، قد تابعوا هجماتهم بعنف في محاولات متكررة لاجتياح المواقع. وبدأ خبر الانسحاب ينتشر بينهم بعيد الثامنة مساء. وتملك الرقيب ستانلي ساليفان غضب شديد حين بلغه النبأ: "كنت موقناً من اننا خسرنا المعركة على اي حال. فمن الأفضل لنا ان نسقط ونحن نقاتل". وكان موقع ساليفان في مدرسة، كما يقول، "الصغار يحاولون فيها ان يتعلموا. وجزعت لما قد يصيب اولئك الاطفال كلهم اذا انسحبنا. ووجدت لزاماً علي ان اجعلهم يعرفون، هم والألمان ايضاً، حقيقة مشاعرنا". واتجه ساليفان الى اللوح في حجرة الدراسة التي كان يدافع عنها، وكتب باحرف كبيرة العبارة الآتية: "نحن عائدون" (★)، ووضع تحتها بضعة خطوط.

وفي تمام التاسعة مساء، شق سماء الليل الحالكة بريق مدافع الفيلق الثلاثين وقد انطلقت كلها مجتمعة، واندلعت النار في جميع انحاء القطاع نتيجة لوابل القذائف الذي انهمر على المواقع الألمانية. وبعد ٤٥ دقيقة بدأ رجال اوركوهارت انسحابهم، واعانهم على ذلك سوء حال الطقس الذي منع وصول القوات والامدادات اليهم في الوقت المناسب طوال الاسبوع. وبدأ الانسحاب في احوال جوية شبه عاصفة، ساعدت مع ضجيج القذف على تغطيته.

وفي غمار الريح العنيفة والمطر المنهمر، تجمع الأحياء الباقون من فرقة المظليين الأولى بوجوه قاتمة، وقد ربطوا معداتهم ولفوا احذيتهم بالقماش لئلا تحدث صوتاً، واصطفوا ليتخذوا سبيلهم الحذر الى ضفة النهر. وكان الظلام والجو العاصف يجعلان الرؤية الى أبعد من مترين أمراً مستحيلا. فشكّل الجنود سلسلة حية، ممسكين بعضهم بأيدي بعض او بطرف سترة التعمية التي يرتديها الزميل السائر أمام كل منهم.

وفي فندق هارتنستاين ختمت مذكرات الحرب واحرقت الأوراق. ثم قام هانكوك، جندي المراسلة الذي يتولى خدمة الجنرال، بلف حذاء اوركوهارت باشرطة منتزعة من

(★) لم يقدر للاطفال أن يقرأوا تلك العبارة أبداً، لان الالمان، في معرض انتقامهم من الهولنديين، أمروا في ٢٧ سبتمبر (ايلول) باخلاء منطقة آرنهيم بأكملها. وظلت بلدة آرنهيم والقرى المحيطة بها خالية من السكان حتى الايام الاخيرة من الحرب.

الستائر، وركع الجميع امام قسيس الفرقة الذي تلا الصلاة. وتذكر اوركوهارت زجاجة ويسكي كان مراسله وضعها في متاعه يوم بدء الهجوم، "فأدرتها على الحاضرين، وتناول كل منهم رشفة". وهبط اوركوهارت أخيرا الى الملجأ لتفقد الجرحى "في ضماداتهم الدامية وجبائرهم الخشنة"، وحيّاهم مودعاً.

وعند ضفة النهر كانت عمليات العبور قد بدأت. وكان المشرفون يدفعون الرجال الى القوارب فور وصولهم. وعلى رغم ان الالمان لم يكونوا قد ادركوا بعد ان هناك انسحابا يجري، الا انهم تمكنوا من رؤية التنقلات عبر النهر في ضوء المشاعل. فبدأت القذائف المدفعية تسقط على القوارب لتثقبها وتغرقها. وارتفعت صرخات الرجال الذين يكافحون في الماء طالبين النجدة، بينما حمل التيار زملاءهم الموتى بعيداً. وتعلق الجرحى بحطام القوارب واخذوا يحاولون السباحة الى ضفة النهر الجنوبية. ولم تكد تمضي ساعة واحدة حتى كان نصف اسطول الاجلاء قد دمر. لكن عمليات النقل لم تتوقف.

وعلى طول ضفة الراين وفي المروج والغابات الواقعة خلفها، كان مئات الرجال ينتظرون. لكن غرق نصف الأسطول وتعرض بقيته لنار المدافع الرشاشة الكثيفة اديا الى الانحصار في عنق الزجاجة الذي كان اوركوهارت يخشى وقوعه. وحدث ارتباك في الصفوف. ومع ان الامر لم يبلغ حد الفزع والفوضى، الا ان كثيرين من الرجال حاولوا الاندفاع الى الامام، بينما حاول ضباطهم ورقباؤهم ضبطهم والسيطرة عليهم. ويتذكر العريف توماس هاريس، من الكتيبة الأولى، الموقف بقوله: "كان هناك مئات ومئات ينتظرون العبور. وكانت القوارب ترزح تحت ثقل الرجال الذين يحاولون ركوبها". وبدأت القذائف المدفعية تسقط في منطقة التجمع بعد توصل الالمان الى التصويب الصحيح. وقرر هاريس، كما قرر كثيرون سواه، ان يعبر النهر سباحة، فخلع ملابس الميدان والحذاء وغطس في الماء... ووجد، لدهشته، انه نجح في عبور النهر.

اما الجندي الفريد دلفورس، من الكتيبة العاشرة، فقد سبح الى ضفة النهر الجنوبية عارياً تماماً. وهناك وجد امرأتين تقفان على الضفة مع بعض الجنود، فانتابه حرج شديد، وشعر بحافز يدفعه على العودة الى الماء". لكن احدى المرأتين نادته وناولته رداء نسائياً "من غير ان تطرف لها عين ازاء جسدي العاري"، كما يذكر، "واهابت بي الا اقلق، لانهما تقفان على الضفة لمعاونة الرجال الذين يعبرون". ومضى الجندي دلفورس وهو يرتدي رداء نسائياً يبلغ ركبتيه وقبقاباً خشبياً، واقتيد الى شاحنة بريطانية تحمل المنسحبين الى نيجميغين.

ومع بزوغ الفجر كان معظم اسطول الاجلاء قد دمر. غير ان المهندسين الكنديين والبريطانيين ظلوا يتحدون القذائف المدفعية ونار الرشاشات الثقيلة، وينقلون الرجال في القوارب الباقية.

وذهب الجنرال اوركوهارت، بعد

عبوره النهر، الى منزل يقع على المشارف الجنوبية لبلدة نيجميغين. "وقادنا الرائد هاري كاثور، مساعد الجنرال براونينغ، الى احدى الغرف، واقترح علينا ان نغير ملابسنا المبتلة". لكن الاسكوتلندي الشامخ رفض - "لأني اردت ان يرانا براونينغ كما نحن، وكما كنا في المعركة". وبعد ذلك بفترة، في غرفة النوم التي خصصت له، وجد اوركوهارت ان النوم الذي كان يتوق اليه منذ فترة طويلة عز عليه تماما، "اذ كان عقلي وضميري مثقلين بامور كثيرة جدا".

وكان هناك فعلا كثير من المسائل التي تستحق التفكير، لأن فرقة المظليين الاولى ضحّي بها وتعرضت لمذبحة كاملة، فلم يرجع من رجالها عبر الراين سوى ٢١٦٣ رجلا من قوتها الاصلية التي كانت تبلغ ١٠٠٠٥. وسقط منها خلال تسعة أيام نحو ١٢٠٠ قتيل وبلغ عدد المفقودين والاسرى والجرحى ٦٦٤٢ أسير. وتبين في وقت لاحق ان الالمان تعرضوا هم ايضا لخسائر كبيرة، وبلغ عدد اصاباتهم ٣٣٠٠، منهم ١١٠٠ قتيل.

وطبقاً للحساب الاجمالي، خسرت قوات الحلفاء في عملية "ماركت - غاردن" اكثر مما خسرته في عملية غزو النورماندي الجبارة، اذ يتفق معظم المؤرخين على ان مجموع خسائر الحلفاء خلال فترة الاربع والعشرين الساعة ليوم الغزو ٦ يونيو (حزيران ١٩٤٤)، يراوح بين عشرة آلاف و١٢ الف اصابة، في حين ان مجموع الخسائر خلال الايام التسعة لعملية "ماركت - غاردن" في القوات المظلية والارضية معاً، زاد على ١٧ الف رجل بين قتيل وجريح ومفقود.

الناقوس

انتهت مغامرة آرنهيم، ولم يبق سوى التراجع وتوطيد المراكز. اما الحرب فقد قدر لها ان تستمر حتى شهر مايو (ايار) ١٩٤٥. وكتب احد المؤرخين عن ذلك: "على هذا النحو باءت اضخم العمليات المظلية في الحرب كلها بالاخفاق. وعلى رغم تأكيدات مونتغومري ان العملية نجحت بنسبة ٩٠ في المئة، الا ان ذلك لا يمثل اكثر من عزاء لفظي. صحيح ان جميع الاهداف المنشودة تم الاستيلاء عليها باستثناء آرنهيم. الا ان كل هذه الاهداف لم تكن ذات قيمة تذكر من دون آرنهيم. وتمخضت كل معجزات الشجاعة وجبال التضحيات التي تحملتها القوات عن الاستيلاء على نتوء دفاعي داخل المناطق التي يسيطر عليها العدو، يبلغ طوله ٨٠ كيلومترا ولا يؤدي الى مكان".

وبينما اخذ الرجال يتدفقون عائدين، وقف احد الضباط ساعات طويلة تحت المطر وهو يتأمل وجوه العائدين واحداً واحداً. كان ذلك الكابت اريك ماكاي، الذي صمد مع الكولونيل فروست ذلك الصمود الاسطوري عند جسر آرنهيم. وقد قبض عليه الالمان اسيراً، لكنه تمكن من الهرب وبلوغ نيجميغين، حيث وقف يبحث عن اعضاء سربه في صفوف جنود فرقة المظليين الخارجين من اوستربيك. وقال يصفهم بعد ذلك: "كان اسوأ ما رأيته وجوههم التي كانت ترتسم عليها من الارهاق والعياء تعابير لا تصدق".

وظل ماكاي واقفاً الى جانب الطريق طوال تلك الليلة حتى طلع الفجر. "ولم الق وجهاً واحداً اعرفه. وتملكتني كراهية للجميع وانا اواصل المراقبة، وكرهت المسؤول عما حدث اياً يكن شخصه، وفكرت في اهدار حياة الرجال على هذا النحو السفيه وفي فرقة رائعة القيت باكملها في بالوعة... لماذا؟" وكان الضوء قد انتشر في السماء حين عاد ماكاي الى نيجميغين. وهناك بدأ عملية المراجعة والحصر عند نقاط التجمع والايواء، وقد صمم على ان يعثر على رجاله. وتبين في النهاية ان سرب المهندسين الذي ينتمي اليه لم يعد من رجاله المئتين سوى خمسة فحسب، منهم ماكاي نفسه.

وبقي على الجانب الآخر من النهر الجنود والمدنيون الذين اقتضت اعمالهم او اصاباتهم ان يتخلفوا. كما تخلفت مجموعات صغيرة من الرجال الذين وصلوا الى نقاط العبور متأخرين، فقبعوا في الخنادق التي اصبحت غير محمية. ولم يكن لدى هؤلاء المتخلفين اي امل باق، فظلوا في القطاع الذي صبغه سواد الحرائق ينتظرون مصيرهم.

وفي فندق شونورد، في القاعة الكبرى حيث كان معظم الجرحى لا يزالون يحتمون، بدأ احد الجنود يعزف على البيانو خليطاً من الاغاني الشعبية، والرجال يصاحبونه بغنائهم.

ويقول القسيس ج. ا. بير: "بدا الأمر غريباً بعد جحيم الأيام القليلة السابقة. وهو امر لم يستطع الالمان فهمه، وان يكن تفسيره بسيطاً. ذلك ان التوتر واحساس الرجال بانهم تركوا وحدهم احدث لديهم رد فعل هائلا، ولم يبق لديهم ما يفعلونه سوى الغناء". وفي ما بعد، بينما كانت هندريكا فان ديرفليست وسائر المدنيين الهولنديين يستعدون للرحيل لمعاونة الجرحى في المستشفيات الالمانية، لوح لهم القسيس بير بيده مودعا وقد تملكه الأسف: "لقد قاسوا معنا وتحملوا الجوع والعطش، ومع ذلك فانهم لم يفكروا في انفسهم".

وبينما كانت آخر سيارات الاسعاف تختفي، تولى القسيس بير وافراد الخدمة الطبية تحميل ممتلكاتهم القليلة في شاحنة المانية. وهو يتذكر الأمر بقوله: "لقد ساعدنا الألمان. وكان الجو خالياً من العداء على نحو غريب. ولم يكن لدى احد منا ما يقوله".

وعبر الشارع من الكنيسة، كانت كيت تير هورست قد ودعت الجرحى الذين اصبحوا جميعهم اسرى حرب. ومضت تجر عربة يدوية بصحبة أطفالها الخمسة متجهة الى بلدة آبلدورن. وبعدما قطعت مسافة قصيرة، توقفت ونظرت خلفها الى المنزل القديم الذي كان بيتها. وكتبت عن ذلك: "كان هناك شعاع من الشمس يلمع على مظلة هبوط فاقعة الصفرة تتدلى من السقف. كانت صفرتها فاقعة... تحية من المظليين... وداعاً ايها الاصدقاء... بارك الله فيكم".

اما الفتاة آنجي فان مانين، التي اتخذت طريقها الى بلدة آبلدورن كذلك، فقد ظلت تبحث عن ابيها وسط سيارات الصليب الأحمر ومحفاته

المارة بها وهي تحمل الجرحى من فندق تافلبيرغ. وكانت آنجي مع عمتها وأخيها تحملق في الوجوه المألوفة التي عرفتها طوال الاسبوع. ثم رأت اباها في احدى الشاحنات التي كانت مارة بها، فصرخت وانطلقت راكضة. وتوقفت الشاحنة وهبط منها الدكتور فان مانين ليحيي اسرته. وعانق الثلاثة وقال: "اننا لم نبلغ من قبل هذا الحد من الفقر ومن الثراء في آن: لقد فقدنا قريتنا وبيتنا وممتلكاتنا، لكننا نمتلك بعضنا بعضاً، ولا نزال أحياء". وعاد الدكتور فان مانين الى ركوب الشاحنة كي يعنى بالجرحى، بعدما رتب الأمر بحيث يلتقي اسرته في آبلدورن.

وسارت انجي بين مئات اللاجئين الآخرين، ثم التفتت الى الوراء. وكتبت بعد ذلك تصف ما رأته: "كانت السماء ذات لون قرمزي، مثل دماء المظليين الذين بذلوا حياتهم من اجلنا. وكنا نحن الاربعة أحياء. لكن المعركة، في نهاية اسبوع القتال اليائس ذاك، تركت في اعماق نفسي اثراً لا يمحى ... المجد لكل اعزائنا الجنود البريطانيين الشجعان ولكل من قدم حياته لاعانة الآخرين".

وفي بلدة دريل، استيقظت متطوعة الصليب الأحمر كورا بالتوش على صمت غريب. كان الوقت منتصف نهار الثلثاء ٢٦ سبتمبر (ايلول). واحست بما اصاب جسدها من تصلب نتيجة الشظايا التي اخترقته، وبالحيرة ازاء هذا الصمت غير المألوف. فذهبت تعرج ببطء الى الخارج، لتجد سحب الدخان تتصاعد من وسط البلدة ومن بلدة اوستربيك الواقعة عبر النهر. لكن اصوات المعركة كانت قد اختفت تماما. وسحبت كورا دراجتها ومضت بها على مهل صوب البلدة، فوجدت الشوارع مهجورة والجنود اختفوا، ورأت على بعد آخر السيارات في قافلة تتجه جنوباً نحو نيجميغين، ثم رأت بالقرب من احدى كنائس دريل المحطمة عدداً قليلا من الجنود يتكئون على بعض سيارات الجيب.

وللحال ادركت كورا ان البريطانيين والبولونيين ينسحبون. فقد انتهى القتال،ولن يلبث الالمان ان يعودوا. واذ بدأت تسير نحو جماعة صغيرة من الجنود، اخذ الجرس المعلق في برج الكنيسة يدق عالياً. ونظرت كورا الى اعلى فرأت احد المظليين جالساً في قبة الجرس وحول رأسه ضمادة كبيرة، فصاحت تسأله: "ماذا حدث؟" واجابها: "لقد انسحبنا، ونحن اخر مجموعة". وحدقت كورا اليه وعادت تسأله: "ولماذا تقرع الجرس؟" فرفس الجندي الجرس مرة اخرى، فارتفع رنينه يردد اصداءه فوق القرية الهولندية التي يبلغ عمرها الف عام قبل ان يخفت ويتلاشى. ثم نظر الجندي الى اسفل صوب كورا وقال: "لقد بدا ان هذا هو اليق ما يمكن عمله".

■ **كورنيليوس ريان**

الحظ العاثر كالسكين: تفيدنا اذا امسكناها من المقبض وتجرحنا اذا امسكناها من النصل.



مجوهرات الكوارتز من صنع اوميغا صورت في مسرح لاسكالا في ميلانو

ن اليسار الى اليمين : BA 891.8872B, BA 891.8742B, BA 891.8883 A أجزاء النماذج الثلاثة الداخلية مصنوعة من كوارتز ، الاطار والسوار عيارهما ١٨ قيراطا . رابطها مثبت على الماس . ياقوتية بلورية . نماذجها مسجلة .

تريها من وكيل اوميغا الرسمي فقط ، واطلب معها الكفالة الدولية .

